

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُورِيْفِ الْقُرْضَاوِي

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٨٥

خطب الشيخ القرضاوي

٢٢

إعداد

المكتب العلمي للشيخ

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ
بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ
ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البُعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى
وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا
تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا
خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ
لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ
أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨].



من مشكاة النبوة الخاتمة

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيده يوماً، ثم قال: «يا معاذ، إني لأحُبُّكَ». فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنا أحُبُّكَ. قال: «أوصيك يا معاذ لا تدعَنَّ في دُبُرِ كلِّ صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك». رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ لله مائة رحمة أنزل منها رحمةً واحدة بين الجنِّ والإنس والبهائم والهوامِّ، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تَعَطَّفُ الوحشُ على ولدها، وأخَّرَ اللهُ تسعاً وتسعين رحمةً، يرحم بها عباده يوم القيامة». رواه مسلم وأحمد.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنَّ اللهُ يَبْسُطُ يده بالليل ليتوبَ مسيءُ النهار، ويَبْسُطُ يده بالنهار ليتوبَ مسيءُ الليل، حتَّى تطلعَ الشمسُ من مغربها». رواه مسلم.





حول أسماء الله الحسنى

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زال حديثنا موصولاً عن موضوعات القرآن الكريم، وأوّل ما بدأنا به من هذه الموضوعات: ما يتعلّق بالعتيدة، فالإنسان إذا صحّت عقيدته، وسلّمت فكرته عن الله، وعن الكون، وعن الحياة وعن الإنسان؛ إذا سلّم تصوّره سلّمت أعماله وسلوكه، لهذا كان تصحيح العتيدة هو المطلوب الأوّل؛ حتّى لا تكون أعمال الإنسان هباءً منثوراً، كما قال الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

علم العتيدة ومعرفة الإلهيات:

وأوّل ما يجب أن يتعلّمه المسلم من القرآن الكريم حول العتيدة: هو ما يتعلّق بما يُسمّيه علماء التوحيد (الإلهيات)، ما يتعلّق بالله عَزَّ وَجَلَّ، لا بدّ أن يُصحّح الإنسان عقيدته عن الله، ولا يتيه مع التائهيين، ولا يضل مع الضالّين في الأمم المختلفة.

وأوّل ما يجب أن يعرفه عن الله هو: الوحدانيّة، وقد تحدّثنا في الخطبتين الماضيتين عن توحيد الربوبيّة أو الخالقيّة، أنّ هناك خالقًا واحدًا هو الله وَعَجَّلَ لا شريك له، ولا ندّ له.

والعنصر الثاني من التوحيد هو: توحيد الإلهيّة، أو توحيد العبادة، بحيث لا تعبد إلا الله.

والعنصر الثالث هو: توحيد الحاكميّة، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، فلا يحقّ لمخلوق أن يسلب سلطة الألوهيّة ويصبح له حقّ الأمر والنهي والتحليل والتحرّيم، يغتصب حقّ الله سُبْحَانَهُ، هذه هي الوحدانيّة، وهذا هو التوحيد.

كمالات الله تبارك وتعالى:

واليوم نتحدّث عن كمالات الله تبارك وتعالى التي انفرد بها عن غيره، وهو ما يُسمّيه القرآن: (أسماء الله الحسنى)، فله تعالى الأسماء الحسنى، الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى، وليس الحسنه فقط؛ بل له أحسن الأسماء، وأكمل الأسماء، وأفضل الأسماء، وهي التي ينبغي أن يدعى الله بها لا بسواها، كما قال الله وَعَجَّلَ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ دعوكم من هؤلاء الذين ينحرفون عن القصد وعن الصواب، ويميلون إلى الباطل، ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قرّر القرآن أنّ لله الأسماء الحسنى كما في سورة طه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وفي أواخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿[الحشر: ٢٢ - ٢٤].

حديث: إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا:

يُقَرَّرُ الْقُرْآنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَحْدَهُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، إِنَّهُ وَتَرِ يَحِبُّ الْوَتَرَ»^(١). هُوَ مُتَفَرِّدٌ وَاحِدٌ يَحِبُّ الْوَتَرَ، هَذَا مَا جَاءَ بِهِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ حَدِيثًا سَرَدَ فِيهِ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ الْمَعْرُوفَةَ، الَّتِي يَحْفَظُهَا النَّاسُ، وَقَالَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ بَعْدَ أَنْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ^(٢). وَالتِّرْمِذِيُّ إِذَا قَالَ عَنِ الْحَدِيثِ غَرِيبٌ يَعْنِي أَنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ، وَلِذَلِكَ قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: الَّذِي عَوَّلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ سَرَدَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى التِّسْعَةَ وَتِسْعِينَ هَذَا مِمَّا أَدْرَجَهُ الرَّوَاةُ فِي الْحَدِيثِ^(٣). أَيْ: جَمَعُوهُ مِمَّا عَرَفُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ.

مناقشة في بعض هذه الأسماء:

وَالصَّحِيحُ أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ لَمْ تَصَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ فِيهَا أَسْمَاءً عَلَيْهَا عَلَامَاتٌ اسْتِفْهَامٌ، وَفِيهَا أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ كَانَتْ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشروط (٢٧٣٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٧)، وقال: حديث غريب... ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث... وليس له إسناد صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٦١).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥١٥/٣)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ -

ينبغي أن يدخلوها في هذه التسعة وتسعين، والحقيقة - أيضًا - أن الأسماء أكثر من تسعة وتسعين، الأسماء أكثر من ذلك بكثير، يقول علماء الأصول في قول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا»: العدد لا مفهوم له، إنما يريد التكثير. فمعنى أن لله تسعة وتسعين اسمًا أن له أسماء كثيرة.

والواقع كما ذكر الإمام القاضي أبو بكر ابن العربي أن هناك من العلماء من جمع من القرآن والسنة لله تعالى ألف اسم^(١).

وقال الإمام ابن الوزير اليمني، الإمام المجتهد المستقل: إن لله تعالى أسماء أكثر من مائتين، وذكرها، وجاء بها من القرآن الكريم^(٢)، هذه كلها أسماء حسنى، فهم لم يستوعبوا كل الأسماء، والذين ذكروا هذا بعضهم استُدرك عليه؛ كالإمام ابن تيمية^(٣) وتلميذه ابن القيم^(٤)، ذكرا أن اسم (المنتقم) لم يصح في حديث عن النبي ﷺ.

ولكن القرآن ذكر بدل كلمة (المنتقم) كلمة (ذو انتقام)، الله تعالى يقول في أول سورة آل عمران: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، وفي آخر سورة إبراهيم: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِّهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، ويقول أيضًا: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٧]، وفي سياق آخر يقول الله ﷻ:

(١) انظر: عارضة الأحوذى (٢٨١/١٠)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) انظر: إيثار الحق على الخلق لابن الوزير ص ١٥٧، ١٥٨، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٩٦/٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٤) انظر: بدائع الفوائد (١٦٧/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

﴿يَوْمَ نَبِّطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، أي من أعداء الله، وأعداء رسله، والمعتدين على المسلمين. ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، منتقمون من هؤلاء الطغاة والأعداء.

فالقرآن ورد بالانتقام من الأعداء، فلعلَّ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يقصدان أنه لا ينبغي أن يُذكر المنتقم بإطلاق من غير تقييد بالمجرمين وما شابه.

هناك أسماء تُذكر مزدوجة، مثل: الضارُّ النافع، القابض الباسط، المعزُّ المُذِلُّ، فهذه تُذكر بعضها مع بعض، لا يصح أن تقول: الله هو الضارُّ. وإنما تقول: الضارُّ النافع. هو الذي يضرُّ وينفع، هو الذي يُعطي ويمنع، وهو الذي يخفض ويرفع، والذي يُعزُّ ويذل، وهو الذي يُحيي ويُيُميت، وهكذا.

وبعض هذه الأسماء التسعة والتسعين غير واضحة في القرآن، فقد ذكروا في هذه الأسماء: اسم (الواجد)، يعني الذي يجد ما يريده، عنده كلُّ شيء، لا تجد هذا الاسم في القرآن في آية، إنَّه هو الواجد، مثل: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٩٨]، أو (الوالي المتعالي)، ليس في القرآن (الوالي)، بل فيه ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِّنْ وَّالٍ﴾ [الرعد: ١١].

عدم استيعاب كل الأسماء:

فالذين جمعوا هذه الأسماء لم يستوعبوا ما جاء في القرآن والسُّنة، انظر - مثلاً - سورة الفاتحة، الله تعالى يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، لم يذكروا هذا الاسم، من ضمن الأسماء

الحسنى (رب العالمين)، لم يذكروا (رب العالمين) من الأسماء التسعة والتسعين! كذلك: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفتح: ٤]، هذا من أسماء الله الحسنى، لم يُذكر هذا الاسم.

انظر سورة الإخلاص، ذكروا منها (الصمد)، ولم يذكروا (الأحد)، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، كيف يُنسى هذا الاسم؟! وبعد ذلك: ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، هذه من صفات الله ﷻ، (ليس بوالد ولا ولد)، كيف يترك هذا الاسم ولا يُدرج في الأسماء التسعة والتسعين؟! ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لا بد أن يُدرج هذا في أسماء الله الحسنى، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ لا بد أن تُذكر في التسعة والتسعين.

انظر سورة الفلق، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، لم يُذكر (رب الفلق) في الأسماء الحسنى.

وانظر سورة الناس، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]، (رب الناس)، (ملك الناس)، (إله الناس)، لم تُذكر هذه الأسماء في التسعة والتسعين!؟

قد يقولون: هذه أسماء فيها إضافة. أقول: هم قد ذكروا أيضًا أسماء فيها إضافة، مثل: (مالك الملك)، (ذو الجلال والإكرام)، حتى إنهم عندما بدؤوا الأسماء بدؤوها هكذا: «هو الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس»، وتركوا جزءًا من الآية: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]، لماذا ترك ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾!؟

الأسماء والصفات في القرآن والسنة كثيرة:

هناك صفات وأسماء كثيرة في القرآن لا ينبغي أن تُترك، ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۗ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ ۗ تُوَفَّكُونَ ۗ فَالِقُ ۗ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ۗ﴾ [الأنعام: ٩٥، ٩٦]، من أسماء الله: (فالقُ الحَبِّ والنوى)، (مُخرج الحيِّ من الميِّت) و(مُخرج الميِّت من الحيِّ)، (فالقُ الإصباح)، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [فاطر: ١٣]، من أسماء الله: (مولجُ الليلِ في النهار) و(مولجُ النهارِ في الليل)، ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥]، من أسماء الله: (مُكَوِّرُ الليلِ على النهار) و(مُكَوِّرُ النهارِ على الليل)، هذه كلها من أسماء الله الحسنی.

أسماء الله الحسنی في القرآن واسعة، وينبغي لمن يدعو الله أن يستحضر هذه الأسماء، كما وجدنا النبي ﷺ يقول في دعائه: «اللهم ربَّ السماوات والأرض، وربَّ العرش العظيم، ربَّنَا وربَّ كلِّ شيء، فالقُ الحَبِّ والنوى، مُنْزِلَ التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شرِّ كل ذي شرِّ أنت آخذٌ بناصيته»^(١).

وحين سمع من يدعو الله ﷻ بهذه الكلمات: يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ، يا بديعَ السماوات والأرض؛ قال ﷻ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(٢). فهذه أسماء موجودة في السنة النبوية، ولم تُذكر ضمن الأسماء التسعة والتسعين.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٣)، وأحمد (٩٢٤٧)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٢٢٠٥)، وقال مخرجه: صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٤٩٥)، والترمذي في

الدعوات (٣٥٤٤)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٨)، عن أنس.

فأسماء الله الحسنى كثيرة جدًا، وقد روى الإمام أحمد، عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أصاب أحدًا قطُّ همٌّ ولا حزن، فقال: اللهمَّ إنِّي عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسم هو لك: سمَّيت به نفسك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيعَ قلبي، ونورَ صدري، وجلاءَ حُزني، وذهابَ همِّي. إلاَّ أذهب الله همَّه وحُزنه، وأبدله مكانه فرحًا»^(١).

فهناك أسماء لا يعلمها إلا الله، وأسماء علَّمها بعض أنبيائه وبعض رسله، فليست الأسماء محصورةً في هذه التسعة والتسعين.

لفظ الجلالة (الله):

الله تعالى له الأسماء الحسنى، هنا نجد أن أعظم هذه الأسماء - كما قال علماؤنا - هو لفظ الجلالة (الله)، هذا العلم على الذات الإلهية الموصوفة بصفات الكمال، المنزَّهة عن كل نقص، وهو - كما قال المحققون من العلماء - علم على هذه الذات، وليس مشتقًا، وبعضهم

(١) رواه أحمد (٣٧١٢)، وقال مخرَّجه: إسناده ضعيف. وابن أبي شيبة في الدعاء (٢٩٩٣٠)، والبخاري (١٩٩٤)، وابن حبان في الرقائق (٩٧٢)، والحاكم في الدعاء (٥٠٩/١)، وقال صحيح على شرط مسلم، إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه؛ فإنه مختلف في سماعه عن أبيه. وقال الذهبي: أبو سلمة لا يُدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٢٩) بعد أن نسبه لأحمد وأبي يعلى والبخاري: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني، وقد وثقه ابن حبان. وانتهى الشيخ شاکر من بحثه إلى توثيق أبي سلمة، وسلامة الحديث من إرسال عبد الرحمن عن أبيه. كما صحح الحديث الألباني وأشبع فيه القول في الصحيحة (١٩٨)، وذهب مذهبهما الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان، ورجع عن ذلك في تعليقه على المسند، وقال: أبو سلمة الجهني لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو، فهو في عداد المجهولين.

قال: هو مشتق من (أله) وكذا، ولكن قال الإمام الرّازي وغيره: الصحيح أنه ليس مشتقاً من شيء البتّة^(١). هو علم على هذه الذات المتفرّدة بكل كمال، المنزّهة من كلّ نقص، المتّصفة بسائر الأسماء الحسنی، تقول: الله هو: الرحمن، الرحيم، الملك، القدّوس، الغني، الحميد، الودود، المجيد، ذو العرش، إلخ، ولا تقول: الرحيم هو الله، أو الملك هو الله، أو كذا، لا، تقول: الله رحيم، ولا تصف الرحيم بأنّه الله.

هذا الاسم تکرّر في القرآن (٢٦٩٧) مرّة، انظر (٢٦٩٧) مرّة كلمة (الله)، ممّا يدلّ على أنّ هذا القرآن جاء يصلّ الناس بالله، يُذكّر الناس بالله إذا نسوا، يُقوّي صلتهم به إذا ضعفت، يُعرّفهم بالله إذا جهلوا، ولا يوجد هذا في كتاب من الكتب السماويّة. طالما طالعت في أسفار التوراة الخمسة الموجودة فيما يُسمّى «الكتاب المقدس»، طالعت العهد القديم، والعهد الجديد، ما وجدت ذكراً لله بهذه الكثافة، (الله) في القرآن في كل صفحة، بل في كل بضعة أسطر تجد ذكر الله، وهذا غير الأسماء المختلفة، وغير الأفعال.

هناك ذكر لله بالأفعال، حينما تقرأ قول الله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤]، هذه كلها أفعال، وكلها حديث عن الله، وإن لم تكن فيها لفظ الجلالة.

فالقرآن كلّهُ يهدي إلى الله، ويُقوّي علاقة الإنسان برّبّه.

(١) انظر: تفسير الرّازي (١/١٤٣)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ.

هذا الاسم العظيم (الله)، يريد منا القرآن أن نكون معه دائماً، داعين، مستغفرين، عابدين، مستعنيين، طائعين، متضرعين.

سورة الفاتحة:

انظروا إلى سورة الفاتحة، الفاتحة بدأت بـ(باسم الله)؛ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، تُعَلِّمُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَبْدَأَ كُلَّ مَا يَشْرَعُ فِيهِ بِاسْمِ اللَّهِ، إِذَا أَكَلَتْ تَقُولُ: (باسم الله)، وَإِذَا شَرِبَتْ تَقُولُ: (باسم الله)، وَإِذَا لَبَسَتْ ثَوْبَكَ تَقُولُ: (باسم الله)، وَإِذَا رَكِبَتْ دَابَّتَكَ تَقُولُ: (باسم الله)، وَإِذَا أَرَدَتْ أَنْ تَفْتَحَ مَشْرُوعًا لَكَ افْتَتِحْهُ (باسم الله)، كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا نُوحٌ حِينَ رَكِبَ السَّفِينَةَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِدَهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، وَلَمَّا أَرْسَلَ سَيِّدُنَا سُلَيْمَانَ كِتَابَهُ إِلَى مَلِكَةِ سَبَأَ (بَلْقِيسَ) مَاذَا كَانَ فِيهِ؟ جَمَلَتَيْنِ قَصِيرَتَيْنِ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١]، فَابْتَدَأَ كِتَابَهُ بِاسْمِ اللَّهِ، فَتَسْمِيَةُ اللَّهِ وَجَلَّتْ هِيَ الْبَدَايَةُ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. فِي التَّوْرَةِ وَأَسْفَارِ التَّوْرَةِ يُذَكَّرُ (رَبِّ إِسْرَائِيلَ)، أَوْ (رَبِّ الْجَنُودِ)؛ لِأَنَّهُ إِلَهُ حَرْبِي، لَكِنَّ الْقُرْآنَ يَذَكِّرُ (رَبِّ الْعَالَمِينَ)؛ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، هُوَ الَّذِي يُرَبِّي الْعَالَمِينَ، هُوَ سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هُوَ مَالِكُ الْعَالَمِينَ، هُوَ الَّذِي يُرَبِّيهِمْ، أَيُّ يُرَقِّبُهُمْ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ دَرَجَةً دَرَجَةً، يُشْرِفُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ، هُمْ تَحْتَ عَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَفِي كَفِّهِ الَّذِي لَا يُضَامُ.

﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، هَذِهِ سَنَتَحَدَّثُ عَنْهَا فِي خُطْبَةٍ، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تَحْتَاجُ خُطْبَةً كَامِلَةً، لِنُبَيِّنَ رَحْمَانِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتَهُ.

ثم يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، هذا هو المقصود، تذكّر الله وتحمده، وتثني عليه وتمجّده، لتصل إلى هذه المرتبة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وقد ألف أحد العلماء وهو شيخ الإسلام إسماعيل الهروي رسالة سمّاها: «منازل السائرين إلى مقامات ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾».

ومعنى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: نخضّك يا ربّ ونفردك بالعبادة، فلا نعبد إلاّ إِيَّاكَ، ونفردك بالاستعانة، فلا نستعين إلاّ بك، كما علّم النبي ﷺ ابن عمّه - ابن عبّاس - وهو غلام فقال له: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(١).

هذا هو التوحيد، التوحيد الحقيقي: أن تُفرد الله وحده بالعبادة والاستعانة، فلا تتّجه إلى غيره، ولا تحني رأسك لسواه، ولا تخضع لمخلوقٍ مثلك، أنت سائلٌ وهو سائلٌ على باب الله، فلماذا يسأل شحاذٌ شحاذًا مثله؟ اسأل ربّ الأرض والسموات.

كلُّ ما في الكون يدلُّ على وحدانيّة الله تعالى، الله هو الواحد في غناه، وفي ملكه، وفي عظّمته، فلا تُطأطئ ظهره، ولا تحن رأسك لأحدٍ غيره، كل ما في الكون يدل على هذا، كما يقول أبو العتاهية:

فيا عجبًا كيف يُعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد؟
ولله في كلّ تحريكه وفي كلّ تسكينة شاهد
وفي كلّ شيءٍ له آيةٌ تدلُّ على أنّه الواحد^(٢)!

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣٠٢)، عن ابن عباس.

(٢) انظر: ديوان أبي العتاهية ص ١٢٢، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

الله تعالى هو الواحد لا شريك له، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ثم تُختم السورة بالدعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاحة: ٦، ٧].

سورة الفاتحة كلها ذكر، ولكن أولها ذكرُ ثناءٍ، وآخرها ذكرُ دعاءٍ، فالذكرُ ذكران: ذكرُ الثناء، مثل: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله)، هذا اسمه ذكرُ الثناء على الله. وهناك ذكرُ الدعاء، مثل: (ربِّنا اغفر لنا، اهدنا، أطعمنا من جوع، آمنا من خوف، فرِّج كربتنا، انصرنا على أعدائنا)، هذا ذكرُ الدعاء، والإنسان يُقدِّم ذكرُ الثناء على ذكرُ الدعاء، فأنت حينما تُثني على الله؛ كأنك تُقدِّم مُقدِّمة مُمهِّدة لطلب ما تحبُّ من الله ﷻ، تُثني عليه، وتقول له: أنا محتاجُ إليك يا ربُّ، يا رب اعمل لي كذا، وأعطني كذا يا رب العالمين.

هذا ما يصنعه القرآن، يربط الناس بالله، كما قال أحد الصَّالحين: أعددتُ لكلِّ نعمة: (الحمد لله)، وأعددتُ لكلِّ بليَّة: (إنا لله)، وأعددتُ لكلِّ شِدَّة: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وأعددتُ لكلِّ عدوٍّ: (حسبي الله)، وأعددتُ لكلِّ ذنب: (أستغفر الله).

أعددتُ لكلِّ نعمة (الحمد لله):

كلُّ ما يأتيني من نعم الله أقابله بقول: (الحمد لله)، كما كان النبي ﷺ إذا أصابه ما يُحبُّ قال: «الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات»^(١).

(١) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٨٠٣)، والحاكم في الدعاء (٤٩٩/١)، وصحَّح إسناده، وسكت عنه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٦٥)، عن عائشة.

كما قال أهل الجنة حينما دخلوا الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

وكما قال الله لسيدنا نوح عليه السلام: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ﴾ ونجوتم من الغرق ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وكما قال سيدنا إبراهيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وكما قال سيدنا داود وسليمان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]، فكلُّ نعمة تنالها من الله تقول: (الحمد لله)؛ احمد الله تعالى عليها، هو الذي منحك هذه النعمة.

ولذلك شرع الإسلام حينما تشبع من الطعام، أو ترتوي من الماء أن تقول: (الحمد لله)، «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»^(١). «الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العُرْي، وهدى من الضلالة»^(٢)، «الحمد لله الذي جعله عذبا فُرَاتًا برحمته، ولم يجعله ملحا أجابا بذنوبنا»^(٣).

(١) رواه أحمد (١١٢٧٦)، وقال مخرّجه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأُطعمة (٣٨٥٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٧)، وسكت عنه، وابن ماجه في الأُطعمة (٣٢٨٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٣٦)، عن أبي سعيد.

(٢) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٠٦٠)، وابن حبان في الأُطعمة (٥٢١٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في الدعاء (٥٤٦/١)، وصحّحه على شرط مسلم. عن أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني في الدعاء (٨٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٣٧/٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٤٧٩)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٢٠٢)، عن أبي جعفر مرسلًا.

حينما تلبس ثوبًا تقول: «الحمد لله الذي كساني هذا ورزقني، من غير حَوْلٍ مِنِّي ولا قُوَّةٍ»^(١). «اللهم إني أسألك من خيره وخير ما هو له، وأعوذ بك من شره وشر ما هو له»^(٢). احمد الله عند كل نعمة.

وَأَعَدَدْتُ لِكُلِّ بَلِيَّةٍ: (إِنَّا لِلَّهِ):

القرآن ذكر الصابرين فقال: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦]، سلّموا أمرهم لله، نحن كلنا ملك له، وكلنا راجعون إلى الله **عَجَّلْ**، فهو الذي يُوفِّينا حُسْنَ الجزاء، ويُعَوِّضنا عمّا أصابنا، ويأجرنا على مصيبتنا.

وَأَعَدَدْتُ لِكُلِّ شِدَّةٍ: (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ):

إذا أصابتك الشدائد، ابرأ من حولك وقوّتك، واستعن بحول الله تعالى وقوّته. وإذا نظرت إلى نعم الله عندك فلا تغترّ، ولكن قل: (ما شاء الله لا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ)، كما قال الرجل المؤمن لصاحبه الكافر وهو يحاوره: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، كان يجب أن تقول هذا، بدل أن تغترّ وتنسى نفسك، وتنسى من خلقك، وتنسى الآخرة وتقول: ﴿مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥، ٣٦].

(١) رواه أبو داود في اللباس (٤٠٢٣)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١٢٢/١)، والألباني في صحيح الجامع (٦٠٨٦)، عن معاذ بن أنس.

(٢) رواه أحمد (١١٢٤٨)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٤٠٢٠)، والحاكم (١٩٢/٤)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في اللباس، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٦٤)، عن أبي سعيد.

وَأَعَدَدْتُ لِكُلِّ عَدُوٍّ: (حَسْبِيَ اللَّهُ):

حينما تلقى عدوًّا قويًّا قادرًا تخشى بأسه قل: (حسبي الله)، (حسبي الله ونعم الوكيل)، كما حكى الله تعالى عن المؤمنين: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، خوَّفوهم من قوَّة الأعداء ومن كثرة عددهم وعددهم، فقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، يكفينا الله، هو المدافع عنا، هو الناصر لنا، ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ * فَاَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلِ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ ﴿ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وَأَعَدَدْتُ لِكُلِّ ذَنْبٍ: (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ):

إذا غرَّك الشيطان وأغراك فزلت قدمك ووقعت في المعصية، أو صدك عن ذكر الله وعن الصلاة، أو عن طاعة مفروضة عليك، فأسرع وعد إلى الله، واستغفر لذنبك، وثب إلى ربك، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

هذا هو شأن المؤمن مع ربه، يذكره ولا ينساه، ويشكره ولا يكفره، ويطيعه ولا يعصيه، ويعتصم به ولا ينحرف عنه، ﴿وَمَنْ يَعْصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣]، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٨، ١٩].

هذا هو معنى أن تكون مع الله، أن تذكر الله دائماً في خلوتك وجلوتك، في صباحك ومساءك، في ليلك ونهارك، في حضرك وسفرك، في صحتك وسقمك، في قوتك وضعفك، في غناك وفقرك، في كل أحوالك، لا تنسى الله وَعَجَّلْ، فهذا هو الاعتصام. وهذا هو الزاد، الزاد الذي ينفعك في الآخرة، يوم لا ينفع زادٌ آخر، ويوم لا يُعطيك أحد من زاده؛ لأن كل إنسان يقول: نفسي نفسي. في هذا اليوم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

تزوّد للذي لا بدّ منه فإنّ الموت ميقاتُ العبادِ!
أترضى أن تكون رفيق قومٍ لهم زادٌ وأنتَ بغيرِ زادٍ^(١)؟

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَتَكَزَّوْذُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



(١) ذكره ابن رجب من غير نسبة بلفظ مقارب في لطائف المعارف صـ ٣٤٤، نشر دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:
فأود أن أكلم الإخوة كلمات ثلاث:

فضل عشر ذي الحجّة:

الكلمة الأولى: أن أذكرهم بأيّام عشر ذي الحجّة، فهذه أيّام مُفضّلة ومؤثّرة عند الله، والعمل فيها مضاعف الأجر، والنبّي ﷺ يقول فيما رواه عنه ابن عبّاس: «ما من أيّام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله ورسول الله ﷺ من هذه الأيّام». يعني العشر. قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلّا رجلٌ خرج بنفسه وماله، ثمّ لم يرجع من ذلك بشيء»^(١).

يعني يُقتل في سبيل الله ويذهب ماله في سبيل الله ورسول الله ﷺ، فهذه أيّام صالحة ويُشرع فيها التّسبيح والتّحميد، والتّهليل والتّكبير، والصدقة، والصيام، وفعل الخيرات، في هذه الأيّام يُشرع الصيام فيها، وأفضلها من غير شكّ صيام يوم عرفة، ويوم عرفة - كما قالوا - هو أفضل أيّام السنة، اليوم التاسع من ذي الحجّة أفضل أيّام السنة على الإطلاق، كما أنّ ليلة القدر هي أفضل ليالي السنة على الإطلاق.

في هذا اليوم يقف الحجاج بعرفات، ويبتهلون إلى الله شُعبًا غُبرًا ضاحين، فيغفر الله لهم، فهو أغبط يومٍ على إبليس، يقول النبي ﷺ عن صيام يوم عرفة: «صيام يوم عرفة أحسب على الله أن يُكفّر السنة التي

(١) رواه البخاري في العيدين (٩٦٩).

قبله، والسنة التي بعده»^(١). وهذا غير الكبائر كما جاء في الحديث الصحيح: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات لما بينهنّ إذا اجْتُنبت الكبائر»^(٢). هذه هي الكلمة الأولى.

زيارتي للصين:

الكلمة الثانية: أريد أن أعطيكم لمحة عن زيارتي للصين، فقد زرتُ في الأسبوع الماضي الصين، وفي مثل هذا اليوم ألقى كلمةً بعد صلاة الجمعة في مدينة (شيان)، وهي العاصمة القديمة للصين قبل (بكين)، ظلّت ألف سنة عاصمة للصين، وهي أوّل بلد دخله المسلمون، والمسجد الذي ألقى فيه كلمتي مسجد له ألف ومائتان وثمانون سنة؛ لأنّ الإسلام دخل الصين في القرن الأوّل.

وعندهم في تاريخهم أنّ الخليفة الثالث عثمان أرسل إلى إمبراطور الصين سفيرًا يدعوه إلى الإسلام، وأعطاه هدايا، وإن كان هذا غير واضح في تاريخهم، ولم يقرؤوه قراءة واضحة، لكنّه عندهم في تاريخهم.

وزرنا في هذه المدينة مسجدًا آخر له ألف وثلاثمائة سنة، وهو مسجد كبير جدًّا، فيه ساحات وصحون، وملاحق وراء ملاحق، إلى المسجد الذي تتمُّ فيه الصلاة، وهذه الملاحق يمكن أن يُصلى فيها العيد، ولعلّه أكبر مسجد رأيتُه حتّى الآن بعد الحرمين الشريفين.

الإسلام دخل الصين - أيّها الإخوة - في القرن الأوّل الهجري، المسلمون الأوائل حاولوا أن ينشروا هداية الله في العالم، في عهد بني

(١) رواه مسلم في الصوم (١١٦٢)، عن أبي قتادة.

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، عن أبي هريرة.

أُمَّيَّة الَّذِينَ يَتَّهَمُهُمْ مِنْ يَتَّهَمُهُمْ، كَانَ هُنَاكَ قُتَيْبَةُ بْنُ مَسْلَمٍ الْبَاهِلِي يَفْتَحُ بِلَادَ الصِّينِ، وَمَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأُمَوِي يَفْتَحُ سَمَرْقَنْدَ وَبُخَارَى وَهَذِهِ الْبِلَادِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ الثَّقَفِيِّ يَفْتَحُ بِلَادَ السَّنَدِ، وَمُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ - وَانضَمَّ إِلَيْهِ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ - يَفْتَحُ بِلَادَ الْأَنْدَلُسِ (إِسْبَانِيَا)، أَرْبَعَةُ قُوَادٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ يَحَارِبُونَ فِي جِهَاتٍ أَرْبَعَةٍ، وَانْتَصَرُوا جَمِيعًا فِي جِهَاتِهِمْ، وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَى الصِّينِ.

التَّقِيْتُ بِالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَتْ فَرِحَةٌ أَنْ يَزُورَهُمْ وَفَدَّ مِنْ قَطْرِ وَالسُّعُودِيَّةِ وَمِنَ الْكُوَيْتِ، وَأَقَامُوا مَنَدَى لِلْعُلَمَاءِ وَالْخَبْرَاءِ الْعَرَبِ وَالصِّينِيِّينَ، قُدِّمَتْ فِيهِ بَحُوثٌ وَمُنَاقَشَاتٌ، وَكَانَ عَنِ الْوَسْطِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَنِ الْعِلَاقَةِ الْعَرَبِيَّةِ الصِّينِيَّةِ، وَعَنِ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالثَّقَافَةِ الصِّينِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ ضَمَنِ الْمَحُورِ الْأَوَّلِ: (الْوَسْطِيَّةُ عِنْدَ الْقُرْضَاوِيِّ)، وَقَدَّمَ أَحَدَ أَسَاتِذَةِ الصِّينِيِّينَ بَحْثًا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَارِئٌ لِكُتُبِي، وَأَظْهَرَهُ غَيْرَ مُسْلِمٍ؛ لِأَنَّ اسْمَهُ (جِينُ جُونِ)، وَلَكِنَّهُ يَجِيدُ الْعَرَبِيَّةَ، وَوَجَدْتُ إِحْدَى الطَّالِبَاتِ الصِّينِيَّاتِ قَدَّمَتْ رِسَالَةَ مَا جَسْتِيرَ عَنْ: (الْوَسْطِيَّةُ عِنْدَ الْقُرْضَاوِيِّ)، وَجَدْتُ النَّاسَ مُهْتَمِّينَ بِالْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الْأَوْنَةِ.

وَفِي أَثْنَاءِ زِيَارَتِي لِلصِّينِ صَلَّيْتُ فِي مَسْجِدٍ لَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً فِي مَدِينَةِ (بَكِينِ)، وَكَانَ بِحَمْدِ اللَّهِ ﷻ أَمْرًا مَهْمًا، وَالنَّاسُ قَالُوا: لَا تَتْرَكُونَا، فَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِ هَذِهِ الْبِلَادِ، أَعِيدُوا مَجْدَ الْأَوَائِلِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى هُنَا مِنْ أَكْثَرِ مِنْ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةِ سَنَةٍ.

وَهَذَا مِمَّا يَدُلُّنَا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ - أَنَّ عَلَيْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ وَنَحْنُ الْعَرَبُ خَاصَّةً مَسْئُولِيَّةً عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ، نَحْنُ نَوْْمُنُ أَنَّ الْإِسْلَامَ رِسَالَةٌ عَالَمِيَّةٌ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]،

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، ﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٤]، ولكننا لا نطبق عالميّة الإسلام حقيقة، أهل الإنجيل ترجموا الإنجيل إلى آلاف اللغات واللهجات، ونحن عاجزون أن نترجم معاني القرآن حتّى إلى اللغة الأكثر شهرة وهي الإنجليزيّة، لم تُترجم معاني القرآن ترجمةً يرضى المسلمون عنها مائة في المائة، فعلينا أن نقوم بواجبنا نحو إخواننا المسلمين في أنحاء العالم.

الصراع بين المصريين والجزائريين:

بقيت كلمة أخيرة، لا أريد أن أستفيض فيها؛ لأنّ قلبي مكلوم، عيني تذرف الدمع، ومن حقّها أن تذرف الدمع، وقلبي يتمزّق حسرةً لما جرى في الأيام الأخيرة بين الجزائر ومصر من أجل كرة القدم، انظروا، أمّة تُمزّق روابطها من لعبة كرة القدم! اسمها لعبة، يلعبون في ملعب، يعني ليست من الضروريّات، ولا من الحاجيّات، هي من التّحسينيّات كما يقول علماء الأصول، من أجل أمرٍ تحسينيّ، يمكن أن تعيش ولا تلعب كرة، أنا لم ألعب كرة القدم، كنتُ ألعب «كرة الشراب» في حارتنا زمان، لم ألعب كرة القدم، وما جرى لي شيء، لا نقص ديني، ولا نقصت دنيائي! ولا أهتمّ برؤية هذه الأشياء، ولكنّ هناك شيطاناً - ولا أدري أي شيطان - اخترع هذه اللعبة.

أرى أنّ الرياضة الفرديّة أفضلُ ألف مرّة من لعبة الكرة، أن تلعب في الصباح التمرينات الرياضيّة، ثنيّ ومدّ، وجري ومشّي، هذا يفيد الناس، أمّا أن يلعب عدّة أفراد والملايين يتفرّجون، فماذا يفيد الناس؟! ماذا استفاد الناس من هذا؟ ثمّ تمزّق الناس بعضهم أهلاوي وبعضهم زملاكاوي، وهذا مصري وهذا جزائريّ، ما هذا؟ ماذا يفيد الناس من هذا؟

أنا أصدرتُ بيانًا قلتُ فيه: هذه اللعبة لا تستحق أن يتمزق الناس ويتقاتلوا من أجلها، وهي لا تُدخل الجنة ولا تُزحزح عن النار، وحتى لو انتصرنا في السباقات الأولى، فبعد جولة أو جولتين سنخرج، ويأخذها الأوروبيون والأمريكيون والبرازيليون وأمريكا الجنوبيّة، لم نصل إلى الأدوار النهائية طوال عمر كرة القدم، وحتى لو وصلنا ما الذي سنكسبه؟ هل ستحل الكرة مشكلاتنا؟ هل ستطعمنا من جوع؟ أو تؤمّنا من خوف؟ هل تحل مشكلات البطالة؟

العجيب أنني قرأتُ أن الإسرائيليين كانوا يشمتون بنا، ويسخرون منا، ويضحكون علينا، ويقولون: انظروا إلى العرب، بدل أن يطعموا جائعهم، ويُشغّلوا عاطليهم، يرسلون الطائرات بأبنائهم إلى الملاعب لـ«يتقاتلوا»، انظروا هذه وحدة العرب، هؤلاء هم العرب الموحدون يتقاتلون من أجل كرة القدم، أيّ أمّة هذه؟ أيّ أمّة التي يقاتل بعضها بعضًا من أجل هذه الأشياء؟

أنا أصدرتُ بيانًا، ويعلم الله أنني كنتُ محايدًا تمامًا؛ لأنني أبرأ إلى الله من العصبية، العصبية القبليّة هذه من الجاهليّة، لا ينبغي لإنسان أن يتعصّب لقطر من الأقطار، وأنا والله أحبُّ الجزائر، هذا الشعب عرفته وعرفني، وأحببته وأحببني، ولكنني كنتُ مريدًا للتهدئة، أريد أن نأخذ الأمر برُوح أسمى من هذا، بدل هذا الجوّ المشحون بالغضب، وإشعال الفتنة، وصبّ الزيت على النار.

من الذي يستفيد من هذا؟ والله لا يستفيد من هذا أحدٌ غير إسرائيل، من تعبئة الناس، والشحن المستمرّ، وكأننا في معركة بدر، أو معركة صلاح الدين في حطين، أو معركة قطز في عين جالوت، ليست معركة، ماذا أقول لأمتنا؟!

وللأسف صحيفة جزائرية طالما خصصتها بحوارات وبنشر الكتب، قالت: إنَّ القرضاوي انحاز إلى المصريين، واعتبر الجزائر معتدين وليس معتدي عليهم. ووالله هذا كذب، أنا ما قلتُ هذا، ولعلكم قرأتم في صحف قطر بياني الذي أصدرته، ما دنتُ أحدًا، لقد كنتُ محايدًا أريد التهدئة، لا أريد التعبئة، ولا أريد الشحن. كيف أقول هذا؟! وكان الواجب على هذه الصحيفة أن تنشر بياني ولا تُحرِّفه وتُعلق عليه، لكنها لم تنشر منه كلمة واحدة، الإعلام هو المسؤول الأوَّل عن هذه المصيبة التي نزلت بالأمة ومزقت أبناءها.

فأنا أقول: يا حسرة على قومي، ويا أسفا على قومي، أن يجعلوا من لعبة اسمها (لعبة الكرة) معركة حتى تصبح الأمة ممزقة، وتؤدي إلى أزمات دبلوماسية، وما حدث في السودان من بلاو ومن مصائب، ما هذا يا قوم؟ أي أمة نحن؟!!

إنَّ من واجبنا أن نُشغل بمصائبنا، أن نُشغل بالمسجد الأقصى الأسير، الذي يُمنع المصلون منه، والذي يُعتقل فيه المعتكفون، والذي يجري فيه ما يجري، أن نُشغل بغزة التي أصابها ما أصابها، ولا تزال خرائبها موجودة، ولم يُعمَّر فيها بيت واحد ولا مدرسة واحدة، أن نُشغل بالجائعين الذين لا يجدون ما يأكلون، نُشغل بالعاطلين الذين لا يجدون ما يعملون، نُشغل بالمرضى الذين لا يجدون ما به يتعالجون، نُشغل بالمشاكل التي تملأ الأمة هنا وهناك، بدل أن نُشغل بهذه الأشياء، أن يقاتل بعضنا بعضًا، ونشتري السكاكين ونضرب بعضنا بها، ما هذا؟!!

أنا أربأ بأمتي أن يكون حالها هذا الحال، خصوصًا في هذه الأيام، في ليلة الجمعة وهي ليلة مباركة بطبيعتها، وهي أوَّل ليلة من ليالي

العشر، ﴿وَالْفَجْرِ﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿الفجر: ١، ٢﴾، عشر ذي الحجة، في هذه العشر يتقابل الناس بهذه الروح؟! هذه بلوى أسأل الله تبارك وتعالى أن يزيحها عن الأمة، أن يرزق الأمة حُسن البصيرة، حُسن الوعي، عدم تضخيم ما لا يجوز تضخيمه، أن ننظر إلى الأشياء نظرة حقيقيّة، لا نكبّر الصغير ولا نصغر الكبير، لا نُعظّم الهين ولا نهوّن العظيم، لا نوخّر ما حقّه التقديم ولا نقدّم ما حقّه التأخير، وهذا ما أسمّيه (فقه الأولويات)، هذا الفقه الذي غاب عن الأمة للأسف.

الدعاء:

أسأل الله ﷻ أن يُسدّد خُطأ أُمَّتِنَا، وأن يهديها سبيلها، وأن يُلهمها رشدها، وأن يدفع عنها شياطين الإنس والجنّ، وألّا يجعل لشياطين التفرقة سبيلاً إليها.

اللهمّ اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التّقى، ونفوسها على المحبّة، ونيّاتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

اللهمّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسِنْ عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

اللهمّ اسقنا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين، اللهمّ اسقنا الغيثَ ولا تجعلنا من القانطين، اللهمّ لا تُهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تُسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، وارفعْ مَقْتَكَ وغضَبَكَ عَنَّا، واجعلْ هذا البلد آمناً مُطمَئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ بِمِثْلِ مَا أُقِيْمَ وَآتِ الزَّكَاةَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَارْكَعْ سَعْدًا وَسُجُودًا وَارْكَعْ سَعْدًا وَسُجُودًا
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الإيمان والمؤمنون في القرآن الكريم^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في العام الماضي عشنا في معظم خطبنا مع رسول الله ﷺ، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وجعله أسوة للمؤمنين، ومثلاً أعلى للناس أجمعين، ونريد في هذا العام أن نعيش مع القرآن العظيم، مع كتاب الله، دستور الخالق لهداية الخلق، وقانون السماء لإصلاح أهل الأرض، الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي قال الله تعالى عنه لرسوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

نريد في خطبنا القادمة أن نعيش مع موضوعات القرآن، وفي القرآن مئات - بل آلاف - من الموضوعات تحتاج إلى تجلية وبيان، أصدرت فيها كتابين: الموضوع الأول (الصبر في القرآن الكريم)، والموضوع الثاني (العقل والعلم في القرآن الكريم)، وهناك موضوعات كثيرة ووفيرة

(١) ألقى في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٧ شوال ١٤٣٠هـ الموافق ١٦ أكتوبر

وغزيرة: في العقيدة، وفي الشريعة، وفي الأخلاق، وفي الإنسانيّات، وفي الآداب، وفي كل ناحية من نواحي الحياة.

هناك نوعان من التفسير:

التفسير التحليلي، وهو أن تعيش مع السورة آية آية، تُحلّل ألفاظها وتشرحها.

والتفسير الموضوعي، وهو أن تتحدّث عن موضوع من موضوعات القرآن، فهناك الإيمان في القرآن، والإسلام في القرآن، والتوحيد في القرآن، والشرك في القرآن، والنفاق في القرآن، والصدق في القرآن، والأمانة في القرآن، واليهود في القرآن، والنصارى في القرآن، والوثنيون في القرآن، والأخوة في القرآن، والأبوة والبنوة في القرآن، والحبُّ والبغض في القرآن، والصدّاقة والعداوة في القرآن، هناك آلاف الموضوعات، أن تعيش معها يُسمّى العلماء (التفسير الموضوعي للقرآن).

طبعا نحن في أيّ خطبة من الخطب لا نستطيع أن نشبع الموضوع بحثا، ولا أن نتناوله من كل جوانبه، ولكن نستطيع على الأقل أن نلقي ضوءا كاشفاً عليه، اليوم نبدأ بموضوع (الإيمان والمؤمنون في القرآن الكريم).

تناول القرآن جانب الإيمان والمؤمنين، وللإيمان في القرآن مساحة عريضة جدًا، تناول القرآن المؤمنين، وما يؤمنون به، وأثر الإيمان في حياة الإنسان، وحقيقة الإيمان، والإيمان الزائف، والإيمان الحقيقي، إلى آخر هذه الموضوعات.



الإيمان عملٌ قلبي:

الإيمان عملٌ قلبي، فأساس الإيمان عمل القلب، يعتقد القلب أولاً، ثم ينضح على الجوارح وفي الأعمال، لكن أصل الإيمان في القلب، إذا لم يكن أصله في القلب فمهما قلتَ من أقوال، ومهما عملتَ من أعمالٍ فلا قيمة لهذا كله.

بل قد يكفر الإنسان بلسانه ويبقى مؤمناً، كما فعل سيّدنا عمّار بن ياسر حينما شدّدوا عليه العذاب، وطلبوا منه أن يقول كلمة ضدّ الإسلام فقال بلسانه، ثمّ جاء إلى رسول الله يبكي، فنزل قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]. هذا لا حرج عليه، حتّى لو كفر بلسانه ما دام مضطّراً، فهناك إنسان يقول: كفرتُ. وقلبه مطمئنٌ بالإيمان.

وهناك إنسان آخر يقول بلسانه: آمنتُ. وقلبه خالٍ من الإيمان، كأولئك المنافقين في عهد رسول الله ﷺ الذين حكى القرآن عنهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ * يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ - ١٠]. في قلوبهم شكٌ وشبهات وريب، هؤلاء أصحاب دعوى أنّهم مؤمنون، ولكن إذا فتّشت عن قلوبهم لا تجد فيها نور الإيمان.

هؤلاء يلقون الناس بوجهين، ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ * [البقرة: ١٤]، إذا لقوا شياطينهم من أهل الكفر قالوا: إنّنا معكم، نحن نسخر من هؤلاء المؤمنين، نخدعهم، نظهر لهم الإيمان ولسنا بمؤمنين!

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رِحْتِ بِحَرْثِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٥، ١٦].

أساس الإيمان رسوخ العقيدة في القلب، كما قال الله تعالى:
﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].
سُجِّلَ الْإِيمَانَ عَلَىٰ صَفْحَاتِ قُلُوبِهِمْ.

وفي سياقٍ آخر يقول الله تعالى: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤]. أسلموا في الظاهر، ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم، هناك ناس ﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَأَمْنَا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [المائدة: ٤١].

علاقة الإيمان بالعمل:

أساس الإيمان - إذن - هو القلب، ثمَّ يأتي العمل، فالعمل من ثمار الإيمان، ومن آثار الإيمان، لا يمكن أن يؤمن الإنسان ولا تظهر آثار الإيمان على أقواله وأفعاله وواقع حياته، يستحيل هذا.

اختلف علماء الكلام: هل العمل جزءٌ من الإيمان، أم شرط للإيمان، أم ركن في الإيمان؟ ونحن لا يُهْمُنَا هذا الكلام، نحن نقول: إنَّ الإيمان لا بدَّ أن يثمر العمل، فحينما قال الله للأعراب: ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤]. قال بعدها: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥]، آمنوا إيماناً لم يعتره شكٌّ، وجاهدوا وضحوا من أجله، لا يمكن أن يؤمن الإنسان ولا يُضْحِي من أجل إيمانه، لا يبذل ماله ونفسه نصرة لعقيدته، ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾.

ومن يقرأ القرآن يجده يُجسّد الإيمان في أعمال وأخلاق، اقرؤوا
سور القرآن تجدوا هذا واضحًا جليًّا، في سورة الأنفال يقول الله تعالى:
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *
أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وفي سورة المؤمنون يقول الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المؤمنون: ١].
مَنْ هُمْ؟ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ
* وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ
أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ
صَلَاتِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ [المؤمنون: ٢ - ٩]. هذه كلها أخلاق المؤمنين وأعمال
المؤمنين، لا يوجد مؤمنون خالون من عمل، ما معنى إيمان
بلا عمل!؟

لا يُتصوّر إيمان بلا عمل، إلا إذا كان الإنسان مُكرهًا على ذلك، مثل
مؤمن آل فرعون، ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾
[غافر: ٢٨]، إيمانه عقيدة في قلبه؛ لأنه لا يستطيع وهو في حجر آل فرعون
وفي بيته أن يعمل شيئًا، ومثل النجاشي الذي أسلم، ولكنه لم يستطع أن
يعمل شيئًا، فرغم أنه كان ملك الحبشة؛ لكنه لم يستطع أن يثور على
شعبه، ويثور عليه شعبه، فلم يعمل إلا بما أمكنه.

أمّا الإنسان المُتمكّن من العمل فلا بدّ أن يظهر إيمانه في حياته قولًا
وعملًا، وأخلاقًا وسلوكًا، ودعوة للغير، هذا هو شأن الإيمان.

الإيمان عمل اختياري:

والإيمان - أيها الإخوة - عمل اختياري، أنت مسؤول عن إيمانك، لا يحول بينك وبين الإيمان شيء، فلا يحتاج الإيمان إلى إكراه، الله لا يكره الناس على الإيمان، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ولذلك فالذين يقولون: إن الإسلام انتشر بالسيف. قولهم كذب، فالإسلام لا يقبل من يدخله تحت بريق السيف، لو رفع أحدهم السيف يكره به أحدًا على الإسلام فأسلم لا يُعتبر مسلمًا. وقد رأينا القرآن يرد إيمان فرعون حينما آمن ساعة الغرق: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، هنا قال الله له: ﴿ءَأَلْكَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. فالإيمان الاضطراري لا يُقبل.

ورأينا القرآن يرد إيمان الذين أنزل الله بهم بأسه وعقوبته: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥]؛ لأنه لم يعد لهم خيار، لا بد أن تُسلم وأنت قادر على ألا تُسلم، أمّا إذا كنت مُكرهًا وليس عندك خيار آخر؛ فهذا الإسلام لا يُقبل منك.

الإيمان - إذن - عمل اختياري من أعمال الإرادة والقلب، العقل يُفكر، والإرادة تُرجح، والإنسان يختار بملء إرادته أن هذا هو الحق، وهذا هو الطريق المستقيم فيختاره عن طواعية، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ [الانشقاق: ٢٠]، ﴿ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [النساء: ٣٩].
لو كان الإيمان غير اختياري ما وبّخهم!

ويقول: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴾ [الإسراء: ١٠٧]. أنتم أحرار، ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩]، فالإنسان أعطاه الله الحرّية، ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء: ١٥]، صحيح أن هناك نفحات من الله تعالى تُيسّر للإنسان سبيل الإيمان، وتشرح صدره للإيمان، ولكن كل الناس مفتوحة أمامهم سبل الهداية وأبواب الإيمان.

لا بد من أن تصل دعوة الإسلام واضحة صريحة:

وإذا لم تصل إلى الإنسان دعوة الله واضحة جليّة لا يُعذّب، لا بدّ لكي تقوم الحُجّة على الإنسان أن تصل إليه الدعوة عن طريق رسل الله، وأن تصل مُشوّقة تحثُّ على البحث والنظر والتأمّل، فإذا لم تصل إليه الدعوة هكذا لا يُعذّب، يكون ناجياً، والقرآن يقول: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

وحينما يدخل أهل النار النار يُقال لهم: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [الملك: ٨].
ألم يأتكم رسولٌ يندركم؟ ﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الملك: ٩]، ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: ٧١]، تُقام عليهم الحُجّة فيعترفون.

إذا لم يصل إلى الناس رسول يُبين لهم الهدى، ويُنذرهم بآيات الله، ويُخوّفهم من لقاء الله، ويُرغبهم فيما عند الله؛ فليس عليهم جناح، وليس عليهم سبيل.

إِنَّمَا يُعَذِّبُ اللَّهُ مَنْ كَفَرَ مُشَاقًّا لِلرَّسُولِ - أَيِّ رَسُولٍ - مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

الإنسان - إذن - مختارٌ أن يؤمن أو لا يؤمن، وهذه قضية خطيرة، فمعنى يؤمن أو لا يؤمن: إمَّا نجاة الأبد، أو هلاك الأبد، جنَّة أو نار، خلود لا نهاية له، أخطر قضية، القضية المصيرية الأولى للإنسان، قضية الإيمان أو الكفر، الهداية أو الضلالة، ولذلك إذا أنعم الله على الإنسان بنعمة الهداية إلى الإيمان؛ فهذه النعمة تُعتبر أعظم نعم الله وَعَلَى عَلَيْهِ، نعمة الهداية إلى الإيمان هي أعظم النعم.

الهداية من أعظم النعم:

هَبْ أَنْكَ أَذْكَى خَلَقَ اللَّهُ، وَأَنْبَغَ خَلَقَ اللَّهُ، وَأَعْظَمَ عَبْقَرِيٍّ فِي الْأَرْضِ؛ مَا قِيَمَةُ ذَكَائِكَ وَنَبُوغِكَ وَعَبْقَرِيَّتِكَ، إِذَا لَمْ يَهْدِكَ هَذَا إِلَى الْإِيمَانِ، وَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ؟! مَاذَا تَنْفَعُ الْعَبْقَرِيَّةَ إِذَا انْتَهَتْ بِكَ إِلَى جَهَنَّمَ؟! وَإِذَا كُنْتَ أَغْنَى النَّاسِ وَعِنْدَكَ كَنْوَزُ قَارُونَ؛ فَمَا قِيَمَةُ كَنْوَزِ قَارُونَ إِذَا لَمْ تَهْتَدِ إِلَى الْإِيمَانِ؟ وَإِذَا كَانَ عِنْدَكَ مُلْكُ سُلَيْمَانَ؛ فَمَا قِيَمَةُ مَلِكِ سُلَيْمَانَ إِذَا لَمْ تَهْتَدِ إِلَى الْإِيمَانِ؟!!

الهداية إلى الإيمان هي أعظم نعم الله على عباد الله، ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]، ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ ﴿ فَضَلَّ اللَّهُ مِنْ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾ [الحجرات: ٧، ٨]، نعمة الإيمان أعظم نعم الله على عباد الله.

وهذه النعمة تستوجب شكرًا، هذا الشكر أن يثبت الإنسان على الإيمان، مهما أودى في سبيل الله يصبر ويتحمل، ولا يبالي بما يصيبه في ذات الله **وَعَجَلٌ**، ولذلك وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

حينما رأوا جموع الكفار، وجحافل الكفر، ومعهم السلاح والعتاد، وجاءوا بقضهم وقضيضهم، يهاجمون المسلمين في عُقر دارهم في المدينة، حينما رآهم المؤمنون لم تطر قلوبهم فرعًا، ولم تضطرب أفئدتهم خوفًا، وإنما قالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾. وَعَدَانَا بِهِذِهِ الزَّلَازِلِ وَهَذِهِ الْمُحَنِّ، وَصَدَقَا فِيمَا قَالَا: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]. لتجتمع الجموع، ولتتجيش الجيوش؛ فمعنا الله يكفيننا إياهم، ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، نعم المولى ونعم النصير، ﴿فَأَنْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

الإيمان يصنع الأمة المؤمنة:

الإيمان يصنع الفرد المؤمن، والأسرة المؤمنة، والمجتمع المؤمن، والأمة المؤمنة، والقرآن يسمي هؤلاء (المؤمنين)، أو (الذين آمنوا)، لم يقل: بماذا آمنوا؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]،

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر: ٥١]،
 ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
 [المنافقون: ٨]، ﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٦].

هكذا أصبح تعبير (الذين آمنوا) أو (المؤمنين) مصطلحاً على فئة من الناس معروف أنها آمنت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالقرآن إماماً، آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، هذا معروف لكنه لا يذكر، مجرد أن يذكر الذين آمنوا أو المؤمنين يُعرف أنهم الفئة المؤمنة، الجماعة المؤمنة، أمّة الإسلام، ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

خاطب القرآن هذه الجماعة المؤمنة أكثر من تسعين مرّة بقوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾. لم يذكر بماذا آمنوا؟ فهم معروفون، إذا قيل: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾. عرفوا، تسعين مرّة يخاطبهم القرآن بقوله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾. ابتدأت في سورة البقرة: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٠٤]. وانتهت في سورة التحريم: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: ٨].

وهذا خطاب لإقامة المجتمع المؤمن، مَنْ أراد أن يعرف المجتمع المؤمن كما يريد الله وَجَّكَ، وكما يُصَوِّرُه القرآن فليتبّع هذه الآيات، ماذا يطلب الله منهم؟ إذا عرفنا هذا عرفنا كيف يتكون المجتمع المؤمن؟ فالمجتمع المؤمن لا يتكون بمجرد الكلام، أو بمجرد الشعارات، أو بمجرد الدعاوى، لا، بل مطلوب منه أوامر يُنفَّذها، ونواهٍ ينتهي عنها، وفرائض يؤدِّيها، وتوجيهات لا بدّ أن يراعيها.

إبراهيم ﷺ نموذج حي للمؤمنين:

والقرآن يُقدم لنا الإيمان في نماذج حيّة تتجسّد أمامنا واقعًا يراها الناس بأعينهم، ويلمسونها بأيديهم، يُقدّم لنا نموذج الشباب حين يؤمن متمثلاً في إبراهيم ﷺ حينما آمن بالله وحده، ورفض الأصنام، وحطّمها: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٨]، جعلها فُتَاتًا إِلَّا الصنم الكبير تركه، وعلّق الفأس في رأسه، ولمّا جاء القوم عبّاد الأصنام، وجدوا أصنامهم جُذَاذًا مُحَطَّمَةً: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩].

أيُّ آلهة هذه التي لا تستطيع أن تدافع عن نفسها؟ وإذا كانت لم تستطع أن تدافع عن نفسها؛ فكيف تطلب منها النفع والشفاء والنصر والقوة؟ هذه الوثنيّة خبل! ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠]، إبراهيم وهو فتى حطّم الأصنام، وتعرّض لما تعرّض له، ولكن الله نجّاه.

نموذج الفتية أصحاب الكهف:

كما ذكر لنا القرآن نموذجًا آخر للشباب المؤمن يتمثل في هؤلاء الفتية أهل الكهف، المجموعة الصغيرة الذين اختلفوا في عددهم، وأقصى ما قيل فيهم أنّهم سبعة وثامنهم كلبهم: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، حتّى كلبهم ذكر في القرآن عدّة مرّات، لأنّه صاحبهم، ومنّ صاحب السعيد يسعد، ومنّ جاور الطيبين طاب.

يقول الله تعالى في هؤلاء الفتية: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا * هَتُولَاءِ قَوْمُنَا
أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءِلهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَنٍ بَيْنِ * هل يملكون
حُجَّةً أو برهانًا أو دليلًا على أحقيّة هذه الالهة من الأحجار وغيرها بالعبادة؟
لا يملكون دليلًا، * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * [الكهف: ١٣، ١٥].

ثم اعتزلوا قومهم فرارًا من بطشهم، قالوا: * فَأَوْرَأُ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ
رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا * [الكهف: ١٦]. فأووا إلى الكهف،
وناموا فيه، * فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * [الكهف: ١١]،
* وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا * [الكهف: ٢٥]، لم يكن
أمامهم غير هذا، فهم عدد قليل، ولا سلاح معهم، ولا سلطان يحميهم
ولا قوّة، فليس لهم إلا اللجوء إلى الكهف حتّى يُغَيِّرَ اللهُ مِنْ حَالٍ إِلَى
حَالٍ، فكانوا نماذج من الشباب المؤمن.

نموذج امرأة فرعون:

وذكر القرآن امرأة فرعون نموذجا للمرأة حين تؤمن، * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ * [التحریم: ١١]،
لم يُغْرِهَا ملك فرعون الذي تجري الأنهار من تحته، ولم يُرْهِبْهَا جبروته
وبطشه، وهو الذي يقول للناس: * أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى * [النازعات: ٢٤]، * فَاسْتَخَفَّ
قَوْمَهُ، فَطَاعُوهُ * [الزخرف: ٥٤]، لم ترغب فيه، ولم ترهب منه، وآمنت برب
هارون وموسى، وقالوا: إن فرعون كان يؤذيها يومًا بعد يوم، وهي لا تبالي
بما يصيبها من أذى. ولسان حالها يقول: لو قطعتموني إربًا إربًا ما ازددت في
الله إلا حبًا وحبًا. قالت: * رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ * [التحریم: ١١]، ابن لي
عندك. قالوا: إنها طلبت الرفيق قبل الطريق، والجار قبل الدار، * وَنَجِّنِي مِنَ
فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * [التحریم: ١١].

وذكر لنا القرآن الجنَّ حين يؤمنون، ماذا فعلوا؟ ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿قَالُوا يَنْقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿يَنْقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ، يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿[الأحقاف: ٢٩-٣١]، إلى آخر ما قالوه في سورة الأحقاف، وفي سورة الجن، آمنوا، وتغيّر حالهم.

نموذج سحرة فرعون:

وذكر لنا القرآن قصّة السحرة حينما آمنوا، سحرة فرعون الذين جمعهم فرعون من آفاق مصر، من كلِّ مُدُنْهَا وقراها، جمع كلِّ سَحَّارِ عَلِيمٍ يتحدّى بهم موسى، وأغراهم بالمال والجاه، ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا أَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ﴾ ﴿[الشعراء: ٤١، ٤٢]، لكم مالٌ، ولكم جاهٌ، ولكم مناصبٌ.

ولكنّهم حين تبين لهم الحقُّ، ولاح لهم بوضوح ركلوا ملك فرعون، وما وعد به فرعون تحت أقدامهم لأنّهم آمنوا عن علم، فالساحر حينما يغلب الساحر تبقى أدوات الساحر المغلوب كما هي، تبقى معه حباله وعصيه دون تأثير، ولكنّ عصا موسى لقتت وابتلعت هذه العِصِيَّ والحبال؛ فأبى ساحر هذا؟ فعرفوا أنّ هذا لا يمكن أن يكون عملَ ساحر، إنّهُ صنع الله رب العالمين، ولذلك ألقى السحرة ساجدين ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ﴿[الأعراف: ١٢٠-١٢٢].

حاول فرعون أن يتهدّدهم ويتوعّدهم ويخوّفهم، وهو يستطيع أن يفعل ما يقول، قادر وفاجر، قال لهم: ﴿فَلَا قَطْعَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَيْتِكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ﴿[طه: ٧١].

ولكن هؤلاء السحرة حين خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان نظروا إلى فرعون من عل، كأنك تقف فوق برج عالٍ تنظر إلى إنسان فتجده صغيراً كالنملة، وكما ننظر من الطائرة إلى البلاد لا تكاد تُرى، هكذا نظروا إلى فرعون، وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]. يا عجباً، منذ لحظات كانوا يحلفون ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، الآن يقولون: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

الإيمان - أيها الإخوة - قوّة مثبتة، تُثبت الإنسان على يقينه وعقيدته فلا يتزحزح، يصبح كالطود الأشم لا تزعزعه الرياح، ولا تنزله الأحداث، وهو قوّة حافزة لفعل الخير، وللتضحية في سبيل الله، لا يبالي بما أنفق من مال، ولا بما بذل من نفس، هذا شأن الإيمان.

الإيمان قوّة هادية وراذعة:

والإيمان قوّة هادية، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]. يُعطي الإنسان نوراً يضيء له الطريق، تنكشف له الحقائق، لا تلتبس عليه الأمور، لا يختلط عليه الحقُّ بالباطل، والحابل بالنابل، لا، بل يُعطيه الإيمان فرقاناً، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، تفرقون به بين الحقِّ والباطل، والخطأ والصواب، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ [الحديد: ٢٨]، ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والإيمان أيضاً قوّة راذعة وضابطة، يردع الإنسان عن الشرِّ، عن الظلم، عن الاعتداء، لا يخاف إلا الله وحده؛ كما رأينا خيري ابني آدم،

حينما هدد ابن آدم الظالم أخاه الطيب، ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، أتقتلني لأن الله قبل قرباني ولم يقبل قربانك؟ ابحث عن قلبك أنت، انظر ماذا عندك من خلل فتصلحه. قال: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]. فالإيمان قوة ضابطة وراعدة عن الشر.

الإيمان قوة محرّكة:

والإيمان كذلك قوة محرّكة إلى كل عمل صالح، وإلى كل عمل إيجابي، وإلى كل بناء للخيرات، الإيمان وراءه كل خيرات الدنيا والآخرة، حسبك أن معية الله وُجِّبَ مع المؤمنين، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

وهذه معية غير المعية العامة، أن الله مع الناس جميعاً بعلمه وإحاطته، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]، هذه معية عامة تشمل البرّ والفاجر، والمؤمن والكافر.

ولكن هناك معية خاصّة، معية التأييد والنصرة، والرعاية والعناية من الله وُجِّبَ، هذه المعية خاصّة بالمؤمنين والأنبياء، كما قال موسى ﷺ لقومه حينما قالوا له: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، أدركنا فرعون، هلكننا وضيعنا. البحر أمامهم، وفرعون وراءهم، قال لهم موسى: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. لا بدّ أنه سيهديني إلى حلّ، وإن كنت لا أعرف ما هو، ولكن ربّي لن يدعني.

كان موسى على يقين بأن الله لن يتخلّى عنه، لأنّه هو الذي قال له ولأخيه هارون من قبل: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۖ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ

أَوْ يَخْشَى * قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * [طه: ٤٣ - ٤٦].

لم ينس موسى هذه الكلمة، وقال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. وقد هداه الله، قال: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣]. وسيلة لم تخطر له على بال، ولا على بال أحد، البحر أمامك فكيف تخوضه؟ ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، جبل من هنا، وجبل من هنا، وطريق يبس في الوسط، ﴿وَأُنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ثم أغرقنا الآخرين * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * [الشعراء: ٦٥ - ٦٧].

كلمات تخرج من مشكاة واحدة:

وهذا مُحَمَّدٌ ﷺ حينما ذهب إلى الغار، يختبئ فيه حتى يهدأ الطلب، وجاء المشركون إلى باب الغار، وصلوا عن طريق القافة وتتبع الأثر، وأبو بكر يقول له وهما داخل الغار: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. لو كلف أحدهم خاطره وانحنى لرآنا، فيقول له النبي ﷺ: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١).

انظر كيف تتشابه النبوات، إنها كلمات تخرج من مشكاة واحدة، ومنبع واحد، ومصدر واحد، موسى يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. ومحمد يقول: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا * [التوبة: ٤٠].

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي بكر الصديق.

الإيمان وراء كل خير:

معية الله، وولاية الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

ودفاع الله وحمایته، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

ونصر الله تعالى وتأييده، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١]، فكلُّ خير في الدنيا والآخرة هو أثر من آثار الإيمان الحق، لا الإيمان الزائف، لا إيمان الشعارات والدعاوى، الذي ليس وراءه عملٌ ولا تضحيةٌ ولا جهاد.

الإيمان الحق هو مصدر القوة، يجعل صاحبه أقوى ما يكون وأرسخ ما يكون، كما صنع الإيمان بأصحاب مُحَمَّد ﷺ فنصرهم الله وهم أذلة، وأيدهم الله وهم قلة، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ﴾ [الأعراف: ٨٦]، ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

لقد انتصرت الجماعة المؤمنة التي آمنت بمُحَمَّد ﷺ، وَرَضِيَتْ بِاللَّهِ رَبًّا، وبالإسلام دينًا، وبمُحَمَّد نبيًا ورسولًا، وبالقرآن إمامًا ومنهاجًا، انتصرت هذه الجماعة على أعدائها وما كان أكثرهم، على الوثنيين من العرب، واليهود من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر، والمُتَرَبِّصِينَ مِنَ النَّصَارَى الْبِيزَنْطِيِّينَ وَالْمَجُوسِ فِي بِلَادِ فِارَسِ،

والطابور الخامس من المنافقين الذين يعيشون بين ظهرانيهم. هذه الجبهات كلها حاربوا فيها، وانتصروا عليها بفضل الإيمان، عاشوا بالإيمان، وعاشوا للإيمان، وماتوا على الإيمان، وكان الإيمان أحب إليهم من كل شيء.

عاشوا بهذا الإيمان سعداء مطمئنين، لأن الإيمان يُورث الطمأنينة والسكينة، ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بكثرة الحُجج وقوتها، كلما تعرّف الإنسان على آثار الله، وعرف حكمة الله في كونه وفي شرعه يزداد إيمانه، ويزداد بالطاعات أيضاً، وليس إيمان أبي بكر كإيمان غيره، كما جاء عن عمر: لو وُزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة لرجح إيمان أبي بكر^(١).

ويوم مات رسول الله ﷺ، وهاج الصحابة قال عمر رضي الله عنه: من قال: إن رسول الله قد مات ضربت عنقه. وآخرون لم يُصدّقوا، ولكن الذي وقف كالجبل الراسخ هو أبو بكر رضي الله عنه، قال بثقة المؤمن وإيمان الوثاق: أيها الناس، مَنْ كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، وَمَنْ كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت. ثُمَّ تلا الآية الكريمة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال بعض الصحابة: كأننا لم نسمعها من قبل^(٢). مع أنها نزلت عليهم، وتليت عليهم، وحفظوها، ولكن من هول الموقف نسوا، ولكن هكذا كان إيمان أبي بكر.

(١) رواه البيهقي في الشعب (٣٦)، وصحح إسناده العراقي في تخريج الإحياء ص ٦٤.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢٠١/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

أبو بكر هو الذي وقف أمام المُرتدِّين ومانعي الزكاة حينما تخاذل كثير من الصحابة وقالوا له: الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين. قال: والله لو منعوني عقال بغير كانوا يؤدُّونه لرسول الله لقاتلتهم عليه^(١). فكان إيمان أبي بكر يزن إيمان الأمة، فالإيمان يزيد وينقص.

من آثار الإيمان:

وللإيمان حلاوة، فالرسول ﷺ يقول: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه، وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلاَّ الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»^(٢). من آثار الإيمان هذه الحلاوة.

ومن آثار الإيمان هذا الأمان، هذه السكينة، هذه الطمأنينة، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، هذا الأمان النفسي الذي يقول عنه القرآن: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وردت هذه الآية في قصَّة سيِّدنا إبراهيم حينما خوّفوه بأصنامهم وألهتهم أن تؤذيه، وأن تكيد له، وأن تفعل به كذا وكذا، قال: ﴿وَكَيفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]. من الذي يحق له أن يخاف؟ ومن الذي يحق له أن يأمن؟ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

بعض الصحابة فهم أنّ الظلم هو كلُّ معصية، ومنّ ذا الذي لا يخلو من معصية؟ ففسّره النبيّ لهم أنّ هذا ليس هو المراد، وأنّ المراد ما قاله العبد الصالح: ﴿يَبْنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]^(١). فمعنى لم يلبسوا إيمانهم بظلم: أي لم يخلطوا إيمانهم بأي نوع من الشرك. المشرك يخاف من كلّ شيء: يخاف من الفقر، ويخاف من المرض، ويخاف من الشيخوخة، ويخاف من الموت، ويخاف من العفاريت، إلى آخره، ولكن المؤمن لا يخاف إلا الله: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

هكذا يصنع الإيمان، وهكذا تكون حياة المؤمنين، فيا أيّها الإخوة والأخوات من المؤمنين والمؤمنات؛ استمسكوا بالعروة الوثقى لا انفصام لها، عروة الإيمان، ولا شيء غير الإيمان: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يشرح صدورنا بنور الإيمان، وأن يهدينا بهداية الإيمان، وأن يسلك بنا طرائق المؤمنين، ويوفّقنا إلى صراط المؤمنين المستقيم، ويزيدنا إيماناً على إيماننا؛ إنه نعم المولى ونعم النصير. أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم؛ فادعوه يستجب لكم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٦٠)، ومسلم في الإيمان (١٢٤)، عن ابن



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

إفراج السلطات الليبية عن بعض السجناء:

قرأتُ اليوم في صحيفة (الوطن) القطريّة خبرًا يلزمني أن أُعلّق عليه، وهو قرار صدر من الجماهيرية الليبية بإطلاق سراح ثمانية وثمانين سجينًا إسلاميًا، كانوا مُتَّهَمِينَ من قِبَل النظام الليبي بأعمال العنف، والمشاركة في بعض الأعمال، من أنصار القاعدة، أو المُقَرَّبِينَ من القاعدة، ومن الجماعات المُقاتلة؛ فأفرجت الدولة عنهم من سجن (أبو سليم) سيِّئ السُّمعة، وقالوا: إنَّهم مُصَمَّمون على أن يهدموا هذا السجن لما يحمل من ذكريات سيِّئة في تعذيب الناس من قبل ذلك.

وإنِّي أبارك هذه الخطوة، وأُحَيِّي كلَّ بلد تحاول أن تصلح ما بينها وبين أبنائها، الدول ليست خصومًا للشعوب، المفروض أن الدولة بمثابة الأب للشعب، فهي تحنو عليه، وتُرَبِّت على كتفه، وتحاول أن تُصَحِّح خطأه، وأن تدعوه إلى التوبة، وأن تُرَحِّب بمن يُقبل عليها، ومن لا يفعل لا يجوز أن تُعامله بالعنف.

أنا أعجب لبعض البلاد الذين يستخدمون المحاكم العسكريّة، ويحاكمون أناسًا لو عُرضوا على المحاكم المدنيّة لبرّأتهم مائة في المائة، وألفًا في المائة، أعجب لمحاولة بعض الدول أن تقيم فجوات بينها وبين شعوبها، دول أمّتنا وحدها هي التي تفعل ذلك، أمّا دول الأمم الأخرى فهي تحاول أن تُقَرِّب ما بينها وبين شعوبها، ولكنا في بلادنا نجد خصومة وقطيعة - وأحيانًا حروبًا - بين الشعوب والحكومات، ولذلك

فكلُّ دولة تسعى إلى إصلاح ما بينها وبين شعوبها، وطبي هذه الصفحات، وفتح صفحات جديدة؛ تقوم على التعاون المشترك، وهذا أمرٌ محمود ومطلوب.

نحن في حاجة إلى أن نبني أُمَّتَنَا، فأُمَّتَنَا متخلِّفة في كلِّ النواحي، كلُّنا محسوبون على البلاد النامية، أي: المُتَخَلِّفة، كلُّنا نتبع العالم الثالث، فنحن في حاجة إلى بناء أُمَّتَنَا من جديد، ونحتاج إلى جهود مضاعفة حتَّى نلحق بركب الأمم المُتَقَدِّمة، وهذا يدعونا إلى أن نبني لا أن نهدم، إلى أن نُقَرِّب لا أن نباعد، إلى أن نجتمع لا أن نُفَرِّق، إلى أن نصلح لا أن نفسد، إلى أن نَمُدَّ أيدينا بالصفح والمسامحة لا أن نَمُدَّ أيدينا بالضرب والتعذيب والقتل في داخل السجون.

ولذلك أُحْيِي ما قامت به ليبيا في هذا الأمر، وأُحْيِي أيَّ دولة تقوم بما تقوم به ليبيا، وشكر الله لكلِّ من سعى في هذا السبيل، وأسأل الله ﷻ أن يجمع كلمة هذه الأمة التي تفرَّقت مناهجها، وتفرَّقت غاياتها، وتفرَّقت مذاهبها وسبلها؛ على الهدى، وقلوبها على التُّقى، ونفوسها على المحبَّة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، وأن يجعل يومها خيراً من أمسها، وغدها خيراً من يومها، وأن يُحسِنَ عاقبتها في الأمور كُلِّها؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.



توحيد الله في القرآن الكريم (١) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

بدأنا في سلسلة حول موضوعات القرآن الكريم، وتحدثنا عن الموضوع الأول في الخطبة الفاتية وهو الإيمان بالله تبارك وتعالى، وعن أثر هذا الإيمان في النفس والحياة: حياة الفرد، وحياة المجتمع، وحياة الأمة، واليوم نتحدث حول هذا الموضوع (الإيمان بالله).

أركان الإيمان:

للإيمان بالله أركان ذكرها القرآن في خمسة أمور، وذكرتها السنة في ستة، الخمسة القرآنية: هي أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر. وزادت السنة ركنًا سادسًا: هو أن تؤمن بالقدر: خيره وشره، حلوه ومُمرّه^(٢)، وهي في الحقيقة ليست زيادة؛ لأنَّ الإيمان بالقدر هو جزء من الإيمان بالله تبارك وتعالى، فحينما قال

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٩م.

(٢) كما في حديث جبريل المشهور: رواه مسلم في الإيمان (٨)، وأحمد (٣٦٧)، وأبو داود في السنة (٤٦٩٥)، عن عمر.

القرآن: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [البقرة: ١٧٧]. كان الإيمان بالقدر داخلاً ضمن الإيمان بالله، لأن معنى الإيمان بالقدر: أن تؤمن بأن الله علم الأشياء وأرادها، وقدرها قبل أن يخلقها، فهذا هو جزء من الإيمان بالله تبارك وتعالى، فلا خلاف بين القرآن والسنة في تحديد أركان العقيدة أو أركان الإيمان بالله تبارك وتعالى.

العنصر المعرفي في التوحيد:

أول ما يجب أن تؤمن به بالنسبة لله تعالى: هو أن توحد الله وَعَجَلٌ، أن تعلم أن الله تعالى واحدٌ أحد، لا شريك له، ولا ند له، ولا ضد له، ولا كُفء له، ولا ولد، ولا والد له، لا بد أن تؤمن بهذا الأمر: وحدانية الله وَعَجَلٌ، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤]، هذا هو التوحيد العلمي النظري الاعتقادي، أن تؤمن وتعتقد، وتعرف وتؤمن كل اليقين: أن الله واحد ليس له شريك في الملك، وليس له أحد يناظره أو يُدانيه أو يقاربه؛ لأنَّ الجميع خلقه، ولا يستوي الخلق والخالق، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، فهذا هو العنصر الأول من عناصر التوحيد: العنصر النظري المعرفي العلمي الاعتقادي.

العنصر العملي:

ثمَّ هناك العنصر الإرادي القصدي العملي، وهو يترتب على العلم بوحدانية الله وَعَجَلٌ: أن تُفرده وَعَجَلٌ بعبوديتك، أن تخلص له العبودية فلا تعبد أحداً غيره، ولا تستعين بأحد غيره، ولا تحتكم إلى أحد غيره، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. أي

لا نعبد إلا إِيَّاكَ، ولا نستعين إلا بك يا رب، إفراد الله تعالى بالعبادة وبالاستعانة.

أحيانًا يُعَبَّرُون عن هذا بعبارات أخرى، يمكن أن نَعَدِّد التوحيد فنجعل للتوحيد عناصر أساسية ثلاثة:

العنصر الأول: أَلَا تَتَّخِذُ غَيْرَ اللَّهِ رَبًّا، اللهُ تعالى يقول: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]. يُسَمَّى توحيد الربوبية، أي تعتقد أن الله هو ربُّك، وربُّ من قبلك، وربُّ من بعدك، وربُّ السماوات والأرض.

وأنا أحيانًا أفضل أن أسمِّيه (توحيد الخالقية)؛ لأنَّ الربوبية لها معانٍ أخرى، أي أنَّ الله هو الخالق وحده، لم يشاركه في الخلق أحد، حينما خلقتك من تراب، أو من ذكرٍ وأنثى، أو من نطفةٍ تُمْنَى، أو من أمشاجٍ من الصلب والترائب، لم يُشْرِكِ اللهُ تعالى أحدًا في هذا، هو الذي تفرَّد بخلقتك، وهو الذي خلق السماوات والأرض من قبلك.

ولذلك حينما ناقش القرآن المشركين الذين اتَّخذوا آلهة مع الله من الأوثان أو من الكواكب أو من غيرها قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿ [الطور: ٣٥، ٣٦]. هل خُلِقُوا من غير شيء؟ لا يوجد شيء يُخلق من غير شيء، كل مخلوق له خالق، كل متحرك له محرِّك، كل مسبَّب له سبب، يسْمُونَه في الفلسفة (قانون السببية) أو (قانون العلية)؛ كلُّ معلولٍ له علة.

وهو القانون الذي عبَّر عنه الأعرابيُّ بلغته الفطرية؛ حينما سئل عن الله: كيف عرفت الله؟ قال لهم: البعرة تدل على البعير، إذا رأيت بعرة عرفت أن بعيْرًا كان هنا وجاءت منه هذه البعرة. وأثر السير يدلُّ على

المسير، إذا وجدت أثر خفاف الإبل في الرمل تعلم أنّ هناك إبلاً مرّت من هنا، أو خطّ عجلة تعرف أنّ سيّارة مرّت من هذا المكان. البعرة تدلّ على البعير، وأثر السير يدلّ على المسير؛ فكيف بسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؛ أفلا يدلّ ذلك على العليّ القدير^(١)؟ عبّر الأعرابي بلُغته الفطريّة عن هذا القانون الكبير، قانون السببيّة والعلّيّة.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾، هل هم الذين خلقوا أنفسهم؟ كيف يخلقون أنفسهم؟ كانوا عدماً، كيف يخلق العدم الوجود؟ كيف ينشئ العدم الوجود؟ هم لم يقولوا: إنّنا خلقنا أنفسنا. ما ادّعى أحد ذلك، ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾، هل هم الذين خلقوا السماوات والأرض؟ وكيف يخلقونها وهي موجودة قبلهم؟ حتّى الذين ادّعوا الربوبيّة مثل نمرود الذي قال: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ومثل فرعون الذي قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. لم يدّعا أنّهما خلقا السماوات والأرض، لأنّ السماوات والأرض مخلوقة قبل أن يوجد.

بمثل هذا يثبت القرآن قضيّة وجود الله، ويثبتها سريعاً عَرَضاً بكلمات قليلة، لأنّ المشكلة التي واجهها الأنبياء والرسل طوال التاريخ لم تكن مشكلة الإلحاد، لم تكن مشكلة إنكار وجود الله، هؤلاء كانوا في كلّ زمن قلة لا وزن لها، الذين ينكرون وجود قوّة غيبية عليا فوق الكون، هؤلاء المنكرون قليلون جدّاً، ولذلك لم تكن مشكلة الرسل مع هؤلاء، إنّما كانت مشكلة الرسل مع المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة أخرى.

(١) ذكره الإيجي في المواقف (١٥١/١)، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، نشر دار الجيل، بيروت،

ولذلك قال أحد المؤرّخين القدامى: لقد وُجِدَت في التاريخ مُدُنٌ بلا قصور، وُجِدَت مدن بلا حصون، وُجِدَت مدنٌ بلا مدارس، ولكن لم تُوجد أبدًا مدن بلا معابد^(١). كل المدن في الشرق والغرب وجدت فيها معابد، ولكن المهمّ مَنْ كان يُعبد في هذه المعابد؟ هل كان يُعبد الله وَحْدَهُ أم عَبَدَ النَّاسُ مع الله آلهةً شتّى؟! هذه هي المشكلة، الشرك أضلّ البشر، اتَّبَعَ النَّاسُ الأوهام والخرافات؛ فعبدوا من دون الله مخلوقات مثلهم، لا تضرُّ ولا تنفع، ولا تملك لهم موتًا ولا حياة ولا نشورًا، منذ عهد نوح عبد النَّاسُ آلهةً مع الله، ولذلك شُغِلَ الأنبياء بالتوحيد.

العرب يُقِرُّون بتوحيد الخالقيّة:

وكان العرب يُقِرُّون بتوحيد الخالقيّة، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ [يونس: ٣١]، ما كانوا ينكرون أن الله هو الخالق، وما كانوا يقولون: إنَّ هناك خالقين. كان المجوس في إيران قديمًا ولا زال بعضهم إلى الآن يقولون بخالقين اثنين: خالق الخير وخالق الشر، أو إله النور وإله الظلمة.

والحقُّ أنَّه لا يوجد إلا خالق واحد، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ [النحل: ٤]، وخالق السماوات والأرض، والعالم علويُّه

(١) انظر: الله والإنسان ص ١١٦، نشر دار الجمهورية، القاهرة، سلسلة كتب للجميع، العدد (١١٣).

وسفليُّه من خلقِ هذا الإله العظيم، ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧].

شرك العباداة:

كان العرب يُقِرُّون بخالقيَّة الله، لكنَّهم مع هذا الإقرار كانوا يعبدون مع الله آلهة أخرى، على أنَّهم شفعاء لهم عند الله، ووسائط تُقَرَّبهم إلى الله، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، ومن يضمن لهم هذا؟ ومن يُعطي لهؤلاء حقَّ الشفاعة؟ والله تعالى لا يشفع أحدٌ عنده إلا بإذنه، ليس هناك أحد من حقِّه أن يشفع كما يشاء، ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]، الله هو الذي يُعطي حقَّ الشفاعة.

ثمَّ لا يملك أحد أن يشفع إلا لأهل التوحيد، إلا لمن ارتضى؛ كما قال الله في شأن الملائكة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]. أي من قال: لا إله إلا الله. أمَّا من أشرك مع الله؛ فليس له أن يشفع، ولا أن يشفع فيه أحد، ولو شفع فيه شافعٌ ما نفع، ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال المشركون عن آلهتهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. كأنَّما حسبوا الله وِعْبَلًا مَلِكًا من ملوك الأرض، لا تستطيع الوصول إليه إلا بواسطة، والله يُجَلِّلُ يقول: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. الوريد: عرق في العنق، فالله تعالى أقرب إليك من نفسك، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، قل: يا ربُّ. يُقَلُّ لك: لبَّيك عبي وسعديك. فليس هناك

مسافة بينك وبين الله، هو معكم، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، فلست في حاجة إلى من يتوسّط بينك وبين الله، إبليس اللعين تحدّث مع الله مباشرة، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * [ص: ٧٩-٨١]، لا يوجد حجاب بين العبد وربّه، فدعوى أن الإنسان محتاج إلى واسطة تُقَرِّبه إلى الله دعوى مرفوضة، ودعوى لزوم الشفاعة مرفوضة.

الباب بينك وبين الله مفتوح، والطريق مُمهّد، وهو ينادي عباده دائماً: «هل من داع فأستجيب له؟! هل من تائب فأتوب عليه؟! هل من مستغفر فأغفر له؟!»^(١). هذا هو الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ضلال البشريّة كان في الشرك:

كان الذي أضلّ البشريّة طوال تاريخها هو الشرك، عبد الناس آلهة مع الله أو من دون الله، منهم من عبد الكواكب كما كان الناس في زمن إبراهيم عليه السلام، وكما كان الناس عند قدماء المصريين عبدوا الإله (رع) إله الشمس، وعبدوا البقر والعجول، كان عند الفراعنة عجل اسمه (أبيس)، وهناك قوم سبأ عبدوا الشمس، قال الهدهد لسليمان عليه السلام: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤]. وهناك من عبد القمر، وهناك من عبد الأنهار، هناك نهر مُعَيَّن في الهند يعبده الهنود، وجبال مُعَيَّنة يعبدها بعض الناس، كرمز القوّة أو رمز النفع، كما عبد الهنود البقرة؛ لأنّها رمز الخير تُدرُّ اللبن، والعجيب أنّهم عبدوا البقرة ولم يعبدوا

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجمعة (١١٤٥)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٥٨)، عن أبي هريرة.

الجاموسة، ولبنها أكثر وأفضل من لبن البقرة، وعبدوا أنثى البقر ولم يعبدوا الذكر، فالثور مسكين يجزُّ الأثقال ويحمل الأمتعة، والبقرة تسير في الشوارع لا يستطيع أحد أن يعترضها، تمشي كما تشاء، وتوقف العربات وتوقف كل شيء، ويتبركون بروثها وأبوالها إلى آخره، فهذه الوثنية أضلت الإنسان.

ثم عبدوا الأحجار والأصنام، في القرن السابع قبيل ميلاد النبي ﷺ كان في الهند ثلاثمائة وثلاثون مليون صنم، أي أضعاف الناس، كل واحد عنده عدة أصنام.

وكان العرب يعبدون أصنامًا شتى، ويأخذ الواحد معه أربعة أحجار، يتخذ واحدًا منها إلهًا، والثلاثة الأخرى يتخذها أثافيًا للقدر، يغلي عليها الماء، ويطبخ طعامه! كانوا كما قال أبو الرجاء العطاردي فيما رواه الإمام البخاري: كُنَّا نَعْبُدُ الْحَجَرَ؛ فَإِذَا وَجَدْنَا حَجْرًا خَيْرًا مِنْهُ: أَلْقَيْنَا هَذَا، وَعَبَدْنَا الْآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجْرًا أَخَذْنَا شَيْئًا مِنَ التَّرَابِ وَجِئْنَا بِالشَّاةِ فَحَلَبْنَا عَلَيْهِ ثُمَّ اتَّخَذْنَاهُ إِلَهًا وَطَفْنَا بِهِ^(١). يصنع هو الإله كما يشاء، أي إله هذا؟! انظر كيف ينحط الإنسان فيصنع إلهًا لنفسه كلما شاء.

وكان عند العرب النخيل والتمور والعجوة، فيأخذ بعضهم العجوة ويصنع منها إلهًا، يُشكِّلُ له أنفًا وعينًا وكذا، وكثيرًا ما كانوا يصحبون هذا الإله في أسفارهم، فإذا فني الزاد وعضّه الجوع ماذا يفعل؟ يستدير إلى إلهه فيفطر بثلثه ويتغذى بثلثه ويتعشى بثلثه، وإلى هذا يشير القرآن: ﴿وَإِنْ يَسْأَلُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. لو جاء الذباب وحام حول هذا الإله من العجوة، واستطاع أن يأخذ منه

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

شيئاً: لا يستطيع هذا الإله أن يبعد الذباب عن نفسه، رأيتم إلى انحطاط الإنسان؟ رأيتم كيف ينحط الإنسان فيصنع إلهاً ممّا يأكل، ثمّ يأكل إلهه إذا جاع؟! أي بؤس أصاب البشرية؟!!

ولهذا اهتمّ الإسلام بإقرار هذا النوع من التوحيد الذي أضاعه البشر، توحيد الإلهية - أو توحيد العبادة - ألاّ يُعبد إلاّ الله، وكان النداء الأوّل في كل رسالة أرسل بها رسول: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. اتركوا هذه الأوثان وهذه الآلهة، واعبدوا الله ما لكم من إله غيره، هكذا قال نوح، ولكن قومه تمسكوا بآلهتهم، ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتِكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴿ [نوح: ٢٣، ٢٤]، هذه الأصنام أضلت كثيراً من الناس؛ كما قال سيّدنا إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّهِنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. هذه الحجارة أضلت عقول البشر للأسف!

رسالة التوحيد هي دعوة كل الأنبياء:

كلّ الأنبياء جاؤوا يقولون للناس: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. أمر إيجابي، وأمر سلبي. الإيجابي: اعبد الله وحده. والسلبي: اجتنب الطاغوت، الكفر بالطاغوت مطلوب، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦]، والطاغوت كل ما يُعظّم ويُطاع ويُتبع من دون الله، يُطاع طاعة مطلقة، ومنه الأوثان، فهي طواغيت، ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ [الزمر: ١٧]، فكل الأنبياء جاؤوا يأمرّون باجتنب الطاغوت، وبالكفر بالطاغوت.

كل الرسل جاؤوا بهذه العقيدة عقيدة التوحيد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].
لا يوجد إله إلا الله، لا يستحق العبادة إلا الله.

خالق الكون هو من يستحق العبادة:

لماذا يستحق الله العبادة؟ لأنه الخالق الأعلى، الخالق الأعظم، ﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١، ٢]، هو خالقك، وخالق كل ما حولك، وخالق النعم التي تستمتع بها، من الذي خلق هذا الكون، وجعل هذا الكون مُسَخَّرًا لخدمتك ومنفعتك؟ إنه الله وحده، كل ما في الكون يعمل لخدمة الإنسان، الله لا ينتفع بشيء مما خلق فهو الغني الحميد، الغني المطلق، ولكن كل شيء في خدمتك، الشمس تمدك بالضياء والحرارة، والنجوم تهديك، والأمطار والأنهار تسقيك، والأنعام تستخدمها وهي صحيحة، وتأكلها وهي ذبيحة، كل ما في الكون في خدمتك.

تأمل كيف تكررت كلمة (لكم) في هذه الآيات: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَءَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

نعم الله تغمرك من رأسك إلى قدمك، وتحيط بك من كل جوانبك، وفي كل مراحل عمرك، صبيًا ويافعًا وشابًا وكهلاً وشيخًا، بل وأنت جنين في بطن أمك، من الذي هيا لك الغذاء وأنت في بطن أمك؟ الله هو الذي هيا لك الغذاء، وحينما نزلت من بطن أمك لم



تكن لك سنٌ تقطع، ولا يدُ تبطش، ولا قدم تسعى، وهياً لك عرقين في صدر أمك يجريان لبناً خالصاً مكيفاً: دافئاً في الشتاء، بارداً في الصيف، من الذي هياً لك هذه النعم؟ الله هو الذي هياًها لك، ولذلك لا يستحقُّ العبادة غير الله.

عبادة غير الله هوان لعابديها:

هذه الأشياء التي تعبدها أيها الإنسان مخلوقة مثلك، مُسَخَّرَةٌ لك، تعمل في خدمتك، انظر كيف يعبد المخدوم خادمه! الناس يعبدون الشمس وهي مسخرة لهم! ويعبدون الكواكب وهي مسخرة لهم! ويعبدون الجبال وهي مسخرة لهم، ويعبدون الأنهار وهي مسخرة لهم، ويعبدون الأصنام: الحجارة! هذا هو الهوان الذي أهينه الإنسان حينما عبد ما لا يستحقُّ العبادة من دون الله.

ولذلك يقول القرآن: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]. الشرك قذارة تُلَوِّثُ عقلك، وتُلَوِّثُ ضميرك، وتُلَوِّثُ إرادتك، ثم هي تزوير على الحقيقة، ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، وأيُّ زور أعظم من أن تقول عن هذا الحجر: إلهي. وأنت الذي نحتته؟! كما قال سيّدنا إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَحْنُونَ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ [الصفات: ٩٥، ٩٦]. تعبد ما نحتته وعملته بيدك؟! أيُّ تزوير على الحقيقة أكثر من هذا؟

وأي ظلم أكثر من هذا الظلم، أن تعطي عبوديتك لمن لا يستحقها، ولذلك قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. أي ظلم أعظم من أن يعبد الإنسان ما لا يستحق العبادة، وأن يُوجَّه ما يستحقُّه الله إلى من لا يستحقُّه وما لا يستحقُّه؟ هذا ظلم عظيم!

ثُمَّ هُوَ هَوَانٌ بِالْإِنْسَانِ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الحج: ٣١]، مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا نَزَلَ مِنْ مَنْزِلَةِ رَفِيعَةٍ جَعَلَهَا اللَّهُ لِلْإِنْسَانِ، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، مَنْزِلَةُ الْكِرَامَةِ وَمَنْزِلَةُ الْخِلَافَةِ عَنِ اللَّهِ، نَزَلَ بِهَا الْإِنْسَانُ وَانْحَطَّ بِهَا، ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. هَذِهِ هِيَ آثَارُ الشُّرْكِ الْمُدْمِرَةِ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، لِلضَّمِيرِ الْإِنْسَانِيِّ، لِلْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ، لِلْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ.

وَلِذَلِكَ أَرْسَلَ اللَّهُ رُسُلَهُ إِلَى الْأَقْوَامِ الْمَخْتَلِفَةِ؛ لِيُرُدُّوهُمْ عَنْ هَذَا الشُّرْكِ، وَيُعِيدُوهُمْ إِلَى الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا، إِلَى التَّوْحِيدِ، فَالتَّوْحِيدُ فِطْرَةٌ، أَوَّلُ مَا يَدُلُّ عَلَى حَقِيقَةِ التَّوْحِيدِ فِطْرَةُ اللَّهِ، ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]، وَقَالَ نَبِيُّنَا ﷺ مُؤَكِّدًا هَذَا الْمَعْنَى: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ - أَيِ عَلَى التَّوْحِيدِ - فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(١). لَمْ يَقُلْ: وَيُسْلِمَانِهِ؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْفِطْرَةُ، الْإِسْلَامُ هُوَ التَّوْحِيدُ، الْإِنْسَانُ قَدْ تُمَسَّخُ فِطْرَتُهُ، لَكِنْ لَوْ تَرَكَ عَلَى الْفِطْرَةِ: يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ الْوَاحِدُ، وَهُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

يَتَحَقَّقُ التَّوْحِيدُ الْخَالِصُ سَاعَةَ الشَّدَّةِ:

قَدْ يَنْكُرُ الْإِنْسَانُ هَذَا فِي سَاعَةِ الرِّخَاءِ وَفِي سَاعَةِ الْعَافِيَةِ، وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ الشَّدَائِدُ، وَإِذَا أَحَاطَتْ بِهِ الْخَطُوبُ، وَإِذَا نَزَلَ بِهِ مَا لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَهُ عَنِ نَفْسِهِ؛ فَسُرْعَانَ مَا يَلْجَأُ إِلَى اللَّهِ، وَيَلُودُ بِجَنَابِ اللَّهِ، مَا يَقْرَعُ بَابَ اللَّهِ، مَا يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ. وَالْقُرْآنُ صَوَّرَ لَنَا هَذِهِ الْحَقِيقَةَ الَّتِي يَجْهَلُهَا النَّاسُ،

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْجَنَائِزِ (١٣٥٨)، وَمُسْلِمٌ فِي الْقَدْرِ (٢٦٥٨)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

عندما تحيط بهم نِعَم الدُّنيا ويشعروا بالصحة والعافية، ثمَّ تحل بهم شدة لا حيلة لهم في دفعها؛ فلا يذكرون إلا الله وحده، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَّ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

الفطرة تدلُّ على التوحيد:

ففي ساعة الشدة يدوب الطلاء الكاذب، الذي طلا الإنسان به نفسه ونسي ربه، لا يقول: يا هُبل، ولا يا مناة، ولا يا لاث، ولا يا عزي، ولا شيء من هذا! وإنما يقول: يا ربُّ. يلجأ إلى الله، يعود إلى الفطرة، ولذلك القرآن يقول: ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾. مخلصين كأحسن المؤمنين لأنَّه عاد إلى فطرته، وفطرته هي الإخلاص، ﴿دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، يقولون: يا ربُّ نجنا من هذه (العرقلة)، ومن هذه الورطة، ومن هذه المصيبة، لجأنا إليك يا ربُّ. وتكون النتيجة أن الله يستجيب لهم، لماذا؟ لأنهم دعوا الله مخلصين له الدين، ومن دعا الله مخلصاً له الدين وتخلَّى عن الشرك وتخلَّى عن الزيف، وعاد إلى صفاء الفطرة، يستجيب الله له.

﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [يونس: ٢٣]، عادوا إلى طبيعتهم الفاسدة، (عادت ريمة إلى عاداتها القديمة) عادوا كما كانوا، ونسوا الشدة وأهوالها، وحاجتهم إلى الله فيها، وهذه هي المصيبة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: ٨]. فالفطرة دلالة على التوحيد.

العقل يدلُّ على التوحيد:

والعقل دلالة على التوحيد، إذا عملت عقلك في هذا الكون، في نفسك أولاً، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، وفي الآفاق من حولك، دلتك نفسك، ودلك عقلك، ودلتك الآفاق من حولك، ودلتك الآيات البيّنات المشهودة والمنظورة على أنّ الله واحد، وعلى أنّه هو الخالق وحده، ولذلك قال فرعون لموسى وهارون: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ [طه: ٤٩]، ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]. هو الذي أعطى كل مخلوق تمام خلقه، وما يحتاج إليه، ثمّ هدى كل مخلوق إلى ما يحتاج إليه بالإلهام، بالفطرة، فالنبات يأخذ حاجته من الأرض، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ * وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ﴾ [يس: ٣٨، ٣٩]، كل مخلوق مهتدٍ إلى أمره بهداية الله ﷻ، هذا العالم الكبير تُسيّره إرادة واحدة، ولذلك ليس فيه اختلاف، أصغر شيء في هذا الكون يسمونه (الذرة)، وأكبر شيء فيه يسمونه (المجرة)، الذرة والمجرة كلاهما خلقُ خالق واحد، ولذلك تجد في هذه ما في تلك، خلق واحد، تنسيق واحد، ليس هناك اضطراب، ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ﴾ [الملك: ٣]، لا ترى صدامًا بين الكواكب بعضها وبعض، هناك مدار محدود، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٥-٧]، كل شيء بميزان، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، بحساب، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، كل هذا يدلُّ على أنّ هناك يداً واحدة تُدير هذا الكون، وإرادة واحدة تُدبّر هذا الكون، إنّها إرادة الله، إنّها يد الله، إنّها صنع الله الذي أتقن كل شيء، والذي أحسن كل شيء خلقه.



الدلائل على وجود الله كثيرة، وموضوع التوحيد طويل لم نفرغ منه بعد، ولعلنا نكمّله في الخطبة القادمة إن شاء الله، نسأل الله ﷻ أن يُبصّرنا في ديننا، وأن يرزقنا التوحيد الخالص، وأن يجعلنا ممّن أخلص عبوديته لله، ولم يتخذ غير الله ربّاً، ولا غير الله وليّاً، ولا غير الله حكماً، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:
لي معكم في هذه الخطبة كلمتان:

موقفي من مؤتمرات الحوار بين الأديان:

الكلمة الأولى: سألني عددٌ من الإخوة: لماذا لم تشترك في مؤتمر حوار الأديان الذي قام هنا بالدوحة؟ كيف يقوم مؤتمر عن حوار الأديان، وفي قطر، ولا تشترك فيه؟!

وأحبُّ أن أُبيِّن موقفي من هذا الأمر، هذا المؤتمر يَعقد لقاءه السابع في قطر، وقد اشتركتُ في مؤتمراته الثلاثة الأولى حينما كان اسمه (مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي)، اشتركت في المؤتمر الأوَّل وكنتُ على سريرِي في مستشفى حمد بالدوحة، كنتُ أعمل عملية تغيير المفاصل في الرُّكبتَيْن، وجاءوا إليَّ وأنا لم أغادر المستشفى بعد، وأخذوا مِنِّي حديثًا على السرير، سجَّلوه وأذاعوه في الجلسة الأولى للمؤتمر. واشتركتُ في المؤتمر الثاني مع وجود أمير البلاد حفظه الله الشيخ حمد بن خليفة، وكانت لي كلمة في هذا اللقاء، وقد حضره عددٌ من ممثلي الأديان المختلفة.

وحضرت المؤتمر الثالث أيضًا، كان برئاسة رئيس الوزراء في ذلك الوقت الشيخ عبد الله بن خليفة، وحضره البابا شنودة وبعض الناس، ثمَّ أعلنوا أنَّهم سيوسِّعون هذا المؤتمر ليكون حوارًا إسلاميًا مسيحيًا يهوديًا، فقلتُ: إذا كان كذلك فأنا لا أشترك فيه، أنا لا أجلس مع اليهود على

مَنْصَّة واحدة ما دام اليهود يغتصبون فلسطين ويغتصبون المسجد الأقصى، ويُدْمَرُونَ بيوت الله، ويغتالون الناس، ويسفكون الدماء، ويفعلون ما يفعلون، ما دامت قضية فلسطين مُعَلَّقة ولم تُحَلَّ فلا أجلس مع اليهود في مَنْصَّة واحدة، ومعني دليل من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أي لا تجادلوا الذين ظلموا منهم، لا بالتي هي أحسن ولا بالتي هي أخشن.

وأظنُّ أنه ليس هناك ظلم أكثر من الذي وقع من اليهود لأهلينا في فلسطين، اليهود الذين جاؤوا من خارج هذه البلاد، من أنحاء الأرض، وأخرجوا أهلها من ديارهم، وشتتوهم في الآفاق، وسفكوا دماءهم، وبقروا بطون نسائهم، وفعلوا ما فعلوا، هؤلاء الظالمون الذين لا يزال ظلمهم مستمرًا إلى اليوم وبعد اليوم لا يمكن أن أجلس معهم في حوار، على ماذا نتحاور؟ أول شيء اخرجوا من فلسطين، هاتوا حقَّ الفلسطينيين، بالحدِّ الأدنى، دولة فلسطين، ولذلك قاطعتُ هذا المؤتمر.

القمة الإسلامية المسيحية:

ثمَّ أقول لكم: قد دُعيتُ عدَّة مرَّات إلى مؤتمرات حوارات إسلامية مسيحية، شاركت في عدد منها، ومنها مؤتمرات سمَّوها (القمة الإسلامية المسيحية) في روما وفي برشلونة، دعت إليها جمعية معروفة اسمها (جمعية سانت إيجيديو) في إيطاليا، حضرتُ القمة الإسلامية المسيحية الأولى في روما في أكتوبر ٢٠٠١م. بعد ١١ سبتمبر بشهر ونصف تقريبًا، وكانت قمة كبيرة، وجئنا في البيان الختامي واختلفنا، لم يقبلوا أن نقول كلمة تنصف فلسطين، لم يقبلوا أن نقول كلمة تدين إسرائيل، ولذلك انصرفنا ولم نخرج بيانًا، فهؤلاء المسيحيون الغربيون لا يطيقون أن تُمسَّ إسرائيل بكلمة تدينها.

إساءة بابا الفاتيكان:

ثم بعد ذلك أوقفنا هذا الحوار الإسلامي المسيحي، كانوا يُحضرون لقمة ثالثة؛ فلما جاء البابا الجديد، وألقى محاضرتة الشهيرة، وأساء إلى الإسلام، وإلى نبيّ الإسلام، وإلى قرآن الإسلام، وإلى أُمَّة الإسلام، وإلى تاريخ الإسلام، بغير مُبرّر، وبغير مُقدّمات، وزعم أن محمّداً لم يأت بجديد إلاّ أنّه جاء بنشر الإسلام بالسيف، وهذه فريّة ما فيها مريّة.

ولذلك طالبنا منه أكثر من مرّة - نحن الاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين - أن يُعلن عن اعتذاره بأيّ صيغة من الصّيغ، وبأي موقف من المواقف؛ وإلاّ أوقفنا الحوار مع الفاتيكان، وفعلاً لم يقل الرجل كلمة اعتذار للأسف، وإن حاول بعض المسلمين للأسف أن يبرر له، والرجل لم يقل كلمة صريحة.

اعتذر الفاتيكان لليهود الذين قالوا عن المسيح: كذاب وابن زنى، وأُمّه ليست بتولاً ولا عذراء؛ وإنّما جاءت به من يوسف النجار! واليهود الذين دُبروا مقتله، واشتركوا في مقتله كما يزعمون: عفوا عنهم، وأصدروا لهم وثيقة (تبرئة اليهود من دم المسيح)، لم يقل بابا من الباباوات: نعتذر للمسلمين عما وقع بهم في الحروب الصليبية التي كانت حروباً عدوانية، حين جاؤوا من أوروبا إلى بلادنا، وفعلوا ما فعلوا في تسع حملات صليبيّة، ولذلك أوقفنا الحوار مع الفاتيكان.

المشكلة الحقيقيّة بيننا وبين المسيحيّين:

وأقول بالنسبة للمسيحيّين عامّة: هناك مشكلة قُلتها في المؤتمر الثالث، الذي عُقد في الدوحة، وقلتها في مؤتمر حوار الأديان في مكّة الذي دعا

إليه خادم الحرمين منذ حوالي سنة ونصف، قُلتها علناً، قلت: المشكلة يا إخواننا أننا نعتزف بالمسيحية، ونعتزف بالمسيح، وبكتاب المسيح، وبدين المسيح، ولا يتم إيمان مسلم إلا إذا آمن بذلك؛ لأنه يجب أن يؤمن بكل كتاب أنزل، وبكل نبي أرسل، ﴿قُلْ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]، ولكن هؤلاء لا يعترفون بنا، يقولون: مُحَمَّدٌ رَجُلٌ كَذَّابٌ، وقرآنه افتراء، صنع هو القرآن ونسبه إلى الله. وهذا له آثار عمليّة.

كُنَّا فِي مُؤْتَمَرٍ فِي الْقَاهِرَةِ (نصارى الشرق الأوسط)، وجئنا في البيان الختامي لنقول: هذا ما اجتمع عليه أهل الديانات السماويّة. قالوا: قِفْ! نحن لا نعتزف أنّ الإسلام ديانة سماويّة، قولوا أي شيء، لكن لا تقولوا: الأديان السماويّة. وعبارة أخرى: القِيمُ الرَبَّانِيَّةُ الَّتِي جَاءَتْ. قالوا: قِفْ! نحن لا نعتزف أن قيم الإسلام قيم ربّانيّة، هي قيم إنسانيّة جاء بها واحد ادّعى أنّه نبيّ! فأنا هجت عليهم الحقيقة، قلت: لماذا نجتمع إذن إذا لم تكونوا تعترفون بأنّ ديننا دينٌ سماوي، ولا بأنّ قيمنا قيم ربّانيّة فعلاً؟ نجتمع؟ وخرجت من هذا اللقاء!

فهنالك مشكلة أيّها الإخوة في حوارنا مع هؤلاء، الذين ينظرون إلى نبينا هذه النظرة، وإلى قرآنا هذه النظرة، وإلى أمّتنا هذه النظرة، ونحن نتهافت عليهم ولا نصل إلى شيء، اتّوني بشيء عملي جاء به هذه المؤتمرات في صالح الأمة الإسلاميّة؟ أنا أنظر فلا أجد شيئاً، أحببت أن أبين موقفى، فأنا حضرت مؤتمرات عدّة قبل ذلك، ثمّ حدث ما حدث؛ فكان لا بدّ أن يكون هذا الموقف.

الأقصى في خطر:

الكلمة الثانية أيها الإخوة هي عمّا يجري في القدس، ما يجري في المسجد الأقصى، المسجد الأقصى يتعرّض لخطر عظيم، اليهود يُبَيِّتون له ما يُبَيِّتون، والأمة في غفلة لاهون، وفي غمرة ساهون، الأمة لا تدري ما يُبَيِّت لها، اليهود يُداعبوننا، يلعبون بنا، يُرَوِّضوننا على قبول الواقع، حتّى نأتي في يوم ونجدهم قد استولوا على المسجد، واحتلّوه وأغلقوه مدّة من الزمن، ثمّ بعد ذلك يُقسِّمونه بين المسلمين واليهود كما فعلوا بالمسجد الإبراهيمي، وكلُّ شيء قابل أن يحدث ما دامت الأمة هكذا، ما دام حُكَّام الأمة لا يغضبون ولا يزارون، ولا يحتجُّون بصوت عالٍ، لا يصرخون، إذا كانت الأمة هكذا فكلُّ شيء ممكن.

لا بدّ أن نُوعِّي الأمة بما يحدث، قد يأتي يوم قريب نجد اليهود طردوا المُصلِّين من المسجد، وهم اعتقلوا كثيرًا من المُصلِّين، وكثيرًا من المعتكفين، وهم في مثل هذا اليوم من كلِّ أسبوع يمنعون الناس من الدخول، حتّى عُمر خمسين سنة لا يسمحون له بالدخول، والآن إذا لم يكن الشخص من أهل المنطقة من أهل القدس لا يسمحون له بالدخول، جاء الناس من كل مكان ليُصلُّوا، فلماذا تمنعونهم؟!!

الأمر خطير أيها الإخوة المسلمون، وأنا بصفتي رئيس مجلس أمناء مؤسّسة القدس الدوليّة: أحذّر ممّا يُحاك لهذه الأمة، وبصفتي رئيسًا للاتّحاد العالمي لعلماء المسلمين أحذّر الأمة ممّا يُكاد لها ويُمكّر بها. ويُبَيِّت لها.

نسأل الله عزّ وجلّ أن يقِي المسلمين شرّ ما يكيد لهم أعداؤهم، وأن يُهيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهم لا تكُنْنا إلى أنفسنا طرْفَةً عَيْنٍ



ولا أقلّ من ذلك، اللهم افتح لنا فتحًا مبيّنًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا،
وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتمّ علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك،
وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُنْيَانَا، وأهلينا وأموالنا،
اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا،
وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغْتَالَ من تحتنا.

اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي
السفلى، اللهم عليك باليهود الظالمين الغاصبين المستكبرين، اللهم
خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيزٍ مُقْتَدِرٍ، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي
لا يُرَدُّ عن القوم المجرمين، اللهم يا منزل الكتاب، ويا مُجْرِي السحاب،
ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم وانصرنا عليهم.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا، وانصرنا على
القوم الكافرين، اللهم لا تُهْلِكْنَا بما فعل السفهاء منّا، ولا تُسَلِّطْ علينا
بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا
البلد آمنًا مطمئنًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم اسقنا الغيث
ولا تجعلنا من القانطين، وانشر علينا رحمتك يا أرحم الراحمين.

قبل أن أغادر مقامي أذكركم بأنّ الإخوة من الهلال الأحمر معهم
الصناديق يجمعون التبرعات والمساعدات من أجل إخوانكم الذين
أصيبوا بالكوارث في إندونيسيا، نسأل الله أن يُخَفِّفَ عنهم، وأن يكشف
عنهم البلاء، إنه سميعٌ قريبٌ.

توحيد الله في القرآن الكريم (٢) (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في الجمعة الماضية تحدّثنا عن التوحيد في القرآن، توحيد الله تبارك وتعالى، وإفراد الله وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥]، هذا التوحيد الذي بعث الله به الأنبياء جميعاً، كل كتاب أنزل، وكل نبي أرسل إنما أرسل بعقيدة التوحيد، أَلَّا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

جميع الأنبياء يدعون إلى التوحيد:

ومن قرأ القرآن الكريم وجد الرسل جميعاً من عهد نوح يدعون إلى التوحيد، فمن عهد نوح بدأ الناس يعبدون الأوثان. فحينما خلق الله آدم وأوحى إليه؛ لِيُعَلِّمَ أَوْلَادَهُ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنْهُمْ بِأَوْامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ: لم يكن الناس يعرفون الوثنيّة لأنّ الإنسان فُطِرَ عَلَى التَّوْحِيدِ، إِنَّمَا

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٩م.

جاءت الوثنيّة بعد ذلك، ولذلك كان نوحٌ أوّلَ نبيٍّ جادل قومه في التوحيد، فقال: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]. حتّى قالوا له: ﴿يَنْوُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [هود: ٣٢].

وكلُّ الأنبياء بعد نوح جاؤوا بهذه الدعوة: دعوة التوحيد، هود، وصالح، وإبراهيم ولوط، وشُعَيْب، وموسى، وعيسى إلى أن انتهى الدور إلى خاتم النبيين وخاتم المرسلين سيّدنا مُحَمَّدٌ ﷺ، أوحى الله إلى موسى أوّل ما كلمه فقال له: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]. وقال عيسى لقومه: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٥١].

ضلال البشريّة حين عبت غير الله:

ضلت البشريّة طوال تاريخها حينما عبت من دون الله - أو عبت مع الله - آلهةً أخرى في الأرض أو في السماء، ممّا يعرف الناس وممّا لا يعرف النَّاسُ، عبدوا المخلوقات المُغَيَّبَةَ عنهم الجنّ والملائكة، وعبدوا الأشياء الحسّيّة التي فيها مصدر نفع لهم مثل الأنهار والشمس والقمر، والحيوانات مثل العجل والبقر، والنبات والشجر، أو الأشياء التي فيها قوّة مثل الجبال الشامخات، أو التي يخافونها مثل الشياطين، كل شيء عبده الناس حتّى الأعضاء التناسليّة؛ عبدوا الذّكر!

أوهام الوثنيّة:

ولذلك عاش الناس في أوهام الشرك، فالوثنيّة بطبيعتها وكر للضلالات والأباطيل والخرافات، ولذلك يعبث بعقول الناس الكهنة الذين يشرفون

على الأصنام والأوثان، هؤلاء يتحكّمون في ضمائر الخلق وفي عقولهم، ويذهب إليهم الناس حتّى المتعلّمين منهم، ثقبوا أنّ المتعلّمين عند هذه الأضاليل يفقدون عقولهم العبقريّة، في الهند تجد الطبيب والمهندس وأستاذ الجامعة كلهم يُقدّسون البقرة ويعبدونها، لا فرق بين أمّي وبين أعلى درجة في العلم، فالشرك يُدمّر عقليّة الإنسان، ويحرّمه من التفكير السليم والتفكير السديد، كيف تعبد ما تصنعه؟! كما قال سيّدنا إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَحْنُ حُنُونٌ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفّات: ٩٥، ٩٦].

وحينما حطّم إبراهيم الأصنام وجعلها جُذاذاً وبحثوا عن الفاعل، من هذا المجرم الذي حطّم آلهتنا؟ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٠، ٦١]، نحاكمه علانيةً لنفضحه ثمّ نعاقيه، ﴿قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٢، ٦٣]، الصنم الكبير الذي علّق إبراهيم الفأس في رقبته، ﴿فَسأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، لا تسألوني، اسألوهم هم، ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤]، رجعوا إلى أنفسهم لحظات، يمكن أن يرجع الإنسان إلى نفسه الضائعة منه، التائهة منه، فهؤلاء رجعوا إلى أنفسهم للحظات، ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٤، ٦٥].

لم تستمرّ لحظةً اليقظة وهذا الوعي الإنساني وقالوا: أنت تعرف أنّ هؤلاء الأصنام لا ينطقون. ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَلَيْسَ لَكُمْ عَقْلٌ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٦، ٦٧]، ألا توجد لديكم عقول تُفكّرون بها؟ ولكنّ الشرك كما قلت لكم يسحب عقل الإنسان منه، لا يُفكّر.



النبوّات تردُّ الناس إلى رشدهم:

ومن هنا جاءت النبوّات تردُّ الناس إلى رشدهم، وتعيد الإنسان إلى عقله، إلى فطرته، ليعبد الله وحده، وكانت معركة طوال التاريخ بين الأنبياء وأقوامهم. انظروا سيّدنا هود يقول لقومه: اتركوا هذه الأصنام وهذه الأوثان. قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]. جئتنا بهذه الخصلة الغريبة، والصفة الغريبة؛ كي نعبد الله وحده؟! أي أنّ التوحيد أصبح جريمةً وتُهمة، قال: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الأعراف: ٧١]. هذه الآلهة المزعومة مُجرّد أسماء أنتم الذين سَمَّيْتُمُوهَا آلهة، هي ليست آلهة ولا شيئاً، إنّها لا تُبصر ولا تسمع، ولا تعطي ولا تمنع، ولا تضرُّ ولا تنفع، ولا تخلق ولا ترزق، ولا تملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً! ﴿أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾.

كلُّ الأنبياء وكل الرسل جاؤوا لإقرار عقيدة التوحيد، لتحرير البشر من هذه العقيدة التي أضلّت الناس كما قال سيّدنا إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنِّي نَسِيتُكَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. هذه الأصنام أضللت كثيراً من الناس.

ثمّ جاء مُحَمَّدٌ ﷺ بالرسالة الخاتمة، وبالرسالة العالميّة العامّة؛ ليكمل دور الأنبياء، جاء بالتوحيد الخالص، بعد أن ضلّت البشرية عن التوحيد، ولم تعد في الأرض حين بُعث مُحَمَّدٌ ﷺ أمّة خالصة التوحيد، حتّى الأمم الكتابيّة، اليهود أقرب الأمم إلى التوحيد، ولكنهم حرّفوا الألوهيّة، وحرّفوا في النبوة، وشبّهوا الله بخلقه، وصوّروا الله وَجْهًا في توراتهم يجهل ويندم، ويحزن ويغار من بعض خلقه، ولم يجعلوه إلهاً

للخلق، ولكن جعلوه ربًّا لإسرائيل، نحن نقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وهم يقولون: ربُّ إسرائيل. فحرّفوا وبدّلوا في
حقيقة الإله.

والنصرانية بدّلت التوحيد إلى التثليث، وجعلوا الإله أقانيم ثلاثة:
الأب، والابن، والروح القدس، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا
يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ [المائدة: ٧٣، ٧٤]. من هذا التثليث.

أركان التوحيد:

ضلّت الأرض كلها عن التوحيد؛ ف جاء مُحَمَّدٌ ﷺ بالتوحيد الخالص،
الذي بيّنته سورة الأنعام بعناصره الثلاث:

العنصر الأول: توحيد الربوبية، أو كما أسمّيه: توحيد الخالقية، ألا
تبغي غير الله ربًّا، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

والعنصر الثاني: توحيد الإلهية، ألا تتخذ غير الله وليًّا، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ
أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

والعنصر الثالث: توحيد الحاكمية، ألا تبغي غير الله حكمًا، ﴿أَفَغَيْرَ
اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]. فهذه
عناصر التوحيد الثلاثة.

توحيد الحاكمية يعني: ألا يكون هناك حاكم مطلق يشرع للناس كلَّ شيء،
يحلُّ ويحرّم، ويأمر وينهى إلا الله ﷻ، ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ
الْحُسْبَانِ﴾ [الأنعام: ٦٢]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]،

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفُصِّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ
الَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

كلمة (الحكم) تعني: الحكم الكوني القدي، والحكم الأمري
التشريعي، كلٌّ منهما حكم، فالله تعالى هو الذي يحكم العالم، فلا يجوز
أن يُجَلَّ ويُحَرَّم للناس إلا ربُّ الناس، وملك الناس، الله تعالى يقول:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ
يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ
يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠، ٦١]. التحاكم إلى
الطاغوت هو من مظاهر الشرك.

ولكن يجب التحاكم إلى الله، إلى ما أنزل الله وإلى الرسول، ﴿فَلَا
وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي
أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، هذا عنصر ثالث
لا بد منه ليستكمل التوحيد كل عناصره، ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ
وَإِنَّا نَحْنُ مُوقِنُونَ﴾ [النور: ٤٧، ٤٨]، عن حكم الله
ورسوله، ﴿وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّى فِرْقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٤٩]، وإذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [النور: ٤٧، ٤٨]، عن حكم الله
ورسوله، ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٩]، يأخذون بحكم الله
وشرع الله فيما يروق لهم، فيما كان في صالحهم، وما عدا ذلك
يرفضونه، ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ
أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النور: ٥٠-٥٢]، هذا شأن المؤمنين، يقولون:

﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾. أمّا غير المؤمنين فيرفضون حكم الله، وتشريع الله، وتشريع السماء، هذا ما يرفضه الإسلام.

لكي يستوفي التوحيد حقّه لا بدّ أن يكون هناك توحيد الحاكميّة بجوار توحيد الألوهيّة والربوبيّة، اقرؤوا آخر سورة من القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]. هذه إشارة إلى العناصر الثلاثة للتوحيد، ربّ النَّاسِ يشير إلى توحيد الربوبيّة، ومَلِكِ النَّاسِ يشير إلى توحيد الحاكميّة، هو الَّذِي يحكم ويأمر ويشرع وحده، وإِلَهِ النَّاسِ يشير إلى توحيد الإلهيّة، توحيد العبادة، لا يُعبد إلاّ الله وحده.

هذه هي عناصر التوحيد الَّذِي جاء به الإسلام، ليُحرّر النَّاسِ من العبوديّة لغير الله، هذا من أعظم ما جاء به هذا الدين العظيم، تحرير الإنسان من العبوديّة لغير الله، تحرير الإنسان من العبوديّة لذاته، فهناك أناس يعبدون ذواتهم، يعبدون أنفسهم، يدور الإنسان حول نفسه.

وكما قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: شرُّ إله عبّد في الأرض الهوى^(١). أن يعبد النَّاسِ أهواءهم، ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣]، عبادة الذات، عبادة الأهواء، هذه هي الوثنيّة الذاتيّة، أن تصبح نفس الإنسان وثناً يدور الإنسان حوله ولا يُفكر إلاّ فيها ولا يهتم إلاّ بها وبمصالحتها ولذاتها وشهواتها، فهذا شرُّ إله عبّد في الأرض، الذات والهوى.

(١) انظر: المدخل لابن الحاج (١١٦/٣)، نشر دار التراث.



الوثنيّات الدّينيّة:

وهناك وثنيّات كثيرة، هناك الوثنيّات الدّينيّة العاديّة التي تملأ الأرض، فمعظم الأرض وثنيّة، هناك وثنيّات في آسيا وإفريقيا التي تعبد أصنامًا شتّى، وفي الهند الهندوس يعبدون براهما، والبوذويون يعبدون بوذا، وغيرهم يعبدون آلهة شتّى، وفي إفريقيا آلهة بالآلاف، هذه الوثنيّة الدّينيّة التي أضلّت الناس.

وللأسف بعض المسلمين أصابهم رذاذ من هذه الوثنيّة الدّينيّة، حيث رأينا الذين يذهبون إلى القبور ليدعون أصحابها، ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم الشفاء للمريض، والغنى للفقير، والأولاد للتي لا تحمل، إلى آخره، كأنّ هؤلاء الأموات يتحكّمون في الكون، وهناك بالفعل بعض الناس يقولون: إنّ في هذه الدّنيا أقطابًا أربعة اقتسموا العالم فيما بينهم أربعة أقسام، لكلّ واحد منهم ربع العالم: أحمد البدوي، وأحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وإبراهيم الدسوقي. هكذا يقولون، وهذه خرافات ما أنزل الله بها من سلطان، الأمر كلّهُ لله، لا يملك أحدٌ إلّا الله وحده التدبير في هذا الكون، هذه هي الوثنيّة الدّينيّة، التي نرى من خلالها مظاهر الشرك أكبره وأصغره عند كثير من الناس.

الوثنيّة السياسيّة:

وبجوار هذه الوثنيّة الدّينيّة تُوجد وثنيّة سياسيّة، الذين يُقدّسون الملوك والرؤساء والأمراء والحكام، فهذه وثنيّة الخواصّ، وتلك وثنيّة العوامّ، وثنيّة العوامّ أنّهم يُقدّسون الأموات، يذهبون إلى قبورهم ويستغيثون بهم، ووثنيّة الخواصّ أنّهم يُقدّسون الأحياء، يذهبون إلى قصورهم ويلتمسون النفع والبركة إلى آخره، ولذلك قال شيخنا

أبو الحسن الندوي رَحِمَهُ اللهُ فِي مقالة له: يا عُبَادَ القصور، رفقاً بعُبَادِ القبور. الَّذِينَ يعبدون القصورَ وَيَقْسُونَ على الَّذِينَ يعبدون القبور، يقول لهم: رفقاً بعُبَادِ القبور.

تحرير الإنسان من كلِّ الوثنيّات:

والإسلام حريص على تحرير الإنسان من كلِّ وثنيّة، سواء كانت دينيّة، أم سياسيّة، أم اجتماعيّة، أم ذاتيّة، يريد للإنسان أن يكون لله وحده، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، لله وحده، لا لمخلوق غير الله وَجَدَّ، لا يعطي نصفه لله، ونصفه لآخرين، لا، التوحيد لا يتجزأ، الله تعالى يقول: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩]. عبدٌ له عدّة أسياد مُلَاك يشتركون فيه، أحدهم يأمره والآخر ينهاه، منهم من يقول له: اذهب إلى الشرق. ومنهم من يقول له: اذهب إلى الغرب. فيحترق من يرضي منهم! إذا أرضى زيدياً أسخط عمرًا!

وعبد له سيّد واحد، عرف ما يرضيه وما يسخطه؛ فعاش في رضا من نفسه، وفي سكينه من رُوحه، فهذا ما ذكره القرآن، ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾، ليتهم شركاء مُتَفَقُونَ، لكنهم متشاكسون، كلُّ واحد يأمر بضدِّ ما يأمر الآخر، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾، وهذا من مزايا التوحيد أنه يجعل نفسيّة الإنسان نفسيّة سوية، نفسيّة مطمئنّة، نفسيّة متوازنة غير مضطربة ولا متناقضة؛ لأنّه عرف غايته، وعرف طريقه، ومن عرف الغاية والطريق أمن، شعر بالأمن الذي قال الله تعالى فيه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. لا يخاف إلا الله.

التوحيد يُبرز النفس المُطمئنة:

غير المؤمن وغير الموحّد مصادر خوفه كثيرة جدًّا، يخاف من كل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١]. تجده يخاف من الجنّ والعفاريت والشياطين، ويخاف من المرض، ويخاف من الشيخوخة، ويخاف من الموت، ويخاف من كل شيء.

أمّا المؤمن فلا يخاف من شيء، حتّى الموت لا يخيفه، يعلم أنّ الموت يأتي في أجله، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]، ويعلم أنّ الرزق مقسومٌ والأجل معلومٌ فلا يخاف، ويعلم ما بعد الموت، أنّ هناك حسابًا وثوابًا وعقابًا، وجنةً ونارًا، فاطمأن قلبه، وسكنت نفسه، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

التوحيد يُؤدّي إلى هذه النفس المُطمئنة، ويؤدّي إلى النفس القويّة؛ لأنّها نفسٌ تتوكّل على الله، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، عزيزٌ لا يدلُّ من التجأ إليه، وحكيمٌ لا يضيع من وثق بتدبيره، ولذلك قال سيّدنا هود لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٥، ٥٦].

التوحيد يصنع هذه النفوس المُطمئنة المتوازنة السويّة، التي لا تشعر بقلق ولا بيأس ولا بكآبة، لا يبيس المؤمن أبدًا، الدُّنيا تدلّه من حوله، والظلمات تكتنفه من كلّ جانب، وهو يرى بصيص النور، يرى أنّ الفجر قادم بعد الليل، بعد الظلام سينفجر الفجر وستطلع الشمس، وأنّ مع

العسر يسراً، هكذا يعتقد الإنسان المؤمن، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْآلِقَوْمُ الْكٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

التوحيد مهمّة الإنسان الأولى:

إنّ التوحيد هو مهمّة الإنسان في الحياة، لماذا خلق الله الناس؟ خلقهم ليعرفوه ويعبدوه، بعض الناس يذكرون حديثاً قدسياً: «كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُونِي»^(١). وهذا حديث غير ثابت، ليس له سند ولا أصل، ولكن معناه ثابت في القرآن، نقرؤه في كتاب الله حيث يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، لماذا خلق السماوات والأرض وما بينهما؟ قال: ﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. فهذا العالم كله خلق ليعرف الناس ربّهم بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا، فإذا عرفوه عبدوه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. هذه غاية الفرد، ومهمّة الفرد.

وهي كذلك مهمّة الأمة، فالأمة الإسلامية مهمتها أن تنشر عبادة الله وحده، أن تنشر التوحيد في كل مكان، وهذا ما كان يعلمه الصحابة رضوان الله عليهم؛ حينما كانوا يحاربون الفرس والروم، ويدعون الناس إلى عبادة الله وحده، كانوا يعلمون أنّهم إنّما يقومون برسالتهم في هداية العالم، كما قال الله وَجَّكَ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. بهذه الآية كان النبي ﷺ يختم رسائله إلى أهل

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: هذا ليس من كلام النبي ﷺ، ولا أعرف له إسناداً صحيحاً ولا ضعيفاً. مجموع الفتاوى (١٢٢/١٨).

الكتاب: إلى قيصر، والمقوقس، والنجاشي، وإلى أمراء النصارى في العرب، ﴿أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾، لا نتخذ الملوك أهل الدنيا أربابًا، ولا نتخذ الأحرار والرهبان أهل الدين أربابًا، ليس هناك ربٌ إلا الله، يشرع للناس ويُحِلُّ لهم ويُحَرِّم عليهم.

أُمَّة مَبْعُوثَةٌ:

عرف الصحابة ذلك، فلما ذهب ربِعيُّ بن عامر مندوب سعد بن أبي وقاص إلى رُسْتَمَ قائد قَوَادِ الفرس، وقال له رستم: من أنتم؟ وما الذي أخرجكم من دياركم؟ كنتم تأتون إلينا ونعطيكم بعض المال وترجعون مسرورين، فما الذي جعلكم تأتون إلينا لتحاربونا؟ فقال له ربِعيُّ بن عامر، هذا الصحابي الذي لم يدخل مدرسة ولا جامعة، وإنما تعلَّم في مدرسة مُحَمَّدٍ ﷺ، قال له هذه الكلمات: إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثْنَا لَنُخْرِجَ مِنْ شَاءٍ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَمَنْ ضَيَّقَ الدُّنْيَا إِلَى سَعْتِهَا، وَمَنْ جَوَرَ الْأَدْيَانَ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ^(١). الله ابتعثنا، كان الصحابة يشعرون أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، كَمَا أَنَّ نَبِيَّهُمْ مَبْعُوثٌ بِرِسَالَةِ هُمْ مَبْعُوثُونَ بِرِسَالَةِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، قَالَ لَهُمْ: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^(٢). فهم مبعوثون.

«إِنَّ اللَّهَ ابْتَعَثْنَا لَنُخْرِجَ مِنْ شَاءٍ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ»، من عبادة الملوك ومن عبادة الأحرار والرهبان والأباطرة، والأكاسرة والقياصرة: إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، جاء الإسلام يُوسِّع على الناس

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣).

(٢) رواه البخاري في الوضوء (٢٢٠)، عن أبي هريرة.

الحياة، ويُحِلُّ لهم الطيبات، وجاء بحسنة الدُّنيا وحسنة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ما جارت به الأديان على الناس، ولذلك كان من أوصاف النبي ﷺ عند أهل الكتاب أنه ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فهذه مهمة الأمة: مهمّة الفرد هي التوحيد، ومهمّة الأمة هي التوحيد.

التوحيد من الولادة حتى الممات:

وبالتوحيد نستقبل مواليدنا، حينما يُولد لك مولود يأمرك الإسلام أن تؤذن في أذنه؛ حتّى يسمع هذه الكلمات التي جعلها الإسلام شعاراً في الأذان والإقامة والتشهد وغيرها: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، إلى آخر الأذان. حتّى يكون أوّل ما يترقّ أذن المولود هو شهادة أن لا إله إلا الله، يستقبل الحياة بالتوحيد.

ويؤدّع الحياة بالتوحيد، آخر ما يسمع الإنسان المسلم وهو على فراش الموت: لا إله إلا الله. كما قال النبي ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ - أَيِ الْمُحْتَضِرِينَ - لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١). ليكون آخر ما سمعه وهو خارج من الدُّنيا: لا إله إلا الله. كما كان أوّل ما سمعه وهو طفل لا يعقل ما يسمع: لا إله إلا الله.

حِمَى التوحيد:

الإسلام دين التوحيد، ومحمدٌ نبيُّ التوحيد، وقد جاء ﷺ ليحمي حمى التوحيد من كلّ ما يُشوّهه، أو يُكدّر صفاءه؛ حتّى بعض الألفاظ

(١) رواه مسلم في الجنائز (٩١٦)، عن أبي سعيد الخدري.

التي قد يفهم منها خلافه، قال رجلٌ مرّة: ما شاء الله وشئتَ يا رسولَ الله. فقال ﷺ: «أجعلتني لله ندًا؟ قل: ما شاء الله وحده»^(١). وقال له آخر: أنت سيّدنا. فقال: «السيدُ الله تبارك وتعالى»^(٢). حتّى هذه الألفاظ كان يُحذّر منها كي لا يقع الناس في الشرك؛ وهم لا يشعرون، منع من الحلف بغير الله^(٣)، والنذر لغير الله^(٤)، والذبح لغير الله^(٥)، والتبرُّك بالأشجار والأحجار وتعليق التمام، والرُقَى بغير اسم الله، وذكر: «إنَّ الرُقَى والتمائم والتّولة شرك»^(٦)، والتّولة: نوع من أنواع السحر تصنعه المرأة، تذهب إلى الساحر أو الكاهن؛ فيصنع لها شيئًا حتّى يُحبّها زوجها، أو يصنع لزوجها شيئًا حتّى تحبّه امرأته، كلُّ هذا رفضه الإسلام، «من علّق تميمةً فقد أشرك»^(٧).

(١) رواه أحمد (١٨٣٩)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥٩)، وابن ماجه في الكفارات (٢١١٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (١٦٣١٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨٠٦)، عن عبد الله بن الشّخير.

(٣) كما في حديث عمر بن الخطاب، أنّه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنَّ الله وعجلكَ ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم». متّفق عليه: رواه البخاري (٦٦٤٧)، ومسلم (١٦٤٦)، كلاهما في الأيمان والنذور.

(٤) كما في حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه». رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٧٠٠).

(٥) كما في حديث عليّ مرفوعًا: «لعن الله من ذبح لغير الله». رواه مسلم في الأضاحي (١٩٧٨) (٤٤)، وأحمد (٨٥٥).

(٦) رواه أحمد (٣٦١٥)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود (٣٨٨٣)، وابن ماجه (٣٥٣٠)، كلاهما في الطب، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٨٤٥). عن ابن مسعود.

(٧) رواه أحمد (١٧٤٢٢)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٢)، عن عقبه بن عامر.

هذا لأنَّ الإسلام يريد لأهله المُوَحِّدين، لأُمَّة الإيمان، لأُمَّة لا إله إلاَّ الله: أن تعتمد على السنن التي أقامها الله في الكون، وعلى شبكة الأسباب والمسببات، ولا تعتمد على الخرافات والأوهام التي لم يشرعها الله وَجَّهًا، وبهذا قامت أمة الإسلام الأولى، وانتصرت على ممالك الأرض التي كانت أقوى منها عُدَدًا، وأكثر منها عُدَدًا، وأعظم منها من الناحية الماديَّة.

لم يكن للمسلمين مدنيَّة الفرس، ولا حضارة الرُّوم، ولكن كان عندهم التوحيد؛ لا إله إلاَّ الله، فبهذا انتصروا، وبهذا أقاموا حضارة ربانيَّة إنسانيَّة أخلاقيَّة، علَّمت العالم كُله أكثر من ثمانية قرون من الزمان.

بهذا التوحيد الذي جاء به القرآن يجب أن نعتصم، وأن نستمسك بعروته الوثقى لا انفصام لها، ففي هذا عزُّنا في الدُّنيا، وسعادتنا في الآخرة، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

قانون ضدّ ازدراء الأديان:

في أوروبا وأمريكا في هذه الأسابيع حديث عن قانون يريد بعض الأوروبيين أن يصدر، يحمي الأديان من الازدراء، ومن السب والسخرية والإهانة، وذلك بعد أن شهد العالم وقائع حدثت، وكان لها آثارها، وكان معظم هذه الوقائع ضدّ المسلمين، ودين المسلمين، ونبّي المسلمين، وقرآن المسلمين، وتاريخ المسلمين، وحضارة المسلمين، وأُمَّة المسلمين؛ فالمسلمون هم الحائط الهين، الذي يطمع فيه الطامعون، ويدوس كرامته الدائسون؛ لأنّه لم يعد هناك من يدافع عن المسلمين.

قد عرفنا ما حدث أيام الرسوم الدانماركيّة الكاريكاتوريّة، التي أساءت إلى رسول الله ﷺ، وسخرت به وبأُمَّته، وصوّرتة إنساناً ليس له همٌّ إلاّ النساء، وليس له غرضٌ إلاّ قتل النَّاس وسفك الدماء؛ على غير واقع السيرة النبويّة تماماً، وهاج المسلمون في كلّ مكان، وطلب بعض المسلمين - ومنهم منظمة المؤتمر الإسلامي - من الأمم المتحدّة أن تُصدر قانوناً يُحرّم الاعتداء على الأديان بالسبّ والشتّم والإهانة.

وكاد هذا القانون أن يجد الأصوات اللازمة ليصدر، ولكن للأسف أمريكا - وفتّش عن أمريكا في كلّ خطر وكلّ شرٍّ - وقفت ضدّ هذا القانون، وقالت وزيرة الخارجية الأمريكيّة هيلاري كلينتون: إنّ هذا القانون يحرم البشريّة من حقّ التعبير عن الرأي!

وأنا أعجب كيف يكون السبُّ والشتم والإهانة تعبيرًا عن الرأي؟ هل لو جاء أحد وقال لك: أنت (ابن كلب)، أو (يلعن أبوك). هل هذا من حرية الرأي؟ وهل السبُّ والشتم وإهانة الخلق رأي يعبر عن فكرة؟ هذا إساءة، نقول عنه: قلة أدب، ومن يفعله إنسان قليل الأدب. فما لقلّة الأدب وما للرأي وما للتعبير عن الرأي؟! ولكن السيدة كلينتون تعتبر هذا من حُرّيّة الرأي؛ ولا ينبغي أن يصدر قانون يصادر حُرّيّة الرأي! تُهان الأديان، وأنبياء الأمم، ورسَل الأمم، وأُمَّة مثل أمة الإسلام في آخر إحصاء بلغت مليارًا وخمسمائة وسبعين مليونًا، هذه الأُمَّة ليس لها عند هؤلاء قيمة، يُنتهك عرضها، وتُتهتك حرّمتها، ويُساء إلى نبيّها ورسولها، وإلى قرآنها وإلى دينها باسم حُرّيّة التعبير!

نحن ننكر هذا، وندين هذا، ونرى بملء عقولنا أنّ هذا لا يدخل في حُرّيّة التعبير، وليس له علاقة بحُرّيّة التعبير في قليلٍ ولا كثير، من أراد أن ينقد الإسلام ويقول: التثليث أفضل من التوحيد لكذا ولكذا. فله هذا، أمّا أن يشتم مُحَمَّدًا ﷺ، أو يظهره في صورة (مَسْخَرَة ومَهْزَأَة)، فهذا ليس من حُرّيّة التعبير في شيء.

قانون لمنع بناء المآذن في أوروبا:

هناك أمرٌ آخر يدور الحديث عنه في أوروبا في هذه الأيام، عن مآذن المساجد، كان المسلمون يُقيمون مساجدهم، وفي كثير من البلاد سُمح لهم أن تكون للمساجد مآذن، وبعض البلاد سمحت لهم ثمّ نكسوا على رؤوسهم كما نكس قوم إبراهيم على رؤوسهم؛ فأرادوا أن يمنعوا المآذن، وقالوا: هذه شعارات دينيّة، ولسنا بلادًا إسلاميّة حتّى تُرفع هذه الشعارات. ولكن عندك مسلمون يحملون جنسيّة البلد، وبعض البلاد

المسلمون فيها بالملايين كما في ألمانيا، وكما في إنجلترا، وكما في فرنسا، وفي بعض البلاد بمئات الآلاف؛ فما الذي يُغضبك أن تقوم مئذنة تعلن التوحيد: الله أكبر، لا إله إلا الله. حتى ولو لم تعلن هي شعاراً فعلاً، لماذا تمنع الناس من إظهار شعائرهم، هذا أمر مهم، أنا حينما أدخل بلدًا وأجد فيه مئذنة أعرف أن هناك مسجدًا أستطيع أن أصلي فيه بعض الصلوات، وأستطيع أن أصلي فيه الجمعة، وأستطيع أن ألقى فيه إخواني، فهذه المئذنة - إذن - علامة مُميّزة.

ثم إن هذه المئذنة تريح الناس، تشعرهم أنهم في مجتمع متسامح، وأن الناس فيه متساوون، أن المسلم مثل الآخرين، المسيحي يبني كنيسة والكنيسة فيها برج، والبرج يظهر للناس، لماذا تمنعني من هذا؟ هذا معناه أنك تُثير ضغائن الناس، تريد أن تغرس الحقد في نفوسهم، تريد ألا تحترم هذه الأقلية الأكثرية ولا تكون موالية لها، أنت بهذا تمنع الناس من أن تعطي ولاءها الكامل للدولة التي تعيش فيها، وهذا معناه أن تكثر الضغائن وتكثر الكراهية، ولا يسيء إلى الناس شيء كما تسيء الكراهية والبغض لخلق الله، هذا للأسف ما يحدث في بعض البلاد.

ونحن ندعو الأوروبيين جميعًا أن يكونوا متسامحين، وأن يعاملوا المسلمين كما يعاملون سائر الناس؛ حتى تشيع المحبة، وحتى تشيع الأخوة وحب السلام بين الجميع، وفي هذا الخير للجميع: مواطنين وغير مواطنين، مسيحيين ومسلمين، إلى هذا ندعو، وإلى هذا يدعو الإسلام الذي يعتبر البشرية كلها أسرة واحدة، أبوهم واحد وربهم واحد، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، أعتقد

أن كلمة (الأرحام) هنا هي الأرحام البشرية العامّة غير الأرحام الخاصّة.

اللهمّ هبّ لنا من أمرنا رشداً، اللهمّ لا تكِلنا إلى أنفسنا طُرْفَةَ عَيْنٍ ولا أقلّ من ذلك، اللهمّ طهّر أقالنا من اللغو، وطهّر أعمالنا من العبث، وطهّر أنفسنا من الحقد، وطهّر قلوبنا من الغشّ، وطهّر ألسنتنا من الكذب، وأعيّننا من الخيانة، وعبادتنا من الرياء، وحياتنا من التناقض، اللهمّ اجمع كلمة هذه الأمّة على الهدى، وقلوبها على التّقى، ونفوسها على المحبّة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل.

ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربّنا إنك رؤوفٌ رحيم، ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، واعفُ عنّا، واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

اللهمّ لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا منّ لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهمّ ولّ أمورنا خيارنا، ولا تولّ أمورنا شرارنا، واجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

* * *

حقيقة التوحيد^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كان من دعاء النبي ﷺ دُبْرُ كُلِّ صَلَاةٍ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(٢). وقد تحدّثنا عن الذكر، ومنه الدعاء، وعن الشكر لنعم الله تبارك وتعالى.

وبقي علينا أن نتحدّث عن حسن العبادة، «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، فنحن ما خُلِقْنَا إِلَّا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَعَجَّلْ، ما خلق الله النَّاسَ لِمَجْرَدِ أَنْ يَأْكُلُوا وَيَشْرَبُوا وَيَلْبَسُوا وَيَلْعَبُوا، أَنْ يَمْشُوا عَلَى التُّرَابِ، وَيَعْمَلُوا فِي التُّرَابِ، ثُمَّ يَأْكُلُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ التُّرَابِ.. ما خلق الله النَّاسَ لِهَذَا، وَإِنَّمَا خَلَقَهُمْ لِيَعْرِفُوهُ وَيَعْبُدُوهُ، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

(١) ألقى هذه الخطبة في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة.

(٢) رواه أحمد (٢٢١١٩)، وقال مخرّجه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٥٢٢)، والنسائي في السهو (١٣٠٣)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، كلاهما في الصلاة، عن معاذ بن جبل.

معنى حُسن العبادة:

ومن هنا كان على الناس أن يعرفوا معنى حُسن العبادة، وأوّل ما يجب علينا فقهه من حُسن العبادة: ألا نعبد إلا الله. التوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة وبالاستعانة، فلا تعبد غيره، ولا تستعين بسواه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

إنّ الناس يتعبدون، والتعبُد موجود في كلّ ملّة، وفي كلّ زمن، وفي كلّ بيئة، حتّى قرّر المؤرّخون للديانات وللأمم أنّه قد وُجِدَت في التاريخ مدن بلا مدارس، وُجِدَت مدن بلا حصون، وُجِدَت مدن بلا قصور، ولكن لم توجد مدينة قط بغير معبد.

المعابد موجودة في التاريخ، ولكن المهم: مَنْ الَّذِي يُعْبَدُ؟

ضلال البشرية في معرفة المعبود الحق:

للأسف ضلّ الناس طوال التاريخ عن المعبود الحقيقي فعبدوا من دون الله - أو عبدوا مع الله - آلهة أخرى، آلهة في الأرض، أو آلهة في السماء، عبدوا ما يعقل، وما لا يعقل، وما لا يسمع ولا يبصر، عبدوا الشمس والقمر، كما حكى الهدهد لسليمان عليه السلام عن ملكة سبأ وقومها: ﴿وَجَدْتُهُمْ وَقَوْمَهُمْ يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤]. وهناك مَنْ عبدوا الكواكب من الصابئين، وهناك من عبدوا القوى الطبيعيّة: عبدوا الجبال، وعبدوا الأنهار.

وهناك مَنْ عبدوا الحيوانات: عبدوا العجول والأبقار، كان المصريون القدماء يعبدون عجلاً اسمه (هابيس أو أبيس)، ولا زال الناس في الهند

إلى اليوم مئات الملايين يعبدون البقرة، ويُقدِّسون بولها وروثها، وفي القرن السادس الميلادي - قُبَيْلَ بعثة النبي ﷺ - كان في الهند ثلاثمائة وثلاثون مليون إله، صَوَّرُوها ونحتوها، وملؤوا بها البيوت والطرقات.

كما عبد العرب في الجاهلية الأصنام، روى أبو رجاء العطاردي قال: كُنَّا نعبد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه، وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب، ثمَّ جئنا بالشاة فحلبناه عليه، ثمَّ طُفْنَا بِهِ^(١).

كان بعض العرب يعبدون أصناماً من العجوة، يجمعون التمر ثمَّ يُشكِّلون منه إلهًا، فإذا جاعوا أكلوه، وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٧٣]. الآلهة التي يعبدونها من الحلوى وغير ذلك، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. لو أكل الذباب من هذه الآلهة ما استطاعت أن تدفعه عن نفسها.

هكذا ضلَّ الناس الطريق، ضلَّ الخلقُ بالشُّرك عن الإله الحقيقي، وعبدوا ما لا يُعبد، وأشركوا مع الله آلهة أخرى بدعاوى كثيرة، قالوا: ﴿هَتُولاَ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وقالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]. اعتقدوا أنهم لن يصلوا إلى الله إلا بوسائط، وكل هذه دعاوى باطلة، وقياس للخالق على الخلق، فباب الله مفتوح للجميع، وهو ينادي الجميع أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

ضلال المشركين بالله:

كان الذين أنكروا وجود الله على مر التاريخ فئة قليلة مغمورة، لا يُقام لها وزن، ولكن الذين ضلُّوا هم الذين أشركوا بالله، وعبدوا من دون الله - أو مع الله - آلهة أخرى، ولهذا أرسل الله الرسل ليردُّوا الناس إلى حقيقة التوحيد، ومن هنا كان النداء الأوَّل في كل رسالة رسول إلى قومه: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. كان هذا نداء نوح، ونداء هود، ونداء صالح، ونداء غيرهم من الأنبياء، وهذا ما قرَّره القرآن الكريم حينما قال للنبي ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

هكذا أرسل الله الرسل؛ لينقذوا الناس من الشرك، الذي أضلَّ المُكَلَّفِينَ عن الحقيقة، وجعلهم يتعبَّدون لما لا يُتعبَّد له، وينحنون لمخلوقٍ مثلهم، قد يكون حجرًا، وقد يكون بشرًا، لأن هناك آلهة أيضًا من البشر ادَّعوا لأنفسهم، أو ادَّعى لهم أتباعهم أنهم آلهة مع الله، أو أنهم آلهة من دون الله.

حكى القرآن عن النمروذ، وكيف حاجَّه إبراهيم عليه السلام، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وكان قد حكم على اثنين بالإعدام، فنقذ الحكم في أحدهما، وعفا عن الآخر، وقال: هذا أحييته، وهذا أمته! ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، انتقل من دليل إلى دليل آخر؛ حتى لا يقع في جدلٍ لا معنى له، ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. ووجد هؤلاء من يُصدِّقهم،

وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِرَبوبِيَّتِهِمْ، طَمَعًا أَوْ خَوْفًا، أَوْ جَهْلًا وَغِبَاءً، وَعُجْبًا مِنْ النَّاسِ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُعْبَدَ.

كان الشرك هو مباءة الخرافات، ووكر الضلالات والأباطيل على مدى القرون المتطاولة، واستطاع الكهنة الذين يدعون أنهم هم القريبون من الآلهة، وهم ألسنتها التي تتكلم باسمها، استطاع هؤلاء أن يضحكوا على الشعوب، وأن يضللوها، وأن يبتزوا أموالها، وأن يدعوا أنهم هم وحدهم المُحتَكرون للدين، والمتاجرون بالوساطة بين الله وبين عباده.

لهذا جاء الإسلام فأبطل هذا كله، أبطل الشرك بكل صورته، وأعلن أنّ كلمة الإسلام العليا، وباب الدخول في الإسلام هو: لا إله إلا الله. هذه هي الكلمة المُعبّرة عن الإسلام: كلمة التوحيد، كلمة الإخلاص، كلمة التقوى.

دعوة التوحيد ميلاد جديد للبشرية:

كانت كلمة التوحيد إيذانًا بميلاد جديد للبشرية، يتحرّر فيه الناس، ترتفع فيه الجباه عن الانحناء لأيّ مخلوق كان، فلا يُعفّر أحد جبهته إلا لله ساجدًا، ولا يُطأطئ رأسه إلا لله راکعًا، ولا يرجو ولا يخاف إلا الله، الناس كلهم عبيد؛ فلماذا ينحني إنسان لآخر؟ ولماذا يخاف الناس من الناس؟ الرزق بيد الله، والأجل بيد الله، والضرّ والنفع بيد الله، فلماذا يجب أن يتحرّر الناس من الخوف، ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

كان هذا هو التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ، مؤكّدًا لما جاء به الأنبياء من قبل، ومُصحّحًا لما حدث من انحرافات في الأديان السماوية

التي دخلت عليها الوثنية فأفسدتها. فقد دخلت الوثنية على اليهودية فأخرجتها من حقيقة التوحيد بعد أن أفسدها التجسيد والتشبيه، كما دخلت الوثنية على النصرانية فأفسدتها أيضًا منذ عهد قُسطنطين؛ فأصبح المسيح إلهًا مع الله، إله حق من إله حق، وأصبح أحد الأقانيم الثلاثة.

حماية التوحيد من كل شائبة:

هكذا فسدت الأديان كلها، فكان الناس في حاجة إلى توحيد محرر مصفى، فجاء مُحَمَّد ﷺ ليعلن حقيقة التوحيد، ويحمي جناب التوحيد، وحمى التوحيد من كل شائبة، جاء يُعلن ذلك في الأذان من فوق المنائر، خمس مرّات في كل يوم يُعلن على مرأى ومسمع من الناس: أشهد أن لا إله إلا الله. وفي الإقامة حينما نقيم الصلاة، وفي التشهد حينما نتلو التحيّات في الصلوات: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله.

وحينما يُولد المولود أوّل ما يطرق سمعه هو التوحيد، فمن السنّة أن نوذّن في أذن المولود اليمنى، نُسّمعه الأذان: الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله. ومن السنّة كذلك أن يُلقن المحتضّر حين يموت: لا إله إلا الله. فأوّل ما يستقبل الإنسان هذه الدُّنيا: لا إله إلا الله؛ وآخر ما يُودّع به الدُّنيا: لا إله إلا الله؛ التوحيد مبتدؤه، والتوحيد منتهاه، والتوحيد هو رسالته فيما بين الموت والحياة.

التحرر من الوثنية والشرك:

هكذا جاء الإسلام ليقرّر حقيقة التوحيد ويثبتها، ليحرّر الناس من الوثنية أيًا كانت هذه الوثنية، فلا يجوز أن يتخذ الإنسان غير الله ربًّا،

ولا أن يتخذ غير الله وليًّا، ولا أن يتبغى غير الله حكمًا، وهذه عناصر التوحيد التي أقرتها سورة التوحيد، سورة الأنعام: ألا تبغى غير الله ربًّا، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، وألا تتخذ غير الله وليًّا، توالي فيه وتعادي فيه، ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]، وألا تتبغى غير الله حكمًا تحتكم إليه، وترضى بأمره ونهيه، ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، فلا حكم غير الله، ولا ولي غير الله، ولا رب غير الله.

إنَّ النبي ﷺ قد حكم على أهل الكتاب بالشرك؛ لأنهم اتبعوا أناسًا حللوا لهم وحرّموا بدون إذن من الله، وأطاعوهم طاعة مطلقة، ولذلك حينما دخل عدي بن حاتم الطائي على النبي ﷺ، وكان في عنق عدي صليب، وكان قد تنصّر في الجاهليّة، دخل على النبي ﷺ، فسمعه يقرأ سورة التوبة إلى أن وصل ﷺ إلى هذه الآية: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]. فقال: يا رسول الله، ما اتخذناهم أربابًا، ما كنا نعبدهم. فقال ﷺ: «ألم يكونوا يُحلُّون لكم الحرام، ويُحرِّمون عليكم الحلال فتطيعوهم؟». قال: بلى؟ قال: «فتلك عبادتكم إيَّاهم»^(١). ما داموا قد جعلوا من أنفسهم مشرّعين، يُحلِّلون ويُحرِّمون ما شاؤوا، حتّى ولو حرّموا ما أحلّ الله، وأحلّوا ما حرّم الله، وتبعتموهم على ذلك طائعين مختارين فقد عبدتموهم، سلبتم الله حقّه في التشريع والتّحليل والتّحريم، وأعطيتموه لهؤلاء الناس، فتبعتموهم وأطعتموهم. قال: بلى؟ قال: «فتلك عبادتكم إيَّاهم».

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٩٥)، وقال: هذا حديث غريب. وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣)، عن عدی بن حاتم.

إِنَّ الْإِسْلَامَ جَاءَ يُحَرِّرَ الْبَشَرِيَّةَ مِنَ الْوَثْنِيَّةِ، ويرتفع بالناس من حضيض الوثنيَّة والشرك، ومبءة الخرافات والضلالات، إلى الارتفاع الإنساني، إلى السمو الإنساني، حيث لا يرجو الإنسان إلا رَبَّهُ، ولا يخاف إلا ذنبه، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، هكذا شأن المشرك. أمَّا التوحيد فهو ارتفاعٌ وسمو.

خوف المشرك من كل شيء:

المشرك يخاف من كل شيء، يخاف من المجهول ومن المعلوم، من الجنِّ ومن الإنس، ويخاف على نفسه، ويخاف على أهله، ويخاف على رزقه، ويخاف على أجله، ويخاف من كل شيء، أمَّا مَنْ وَحَدَّ اللَّهُ فلا يخاف إلا الله، ولهذا قال الله في المشركين: ﴿سَكُنْتُمْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١].

أمَّا المؤمنون فليس عندهم هذا الرعب ولا هذا الخوف، بل عندهم الأمن النفسي، ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. سأل الصحابة الرسول ﷺ عن هذه الآية، قالوا: وَمَنْ مِنَّا لَمْ يَظْلَمْ نَفْسَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ إِذَا كَانَ هَذَا لِمَنْ لَمْ يَخْلُطْ إِيمَانَهُ بِأَيِّ نَوْعٍ مِنَ الظُّلْمِ؛ فَكُنَّا يَظْلَمُ نَفْسَهُ وَيَتَعَرَّضُ لِلظُّلْمِ. قال: «ليس كما تقولون، إِنَّهُ الشَّرْكُ، أَمَّا سَمِعْتُمْ مَا قَالَ لِقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]؟»^(١). فمعنى أنهم لم يلبسوا إيمانهم بظلم: أنهم أخلصوا توحيدهم لله؛ فلم يشوبوه بشائبة من الشرك.

(١) سبق تخريجه ص ٥٠.

تحرير التوحيد ممّا شابه على مرّ العصور:

وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان المؤمن مُحَرَّرًا توحيداً، مُصَفِّياً له من كلِّ ما يشوبه، فإذا سأل لا يسأل إلا الله، وإذا استعان فلا يستعين إلا بالله، وإذا نذر لا ينذر إلا الله، وإذا ذبح لا يذبح إلا الله، لا ينذر لنبي ولا لولي، ولا يذبح لنبي ولا لولي، فهذه عبادات لا ينبغي أن تُوجَّه إلا لله، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ [البينة: ٥].

ينبغي أن نُحَرِّرَ التوحيد ممّا شابه على مرّ العصور، فممّا يؤسف له أنّ المسلمين شابوا توحيدهم بمخالطة الأمور الأخرى، ودخلت عليهم خرافات وأباطيل، فاتَّخذوا القبور مساجد، وبنوا في المساجد قبوراً، وتبرَّكوا بالشجر والحجر، واستغاثوا بالأولياء وأصحاب الأضرحة، ووسَّطوا بينهم وبين الله وسائط، ونذروا لغير الله، وذبحوا لغير الله، وعلَّقوا التمام والأحجبة، وكل هذا ممّا حذّر منه النبي ﷺ قال: «لا تتَّخذوا القبور مساجد»^(١)، «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»^(٢). وحذّر أن يُتَّخذ قبره من بعده وثناً يُعبد، قال: «لا تتَّخذوا قبوري بعدي عيداً»^(٣). حذّر من ذلك أشدَّ التحذير خشية الغلو، أن يغلوا بعض الناس؛ فيصلوا إلى ما وصلت إليه الأمم الأخرى.

قالوا: إن ودّاً وسواعاً ويغوثاً ويعوق ونسراً - أصنام قوم نوح - كانت في الأصل أسماءً لرجال صالحين، لمّا ماتوا عكف أتباعهم وأصحابهم

(١) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٢)، عن جندب.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجناز (١٣٣٠)، ومسلم في المساجد (٥٢٩)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٨٨٠٤)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في المناسك (٢٠٤٢)، عن

أبي هريرة.

على قبورهم، ثم صَوَّروا لهم صورًا ليتذكروهم بها، وبِمُضِيِّ الزمن نَسِيَ الناس قصة هذه الصور، وصارت أصنامًا تُعبد من دين الله.

لهذا كان النبي ﷺ حريصًا أشدَّ الحرص على أن يمنع كلَّ ما يشوب التوحيد، قال له رجل: ما شاء الله وشئتَ، يا رسولَ الله. قال: «أجعلتني لله ندًا؟ قل: ما شاء الله وحده»^(١). وفي بعض الأحاديث: «قل: ما شاء الله، ثمَّ ما شاء فلان»^(٢). لا ينبغي أن يقرن الإنسانُ بين الله وغيره، لا تقل: باسم الله واسم فلان، أو لوجه الله ولوجه فلان. إن كان ولا بدَّ أن تقرن مع الله أحدًا أو شيئًا فليكن العطف بـ(ثمَّ) التي تدلُّ على افتراق الرتبة، تقول: لولا الله ثمَّ فلان. لا تقل: لولا الله وفلان.

الاحتياط في أمور التوحيد والشرك:

وهكذا كان السلف حذرين أشدَّ الحذر من مثل هذه الألفاظ الموهمة للشرك، وهكذا كان النبي ﷺ، كان يقول: «لا تُظْرُونِي كما أظرت النصارى عيسى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله»^(٣). ولذلك نقول في تشهّد الصلوات: وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. نشهد له بالعبودية والرسالة معًا، فهو ليس أكثر من عبد الله، ليس شريكًا مع الله، ولا ندًا لله، إنما هو مخلوق من مخلوقات الله، اصطفاه الله ﷻ وأوحى إليه، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

(١) سبق تخريجه ص ٨٧.

(٢) رواه أحمد (٢٣٢٦٥)، وقال مخرّجه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٨٠)، والنسائي في الكبرى، في عمل اليوم والليلة (١٠٧٥٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٣٧)، عن حذيفة بن اليمان.

(٣) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٤٥)، عن عمر بن الخطاب.

كان صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصًا على أن يحمي حمى التوحيد من كل ما يُكدر صفاءه، وكان يُحذر أصحابه من كل ما يدخل في هذا الناحية، ولذلك نراه منع الصلاة عند طلوع الشمس إلى أن ترتفع، وعند استوائها إلى أن تزول، وعند اصفرارها إلى أن تغرب، منع التطوع في هذه الأوقات، لماذا؟ لأن عبَاد الشمس كانوا يسجدون لها يتقربون إليها في هذه الأوقات، فخشي أن تكون هذه المشابهة ذريعة لمشابهة المشركين فسد الباب من أصله.

ينبغي أن نكون محتاطين في أمور التوحيد والشرك، قال النبي صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةَ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١). تميمه: خرزة، حجاب، شيء مما يُعلقه الناس تعويذةً ليحفظه من العين، أو يحرسه من الجن، أو نحو ذلك، فهذه ضروب من الشرك.

وكذلك الرُّقى - إلا ما كان فيه ذكر لله تعالى ولأسمائه وصفاته - نوعٌ من الشرك، والتبرُّك بالأحجار والأشجار ونحوها نوعٌ من الشرك، رأى الإمام زين العابدين ابن الحسين بن عليّ رجلاً وجد فرجة عند قبر النبي صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان يأتي عندها ويدعو الله تعالى فيها، فنهاه عن ذلك، وأبلغه أن النبي صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهى عن ذلك، وقال: «إِنْ سَلَامَكُمْ يَبْلَغُنِي حَيْثَمَا كُنْتُمْ»^(٢). فصلٌ وسلّم على النبي صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أينما كنت تبُلغهُ صلاتك وتسليمك، هكذا كانوا حذرين.

ولمّا بلغ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن بعض المسلمين كانوا يذهبون إلى الشجرة التي بايع الصحابةُ النبي صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندها في يوم الحديبية، وهي الشجرة

(١) سبق تخريجه ص ٨٧.

(٢) رواه الضياء في المختارة (٤٢٨).

المذكورة في القرآن، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، كان بعض المسلمين يذهبون إلى تلك الشجرة للتبرُّك بها، فلما بلغ عمر ذلك أمر بقطعها سدًّا لباب الفتنة^(١)، حتَّى لا تهبَّ رياح الفتنة على الناس.

هكذا أيُّها الإخوة المسلمون ينبغي أن نصون توحيدنا، ينبغي أن نعيش بهذا التوحيد، فنحن أمّة التوحيد، إذا أردنا أن نضيف الإسلام إلى شيء قلنا: إنّه دين التوحيد. فهو دين التوحيد بعد أن ضلّت الأمم عنه، ولو عرفنا التوحيد حقًّا لكنّا سادة الأمم، وكنا خير الأمم، وانطلقنا بهذا الدّين في الشرق والغرب؛ مُبشّرين ومنذرين، ندعو البشريّة إلى التّحرُّر الحقيقي.

أساس التّحرُّر الحقيقي هو التّوحيد:

وإنّ أساس التّحرُّر الحقيقي هو التّوحيد، لأنّنا إذا حرّرتنا الناس من عبادة غير الله؛ فقد تحرّروا حقًّا، فلا حرّيّة لمن يعبد غير الله، سواء كان هذا الغير حجرًا أم بشرًا، فأساس الحرّيّة توحيد الله **وَعَلَىٰ**.

ثمّ الأخوة التي ينادي الإسلام بها الناس؛ لأنّه لا أخوة بين ربّ ومربوب، لا يمكن أن يكون نمرود ولا أن يكون فرعون أخًا للذين يعبدونه، لا يمكن أن يكون الأخبار والكهنة الذين يتحكّمون في ضمائر الناس ويبيعون لهم الجنّة أسهمًا وقراريط، ويغفرون لهم إن شاؤوا أو لا يغفرون، لا يمكن أن يكون هؤلاء إخوة للناس، بل هم سادة عليهم.

إنّ الأخوة الحقيقيّة إنّما تكون في ظلال التوحيد. أنت أخي وأنا أخوك؛ لأنّنا جميعًا نعبد ربًّا واحدًا، قد تملك القناطر المقنطرة من

(١) الحوادث والبدع للطرطوشي ص ١٦٠، نشر دار ابن الجوزي، ط ٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.



الذهب والفضة، قد تكون عندك الملايين في رصيدك، قد تكون من أعظم أسرة في الناس، ولكن أنا بشر وأنت بشر، أنا وأنت نعبد ربًا واحدًا، فأنت أخي وأنا أخوك إذن، هذا هو ما جاء به الإسلام، فالحُرِّيَّة والأخوة والمساواة تنبع من التوحيد.

التوحيد هو أساس الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، فعلينا أيُّها الإخوة أن نعرف حقيقة التوحيد، ونتعلَّمه ونُعَلِّمه، ونعيش به ونعيش له، وندعو إليه؛ كما دعا الصحابة رضوان الله عليهم، حينما وقف ربِّعي بن عامر - هذا القائد الأعرابي البسيط - أمام رُسْتَمَ قائد الفرس، وقال له رستم: مَنْ أنتم؟ قال له: نحن قومٌ ابتعثنا الله لنُخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتِها، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام^(١). هكذا أدرك الصحابة أن مهمَّتهم ليست تحرير أنفسهم فقط، ولا تحرير جزيرة العرب فقط، ولكن تحرير مَنْ شاء الله من الناس، من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، هكذا ينبغي أن نكون.

نسأل الله وَجَلَّ أَنْ يُفَقِّهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يُعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمْنَا، آمِينَ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣).

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

كنتُ حدّثتكم منذ أسابيع عن إخوة لكم في أوغندا في شرق إفريقيا، وعمّا يعانيه هؤلاء الإخوة هناك من حرب صليبيّة جعلتهم يأكلون أوراق الشجر، اضطرت فريقًا منهم أن يأووا إلى الغابات، هاربين فيها من القتل والإبادة الجماعيّة، فبعد خروج عيدي أمين من الحكم، كانت هناك حملات صليبيّة وحشيّة على هؤلاء الإخوة المسلمين، حتّى اضطروا إلى أن يلجؤوا إلى الغابات والأدغال، يعيشون فيها أشهراً وسنين، ولا زال بعضهم هناك، حتّى قال لي بعض الإخوة الذين يقيمون معنا هنا لدراسة اللغة العربيّة بجامعة قطر: إنّ بعضهم لا يزالون في الغابات؛ لأنّهم لا يجدون من الملابس حتّى يعودوا إلى القرى والمدن. لا يجدون ما يستر عوراتهم، هكذا يعيش هؤلاء الإخوة، ولهؤلاء الإخوة تلاميذ في المدارس لا يجدون الكتاب الذي يقرؤونه، لا يجدون المصحف الذي يقرؤون فيه؛ لأنّه لا توجد مطبعة واحدة للمسلمين هناك في شرق إفريقيا تطبع لهم المصحف، أو تطبع لهم الكتاب، أو تُجلّد لهم الكراسة، حتّى الكراسة لا يجدونها، حتّى القلم الرصاص لا يجدونه، وبجوارهم الكنائس التبشيريّة تُغدقُ عليها الملايين، ويدخلها التلاميذ فيجدون كل شيء مُيسّر: الطعام، والشراب، والكساء، والدواء، والكتاب، والقرطاسيّة، والناقلات التي تنقلهم، والمسكن الداخليّة، ويقولون للمسلمين: لماذا تُتعبون أنفسكم؟ هاتوا أولادكم عندنا ونحن نُعلّمهم بالمجان، لا نطلب منكم شيئاً، وهؤلاء يضنون بأولادهم أن يُنشئوا نشأة غير إسلاميّة، أن يُنشئوا في حضانة التبشير والتنصير، هؤلاء يحتاجون إلى مَنْ يُعينهم،

ذكرت مرّة أنّهم يحتاجون إلى مطبعة يطبعون فيها القرآن والكتب الدينيّة، ألا يوجد من يعاونهم لشراء مطبعة؟ إنّ هناك أناسًا من المسلمين في الأعراس في بعض البلاد ينفقون الآلاف، ومئات الآلاف، والملايين في بعض الأعراس، بل في عرسٍ واحدٍ ينفقون هذا، فهناك أناس يستطيعون أن يُنفقوا على هذا المشروع لو جادت أنفسهم، أفلا يوجد من ينفق، ومن يجود، ومن يسخو؟

على كل حال أيّها الإخوة؛ إذا لم نجد الأغنياء الذين يجودون فليس أمامنا إلّا الفقراء والمتوسّطون من الناس، والقليل على القليل كثير، وقد تعوّدنا في هذا المسجد إلّا نجمع تبرعات، وألّا نفتح الباب لذلك، وهذا ما توجّه إليه رئاسة المحاكم الشرعيّة، ولكنّي خرجتُ عن هذه القاعدة من أجل هؤلاء الإخوة، نريد أن نجمع لهم ما تيسّر، عسى الله تبارك وتعالى أن يُعيدهم إلى بلادهم مجبورين وقد اطمأنت خواطرهم على مستقبلهم ومستقبل أبنائهم، فأدعوكم إلى أن تساعدوهم بما استطعتم، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]، يمكن أن تُعطيهم من الزكاة، ويمكن أن تُعطيهم ممّا بعد الزكاة، والله تعالى يتقبّل ممّا يقبلنا؛ إنّهُ هو السميع العليم.

الرحمن الرحيم (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً عن القرآن الكريم، وموضوعات القرآن الكريم التي بدأناها بالعقيدة، فالعقيدة هي أساس العمل، والإيمان هو أساس الوجود الإسلامي كله، وأوّل هذه العقيدة: الإيمان بالله تبارك وتعالى، أن نُوحِّده ولا نشرك به شيئاً، وأن نؤمنَ بأنَّ له الكمالات العليا التي تتجسّد في أسماء الله تعالى الحسنى، وهذا ممّا انفرد به الإسلام، أنّه جعل لله تعالى صفات علا سمّاها (الأسماء الحسنى)، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وبدأنا بأولها وأعظمها، وهو لفظ الجلالة (الله) الذي هو علم على الذات الإلهية العليا لا يشركه فيها أحد، فيجب أن يذكر المؤمن دائماً اسم الله وَجَلَّ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢]، ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٣ ديسمبر ٢٠٠٩م.

أن يكون لسانك رطباً بذكر الله:

يجب أن تكون دائماً مع الله، ذاكرًا لله، مُرَطَّبًا لسانك باسم الله، عامرًا قلبك بحبِّ الله وَجَلِّ، كما قال الإمام الرازي: اعلّموا أيُّها الناس أنّي عشتُ طوالَ عمري أقول: الله. فإذا احتضرني الموت قلت: الله. فإذا نزلت قبري وسألني الملكان قلت: الله. فإذا بُعثتُ من قبري وحُشِرْتُ مع المحشورين قلت: الله. فإذا نُصب ميزاني ووُزِنَتْ أعمالي قلت: الله. وإذا أخذت كتابي قلت: الله. وإذا اجتزْتُ الصراط قلت: الله. وإذا دخلت الجنة قلت: الله. وإذا رأيتُ الله في الجنة قلت: الله. فلا زلتُ مع الله، وباللّٰه، ومن الله، ولله، وإلى الله^(١).

وهكذا ينبغي أن يكون المؤمن مع هذا الاسم العظيم (الله)، كما قال أحد الصالحين: أعددتُ لكلِّ نعمة (الحمد لله)، ولكلِّ مصيبة (إنَّا لله)، ولكلِّ مشروع (باسم الله)، ولكلِّ شدة (لا حول ولا قوّة إلاّ بالله)، ولكلِّ ذنبٍ (أستغفر الله)، ولكلِّ عدوٍّ (حسبي الله)، ولكلِّ جبارٍ مُتَكَبِّرٍ (ربي الله). كل شيء أعدّه بالله ولله وإلى الله، هذا هو الاسم الأوّل من الأسماء الحسنی.

الرحمن الرحيم:

ويأتي بعد اسم (الله) اسمان متّصلان كما نرى في البسملة: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ﴾ [الفتاحة: ٣]. (الرحمن) عَلِمَ أيضًا على الله تبارك وتعالى، ولكنّه عَلِمَ مشتقًّا من الرحمة، لا يوصف به غير الله، لا يوجد (رحمن) إلاّ الله، ولكن يوجد (رحيم)، «لا يدخل الجنة إلاّ رحيم». قالوا: كلُّنا رحيمٌ

(١) تفسير الرازي (١/١٥٤).

يا رسول الله. قال: «أما إنها ليست برحمة أحدكم صاحبها، ولكنها رحمة العامة»^(١). أن تكون مصدرًا لرحمة الناس جميعًا، مسلمهم وكافرهم، برّهم وفاجرهم.

(الرحمن) إذن عَلَّمَ على الله، ولذلك يوصف الله به، ويُخبر عنه بأخبار، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ [الفرقان: ٦٠]، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، كما تقول: عباد الله. لا تقول: عباد الرحيم أو عباد السميع. لا، وإنما تقول: عباد الله أو عباد الرحمن. فالرحمن عَلَّمَ على الذات الإلهية، ولكنه عَلَّمَ مشتقًا من الرحمة. ويُدعى الله به كما يُدعى بلفظ الجلالة (الله)، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠]، ولا ينبغي أن يُشرك به، ولا أن يُجعل ولدًا له، ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا * وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٠-٩٣]، هذا هو الرحمن.

وصيغة (الرحمن) تدلُّ على الامتلاء، فهي صيغة مبالغة، أي هو عظيم الرحمة، المُبالغ في الرحمة؛ لأنَّ رحمته وسعت كلَّ شيء، ولذلك وُصِفَ بأنَّه (الرحمن الرحيم).

(١) عزاه المنذري في الترغيب والترهيب (٣٤٠٩) للطبراني وقال: رواه رواة الصحيح. وكذا الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦٧). ورواه النسائي في الكبرى في القضاء (٥٩٢٨)، والحاكم في البر والصلوة (١٦٧/٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي، بلفظ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَا حَمُوا». عن أبي موسى الأشعري.

حاول المُفسِّرون أن يُفَرِّقوا بين اللفظين أو الاسمين (الرحمن الرحيم)، قالوا: هذا المنعم بجلال المنعم، وهذا المنعم بدقائق المنعم، هذا رحمن الدُّنيا والآخرة، وهذا رحيم الدُّنيا. إلى آخر ما قالوه، ولكن كل هذه الفروق ليست عليها دلائل قاطعة، وإنما هما مبالغة في إثبات الرحمانية والرحمة لله تبارك وتعالى، ولذلك تكرر هذان الاسمان في القرآن الكريم.

تكرر اسم (الرحمن) وحده سبعا وخمسين مرّة (٥٧)، وتكرر اسم (الرحيم) وحده مائة وأربع عشرة مرّة، وتكرر الاسمان كلاهما مع الآخر مائة وتسع عشرة مرّة، هذا غير المرّات التي ذُكرت فيها مادّة (رحم) نحو: (من رحمته)، و(من رحمتنا)، و(رحم)، و(يرحم)، إلى آخره.

عناية القرآن الكريم بالرحمة:

تكرّرت مادّة الرحمة في القرآن الكريم بما لا تجدها في كتاب آخر، اقرأ فيما يُسمّى (العهد القديم)، وفيه أسفار التوراة الخمسة وملحقاتها، أو ما يسمّى (العهد الجديد)، وفيها الأناجيل الأربعة وتوابعها، وانظر هل تجد فيها اسم (الرحيم) أو (الرحمن) أو (الرحمة) كما ذُكرت هكذا في القرآن مئات المرّات؟ لا يوجد هذا إلا في القرآن الكريم.

ومع هذا يزعمون أنّ الإسلام دين العنف، لماذا؟ قالوا: لأنّ الله في العقيدة الإسلاميّة يسمّى (الجبار). واسم (الجبار) لم يُذكر في القرآن إلا مرّة واحدة في سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]. وهو جبار على المتجبرين، ومتكبر على المتكبرين، فهذه أسماء خاصّة

بِاللَّهِ وَعَجَلَ، وَذَكَرْتَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَنَسُوا الْآيَةَ الَّتِي قَبْلَهَا: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]، وَفِي الْآيَةِ نَفْسَهَا: ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾. الَّذِي يُؤْمِنُ عِبَادَهُ مِنَ الْخَوْفِ، نَسُوا هَذَا، وَزَعَمُوا أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ الْعَنْفِ.

اقْرَأْ أَسْفَارَ التَّوْرَةِ وَمُلْحَقَاتِهَا، وَالْأَنْجِيلَ وَتَوَابِعَهَا لَا تَجِدُ هَذَا الَّذِي عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، نَحْنُ وَحَدْنَا الَّذِينَ نَبَدَأُ كِتَابَ رَبِّنَا بِالرَّحْمَةِ، أَوَّلَ مَا تَفْتَحُ الْمَصْحَفَ مَاذَا تَقْرَأُ؟ تَقْرَأُ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * [الْفَاتِحَةُ: ١-٣]. فِي الْفَاتِحَةِ يَتَكَرَّرُ اسْمُ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) مَرَّتَيْنِ، وَبِمَا أَنَّ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي الْيَوْمِ سَبْعَ عَشْرَةَ رُكْعَةً؛ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ يُكْرِّرُ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً، فَإِذَا كَانَتِ السَّنَنُ الْمُؤَكَّدَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ رُكْعَةً فَإِنَّ الْمُسْلِمَ يُكْرِّرُ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سِتًّا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، فَالْمُسْلِمُ يَرُدُّ اسْمَ اللَّهِ (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) سِتِّينَ مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ فِي صَلَاتِهِ.

وَكَلَّمَا بَدَأَ الْمُسْلِمُ أَمْرًا مِنْ أُمُورِهِ، كَلَّمَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ، كَلَّمَا رَكَبَ أَوْ نَزَلَ، كَلَّمَا دَخَلَ أَوْ خَرَجَ، كَلَّمَا سَافَرَ أَوْ رَجَعَ، يَبْدَأُ كُلَّ أَعْمَالِهِ بِاسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَحَيَاتِهِ مَمْلُوءَةٌ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي دَعَا إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ.

رحمة واسعة شاملة:

وَمَنْ أَوْصَافَ رَحْمَةَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنَّهَا رَحْمَةٌ وَاسِعَةٌ، وَرَحْمَةٌ غَالِبَةٌ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ الشَّرِيفِ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»^(١). أَي: غَلَبَتْ غَضَبِي، فَهِيَ غَالِبَةٌ عَلَى الْغَضَبِ، وَهِيَ وَاسِعَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّوْحِيدِ (٧٤٢٢)، وَمُسْلِمٌ فِي التَّوْبَةِ (٢٧٥١)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

على لسان موسى: ﴿وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا
إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].
العذاب مُقَيَّد بالمشيئة، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، لم يقل: إن شئت. ولم يقل: ورحمتي وسعت كلَّ حيٍّ. رزقه وسع كلَّ حيٍّ، ولكن رحمته وسعت كلَّ شيء؛ لأنها تشمل الأحياء البشريَّة وغير البشريَّة: الإنسان والحيوانات، والطيور والحشرات، والأسماك والنبات، وكل كائن حي، وتشمل غير الأحياء: الجمادات، والأفلاك، الشمس والقمر، والنجوم، رحمة الله واسعة بحيث تمنعها من أن تصطدم فيدمر بعضها بعضًا، رحمة الله في الأرض، ورحمة الله في السماء.

ومن سعة هذه الرحمة: أنها تشمل عباده جميعًا: مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، مطيعهم وعاصيهم، لا تضيق بأحد من خلقه، وإلا فإنه يُطلع شمسَه على المؤمن والكافر، ويُنزل مطرَه على البرِّ والفاجر، الكلُّ يستفيد من خيرات الله، لا يبعد هذا الفاجر عن خيره ورحمته من أجل معصيته، فرحمة الله رحمة واسعة.

رحمة تامة ممتدة غير منقوصة:

ورحمة الله تامة غير ناقصة، رحمتنا نحن البشر - إذا كان فينا مَنْ يرحم - رحمة محدودة، لأننا لسنا كاملي القدرة، ولا كاملي الإرادة، ولا كاملي العلم، فيحيط بنا العجز والجهل والاضطرار من كل ناحية، أمَّا الله ﷻ فرحمته تامة؛ لأنه لا يعوقه شيء، ولا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فإذا أراد أن يُوصِّل خيرًا إلى مخلوق لم يمنعه مانع، ويوصله إليه كما يحب وكما يريد، فرحمته تامة غير ناقصة.

ورحمة الله ممتدة في الزمان كما هي ممتدة في المكان، إذا كان

رحمة الله في السماء والأرض؛ فهي في الدنيا والآخرة، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ وَالْهَوَامِّ، فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحِمُونَ، وَبِهَا تَعَطَّفَ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللَّهُ تَسْعًا وَتَسْعِينَ رَحْمَةً، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١). فهذه رحمة ممتدة في الزمان، وممتدة في المكان، فرحمة الله واسعة، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

ولذلك يقول الملائكة في دعائهم: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةٌ وَعِلْمًا فَأَغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]. رحمة الله تسع كل شيء، كما أن علم الله يسع كل شيء، ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]. هذه الرحمة الواسعة هي رحمة الله تبارك وتعالى، وهي التي وصف بها نفسه، ووصفه بها الأنبياء المرسلون بأنه أرحم الراحمين، إذا كان هناك في الناس من يرحمون؛ فإن الله أرحم منهم جميعاً.

في إحدى الغزوات فقدت امرأة طفلها، ثم وجدته فأخذته وأصقته ببطنها، وأعطته صدرها يرضع منه، فقال النبي ﷺ لأصحابه حينما رأى هذا المشهد: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «لله أرحم بعباده من هذه بولدها»^(٢). فالله تعالى هو أرحم الراحمين.

الله تعالى هو خير الراحمين:

والله تعالى هو خير الراحمين، حينما طلب أبناء سيّدنا يعقوب منه أخاهم؛ ليأخذوه إلى عزيز مصر قال: ﴿هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٢)، وأحمد (٩٦٠٩)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٩)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٤)، عن عمر.

وحيثما كشف سيّدنا يوسف لإخوته عن نفسه قالوا له: ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخٰطِئِينَ﴾ [يوسف: ٩١]. قال العلماء: طلبوا منه أن يغفر لهم. فقال: ﴿قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وحيثما رأى سيّدنا موسى قومه قد أعرضوا عن التوحيد، وعبدوا العجل الذي اتّخذهُ لهم السامري لجأ إلى ربّه وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وحيثما أصاب سيّدنا أيّوب ما أصابه من البلاء لم يقلُ لربّه: اشفني. وإنّما ناداه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]. علمك بحالي يغني عن دعائي وسؤالي، ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٤]. هكذا دعا أنبياء الله؛ بأنّه أرحم الراحمين.

وقال الله لنبيه مُحَمَّد ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمُ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨]. فهو أرحم الراحمين، وخير الراحمين.

من مظاهر رحمة الله تعالى:

ورحمة الله في القرآن قد امتلأ بها هذا الكتاب، رحمته في الأرض، ورحمته في السماء، رحمته في عالم الخلق، ورحمته في عالم الأمر، ﴿وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣]، قسّم الزمن ما بين ليل تسكنون فيه وترتاحون فيه، ونهار تعملون فيه وتبتغون رزقكم من فضل الله وعجل، هذا من رحمة الله.

ومن رحمة الله: إنزال المطر، ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ٥٠].

ومن رحمة الله: أنه يرزق الناس جميعاً؛ بل ضمن لهم رزقهم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦]، هو الذي يرزق الدودة في الصخرة، ويرزق النملة في جحرها، ويلهم النملة أن تدخر من الصيف للشتاء؛ حينما يحبسها المطر فلا تستطيع الخروج من جحرها، وإلا أهلكها المطر، مَنْ الذي ألهمها هذا؟ الله هو الذي ألهمها هذا من رحمته وَعَجَلٌ.

الله هو الذي ضمن للخلق رزقهم قبل أن يخلق الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]. ثم قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. أي قبل أن يخلق آدم ويصوره، ويأمر الملائكة بالسجود له: مَكَّنَ له في الأرض وجعل له فيها معيش، كما قال في آية أخرى: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]. ليس معقولاً أن يخلق الناس، ولا يضمن لهم ما يكفيهم لحياتهم.

المؤمن لا ييأس من رحمة الله:

ومن رحمة الله وَعَجَلٌ: أنه يجيب دعاءهم؛ فيشفي المريض، ويقوي الضعيف، وينصر المظلوم، كل هذا من رحمة الله وَعَجَلٌ كما قال سيّدنا إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * [الشعراء: ٧٨ - ٨٠]. هو الشافي وَعَجَلٌ.

ولهذا المؤمن حق الإيمان: لا يئس من رحمة الله أبداً، حتى وإن لم تكن الأسباب ظاهرة أمامه، فقدرة الله ﷻ تعمل حسب قانون الأسباب، وأحياناً بغير قانون الأسباب، لأنه هو الذي وضع الأسباب والمسببات والسنن؛ فكثيراً ما يخرقها لعباده المرسلين بمعجزات تُخرق بها العادات، أو بكرامات لعباده المؤمنين تُخرق بها العادات، فلا السكين يقطع، ولا النار تحرق، ولا الأسباب تعمل.

حينما بشرت الملائكة سيدنا إبراهيم بسلام عليم قال: ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونَنِي * قَالُوا بِشَرِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٤ - ٥٦].

كان كبير السن كما قالت امرأته: ﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣]. فأتى الله إبراهيم ﷺ إسحاق غلاماً عليماً وهو كبير، وقبله آتاه إسماعيل غلاماً حليماً وهو كبير، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وزكريا ﷺ دعا ربه: ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩]، ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرْتُبْنِي وَيَرِثُ مِنِّي مَنْ آلٍ يَعْقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم: ٣ - ٦]. فاستجاب الله له، ووهبه يحيى، لم يجعل له من قبل سميّاً، ﴿ يَنْزَكِرِيَا إِنَّا نَبِّشْرُكَ بِغُلَامٍ أَسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ

بَلَّغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ
مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * [مريم: ٧ - ٩].

الله هو الذي يستجيب دعاء العاجزين الذين لا ملاذ لهم إلا الله، ولا قوّة لهم إلا بالله، المظلومين الذين يستنصرون الله فينصرهم من فوق سبع سماوات، كما جاء في الحديث: «دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزّتي لأنصرنك ولو بعد حين»^(١). هذه من آثار رحمة الله في عالم الخلق.

لماذا خلق الله الشر في هذا العالم؟!

وربّما يسأل بعض الناس هنا: إذا كان الله هو أرحم الراحمين، وخير الراحمين، ورحمته وسعت كلّ شيء؛ فلماذا خلق الشر في هذا العالم؟ لماذا نرى الشرور والآلام، والآثام والمعاصي والكفر، وهذه الأشياء كلّها؛ أيتفق هذا مع هذه الرحمة الواسعة؟

ونقول: إنّ الله ﷻ لم يخلق شرًّا مطلقًا، الشرُّ المطلق، الشرُّ الكلّي، الشرُّ الحقيقي لم يخلقه الله، فما ترون من شرور هي شرور جزئية في إطار خيارات كلية، وهي شرور إضافية في إطار خيارات حقيقية، وهي لوازم للخير.

الله سبحانه تعالى خلق الإنسان، ووهب له العقل الذي يفكر به، والإرادة التي يُرَجِّح بها، والقدرة التي يُنْفِذ بها، وأنزل عليه الكتب، وبعث إليه الرسل مبشّرين ومنذرين؛ هل في هذا شر؟! ليس في هذا

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، وحسنه الألباني لغيره في التعليقات الحسان (٨٧١)، عن أبي هريرة.

شر، ولكن إذا كان الإنسان الذي وهبه الله العقل والإرادة لم يستجب لمنهج الله، وخرج عن حدوده، وعصى ربه؛ فهذا من صنع الإنسان، ولكن الله لم يخلقه شريراً، بل هداه النجدين، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٢، ٣]، ترك له الخيار يختار لنفسه، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦، الجاثية: ١٥]، ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: ١٥].

الله ﷻ يُنزل الأمطار، فإذا عطّلت الأمطار الطرق في بعض الأحيان، أو أصابت الكهرباء، أو حدثت فيضانات فهذا من لوازم الخير، هذا هو الكون، الكون متكافل بأجزائه جميعاً؛ فلا بد أن يحدث فيه هذا، ومن تصوّر كوناً لا شر فيه قط فهو واهم، هذا شر من لوازم الخير، ولذلك يقول القرآن: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. لم يقل: بيدك الخير والشر. وإن كان كل شيء بيده، ولكن الخير مقصود لذاته، والشر يأتي تبعاً. وفي أدعية النبي ﷺ ومناجاته لربه: «الخير كله في يديك، والشر ليس إليك»^(١). فهذا ما يدركه أولو البصائر.

الله ﷻ الذي وسعت رحمته كل شيء لا يقصد خلق الشر، ولا يخلق شراً مطلقاً؛ إلا لأنه من لوازم الخير، فهو شر جزئي، وشر إضافي، وشر مغمور بالخير عن يمينه وعن شماله، ومن بين يديه ومن خلفه، ومن فوقه ومن تحته، الخير كله من الله.

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها (٧٧١)، وأحمد (٨٠٣)، عن علي

يُسْتَحَبُّ لِلْمُؤْمِنِ أَلَّا يَنْسُبَ الشَّرَّ لِرَبِّهِ:

ولذلك يُسْتَحَبُّ لِلإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ إِذَا نَاجَى رَبَّهُ أَلَّا يَنْسُبَ إِلَيْهِ الشَّرَّ، ولذلك حينما قال سيّدنا إبراهيم: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿۷۸﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿۷۹﴾﴾ [الشعراء: ٧٨، ٧٩]. قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿۸۰﴾﴾ [الشعراء: ٨٠]. لم يقل: والذي هو يمرضني ويشفيني. أدبًا مع الله، مع أن كل شيء من الله، ولكن المرض كثيرًا ما يأتي باختيار الإنسان أو بسبب الإنسان، بسوء صنع الإنسان، بعدم التزام الإنسان بما شرع الله من حدود وآداب.

قد يُصَابُ بَعْضُ الأَطْفَالِ بِالأَمْرَاضِ والآفَاتِ، لَكِنَّهُ كَمَا قَالَ ابْنُ القَيْمِ^(١): حَسَبَ النِّشْأَةِ الإِنْسَانِيَّةِ، أَنَّ الإِنْسَانَ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ طِفْولَةٌ وَأَنْ يَصَابَ فِيهَا، وَهَذَا رَصِيدٌ مُحْسُوبٌ لِلإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهُوَ يَتَعَلَّمُ مِنَ الآلَامِ الَّتِي تَصِيبُهُ فِي حَيَاتِهِ فِي مَدْرَسَةِ الأُمِّ، فَالَّذِينَ يُولَدُونَ وَفِي أَفْوَاهِهِمْ مَلَاعِقُ مِنْ ذَهَبٍ، وَيَعِيشُونَ وَهُمْ غَرَقَى فِي الدِّيَابِجِ وَالْحَرِيرِ، وَبِحُبُوحَةِ النِّعَمِ طَوَّلَ حَيَاتِهِمْ لَا يَتَعَلَّمُونَ، إِنَّمَا يَتَعَلَّمُ الَّذِينَ يَمَارِسُونَ الآلَامَ مِنْذُ صَغُرِهِمْ، فَهَذَا كُلُّهُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي عَالَمِ الخَلْقِ.

وَمِنْ رَحْمَتِهِ إِرسَالُ الرِّسْلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ:

وَمِنْ رَحْمَتِهِ فِي عَالَمِ الأَمْرِ: أَنَّهُ أَرْسَلَ الرِّسْلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَأَنْزَلَ الكِتَابَ رَحْمَةً لِلنَّاسِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿۱۸۹﴾﴾ [النحل: ١٨٩]. وَكَمَا قَالَ لِرَسُولِهِ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿۱۰۷﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) انظر: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (١/٢٧٤، ٢٧٥)، نشر دار

الكتب العلمية، بيروت.



«إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُّهْدَاةٌ»^(١). رحمة الله في عالم الأمر وعالم التشريع وعالم الدين: رحمة واسعة، تحتاج إلى حديث آخر لعلنا نُوفِّق إليه في جمعة قادمة إن شاء الله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



(١) رواه الحاكم في الإيمان (٣٥/١)، وصحَّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

حظر المآذن في سويسرا:

هناك موضوع يفرض علينا أن نتحدّث فيه، رغم أنّ هناك موضوعات أخرى تستحقُّ الحديث مثل ما حدث في الصومال من انفجارات ذهب ضحيّتها مدنيّون عُزل، ولكنّ الموضوع الَّذي أريد أن أُحدّثكم فيه هو موضوع بناء المآذن في مساجد المسلمين في أوروبا.

لقد قرأتُ وسمعتُ وشاهدتُ: ما تناقلته وكالات الأنباء، ونشرته الصحف، وأذاعته الإذاعات والتلفازات، من حظر المآذن في سويسرا، في سويسرا مساجد كثيرة، فهناك حوالي ثلث مليون من المسلمين يقيمون في سويسرا من زمن طويل، ويشاركون في إنجازات هذا الوطن، وهم نموذج مُشرّف للمسلم الملتزم المستقيم.

معظم هذه المساجد لا مآذن لها، قليل منها ما له مئذنة، مثل المسجد المركزي في جنيف الَّذي صليت فيه مرارًا، وخطبت فيه مرّة، وألقيت فيه محاضرات ودروسًا، فقليل من المساجد التي لها مآذن، ولذلك الأمر لا يستحق هذه الضجّة.

ولكن اليمين المتعصب في أوروبا الَّذي بدأت تظهر آثاره، وتتسع يومًا بعد يوم، الَّذي يكره كل مَنْ كان له أصول أجنبيّة غير أوروبيّة، الَّذي يكره أي لون غير اللون الأبيض الأشقر، وغير الشعور الصفراء الناعمة، وغير العيون الزرقاء والخضراء، هذا اليمين المتعصّب بدأ يضيق

بهذه المآذن القليلة، وخشي أن يتكرر مثلها في المستقبل، فماذا يعمل والدستور لا يمنع ذلك؟

المادة (٧٢) في الدستور السويسري تتيح لأهل الأديان أن يقيموا معابد كما يأمرهم دينهم؛ فكيف يحتالون على هذه المادة؟ النظام السياسي السويسري يتيح لمن جمع مائة ألف توقيع أن يُغَيَّر أي مادة في الدستور بأن يطلب الاستفتاء الشعبي عليها، فجمع هؤلاء اليمينيون في مدّة ثمانية عشر شهرًا مائة ألف توقيع، ثمّ ألزموا الدولة بالاستفتاء.

الحكومة غير موافقة، و(البرلمان) غير موافق، والأساقفة في الكنائس السويسرية غير موافقين، كثير من مؤسّسات المجتمع المدني غير موافقين، ولكن هؤلاء المتعصّبين أبوا إلا أن يجروا الاستفتاء، وجمعوا له هذه التوقيعات.

وفي المدة التي أُتِيحت لهم لعمل الدعايات قاموا بدعايات ضخمة مثيرة، تخيف المجتمع السويسري من الإسلام، ومن المسلمين، قالوا: إننا نريد أن نقف ضد أسلمة المجتمع السويسري خاصّة، والمجتمع الأوروبي عامّة، اليوم المآذن، وغدًا المطالبة بتطبيق الشريعة، غدًا يفرضون على نساءنا أن تتنقب. وهكذا التخويف من الإسلام والمسلمين، ما يسمّونه (الإسلاموفوبيا)، أي الخوف المرضي، الرعب الهستيرى من الإسلام.

المسلمون عجزوا أن يُطبّقوا الشريعة في بلادهم الإسلامية، هناك بضع وخمسون دولة مشتركة في منظمة المؤتمر الإسلامي، كم دولة منهم تطبق الشريعة الإسلامية؟! المسلمون الذين عجزوا أن يطبّقوا الشريعة في بلادهم الإسلامية سيذهبون إلى أوروبا ليحكّموا فيها الشريعة؟! هذا ما يقوله هؤلاء اليمينيون!

ويقولون: إنَّ المسلمين يريدون أن يستعيدوا الأندلس، أن يحاربوا إسبانيا ليعيدوا الأندلس إسلامية كما كانت. انظروا يقولون هذا الكلام، ويصدقهم الحمقى والمتسرِّعون، والغوغاء والدهماء من الناس، الذين يستجيبون لأي مثير، يستمعون لكل ناعق، ويميلون مع كل ربح، كيف هذا؟! والمسلمون لم يستطيعوا أن يُعيدوا فلسطين إلى أهلها، وهي في قلب بلادهم العربيَّة والإسلامية، وصار لهم الآن أكثر من ستين سنة على قيام إسرائيل، وهم يجاهدون ويقاومون ولم يستطيعوا أن يعيدوا فلسطين، كيف يستطيعون أن يذهبوا إلى إسبانيا ويعيدوا الأندلس؟! هذه قضية تاريخية، انظروا كيف يشيعون هذه الأمور، ويصدقهم هؤلاء الناس؟!!

الذي نذهل له، وندهش له، ونعجب منه، كيف تصدقهم هذه الجماهير؟ كيف استطاعوا أن يقنعوا سبعة وخمسين في المائة (٥٧٪) من المجتمع السويسري بأنَّ المسلمين غيلان مُخيفة، أو وحوش مفترسة؟! هذا ما فعلوه وما نجحوا فيه.

والمشكلة أنَّ هذا لن يقف عند سويسرا، إنَّه سيذهب إلى بلدان أوروبا الأخرى، فبعد أن ظهرت نتيجة الاستفتاء بساعات: دعا الحزب اليميني الهولندي المنغلق المتشدّد، إلى هذا الأمر في بلاده، وعرض الأمر على (البرلمان) فرفضه، ولكنّه سيفعل ما فعل السويسريون المتعصّبون، سيجمع توقيعات لتجري استفتاءات شعبية، ويحاولوا التأثير في الجماهير الشعبية بالأكاذيب وبالمفتريات وبالمثيرات، وبتضخيم الأمور وتهويلها، وبذلك يستطيعون أن يتغلّبوا.

وهناك الحزب اليميني النمساوي، وهناك الأحزاب الفرنسية قد عملت استطلاعات ظهر في أحدها أن سبعة وأربعين في المائة (٤٧٪) لم

يجيزوا بناء المآذن، وأنَّ واحدًا وأربعين في المائة (٤١٪) لم يجيزوا بناء المساجد، قالوا أولاً: نريد مساجد بلا مآذن. والآن انتقلوا إلى الاستفتاء على المساجد فقال (٤١٪) من الفرنسيين الذين استُطِيعوا: لا نريد مساجد! مع أنَّ في فرنسا توجد أكبر جالية مسلمة أوروبية، أكثر من خمسة ملايين مسلم في فرنسا وحدها، من الجزائر والمغرب وموريتانيا والسنغال وغيرها من بلاد إفريقية.

وهؤلاء المتعصِّبون في وقتٍ من الأوقات نبشوا قبور الموتى المسلمين في فرنسا، مع أنَّ هؤلاء حاربوا مع فرنسا للدفاع عن الإمبراطورية الفرنسية في الحربين العالميتين الأولى والثانية، وهم الذين بذلوا دماءهم وأرواحهم من أجل الدفاع عن فرنسا، فكان جزاؤهم أن تُنبش قبورهم!

الأمر خطير أيُّها الإخوة، ما يجري في أوروبا من التخويف الهستيرى من الإسلام لا ينبغي أن يُسكت عليه، الحقيقة أنَّ المسلمين ينبغي أن يقوموا بدور في هذا الأمر. نحن في الاتِّحاد العالمي لعلماء المسلمين أصدرنا بياناً في هذا الأمر، ودعوت فيه المسلمين في سويسرا أن يتعاملوا مع الأمر بحكمة وبعقلانية، ولا يغيروا سلوكهم مع مواطنيهم السويسريين، وأن يستخدموا حقَّهم في النضال السلمي، من أجل تغيير ما وقع عن طريق المحاكم الفيدرالية، ومحاكم حقوق الإنسان الأوروبية وغيرها، لا يستسلموا لهذا الأمر.

وعلى المسلمين عامَّة أن يبذلوا جهوداً لافتة في تعريف هؤلاء الغربيين بالإسلام الصحيح، الإسلام يا قوم هو دين الرحمة، هو دين السلام، هو دين العدل، هو دين المساواة، لا يعرف تمييزاً بين لون

ولون، ولا بين عرق وعرق، ولا بين طبقة وطبقة، ولا بين دين ودين، حتى الدين، صحيح أن هناك أحكامًا تتعلق بالمسلمين، وأحكامًا تتعلق بغير المسلمين، ولكن المساواة في الإسلام هي في الكرامة الإنسانية، في أصل التكليف، في الحقوق العامة الكلية للبشر، هذه لا تميز فيها.

النبي ﷺ حينما مروا عليه بجنزة قام لها واقفًا، فقالوا: يا رسول الله، إنها جنزة يهودي. هذا الميت ليس مسلمًا، إنه يهودي! فقال: «أوليسَتْ نَفْسًا؟»^(١). هَبْ أَنَّهُ يَهُودِي، أليست نفسًا إنسانية؟ بلى، ولكل نفس إنسانية حُرمة ومكان في هذا الدين.

ينبغي أن يعلم الأوروبيون أن المسلمين أقاموا حضارة وسعت العالم كله، وتعلم الأوروبيون منها، وأخذوا منها المنهج الاستقرائي والمنهج التجريبي، أخذه روجر بيكون وفرانسيس بيكون وغيرهما، فلا يجوز أن تستمر هذه النزعة لتخوف الناس من المسلمين.

نحن المسلمين مقصرون في تبليغ رسالتنا، رسالة ربنا، ورسالة نبينا، ورسالة قرآننا. لم نبذل من الجهد ما يكفي، ولذلك هذه الأحداث تنبه كل غافل، وتحرك كل ساكن، وتعلم كل جاهل، وتوقظ كل نائم: أن يعمل من أجل تبليغ دعوة الإسلام.

نحن نمد أيدينا إلى الناس جميعًا، إلى الغربيين وإلى الشرقيين، إلى كل أبناء آدم، الإسلام ينظر إلى البشرية أنها عائلة واحدة أبوها واحد، وكذلك ربها واحد، كما قال النبي ﷺ في حجة الوداع أمام الجموع الحاشدة: «يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

لا فضل لعربيّ على عجمي، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلّا بالتقوى»^(١).

هذه النزعة، نزعة الخوف المرضي، أو التخويف الهستيري من هذا الدين العظيم: لا ينبغي أن نسكت عليها، وعلينا أن نتصل بالعقلاء من الغربيين، ونبيّن لهم أنّ العالم لن يعود إلى الوراء، لا يمكن طرد المسلمين من أوروبا، لا يمكن أن يعيش الأوربيّون من غير المسلمين، هؤلاء تجنّسوا بجنسيّة هذه البلاد، وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ منها، وأصبحوا يعملون على رقيّها، وبعضهم كفايات هائلة وعبقریات ونوابغ، أخذهم الغرب من بلادهم؛ عقولاً مهاجرة وطائرة إلى هناك، فلا يمكن الاستغناء عن المسلمين.

العالم تقارب وأصبح قرية واحدة؛ فكيف يريد هؤلاء أن ينفصلوا بأنفسهم، وأن يتميّزوا بألوانهم الشقراء ووجوههم البيضاء، وأن يظلوا يعتقدون أنّ الرجل الأبيض هو سيّد العالم، انتهت هذه المقولات، لا أبيض ولا أسود، العالم أسرة واحدة.

ينبغي علينا نحن المسلمين أن نبذل جهودنا، ونتعاون في ذلك، الحكام والمحكومون، والعلماء والمثقفون، والإعلاميون والدعاة والمفكّرون، كلٌّ يعمل على محاربة هذه النزعات العنصريّة التمييزيّة الخطيرة، التي إذا استمرّت وتوسّعت، وتطّير شررها، وتفاقم ضررها: لن تجلب إلّا الهلاك والدمار للإنسانيّة جميعاً.

نسأل الله ﷻ أن يرحمنا، ويرحم الإنسانيّة كلها بهذه الرحمة العالميّة، رسالة محمّد ﷺ، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيتمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، عن سمع خطبة النبي ﷺ.

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا
ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم لا تكلمنا إلى أنفسنا طرفة
عينٍ ولا أقلّ من ذلك، اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط
علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا،
واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين، ربّنا
لا تؤاخذنا إنْ نسينا أو أخطأنا، ربّنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته
على الذين من قبلنا، ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به، واعفُ عنا
واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر
لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين
آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.

* * *





رَبُّ الْعَالَمِينَ (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً حول العقيدة في القرآن الكريم، ولا زلنا حول عقيدة الألوهية، وما وصف به الله الخالق العظيم من الأسماء الحسنى، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

تحدَّثنا عن الاسم الأوَّل، والاسم الأعظم، لفظ الجلالة (الله)، وتحدَّثنا عن اسمي (الرحمن الرحيم)، واليوم نتحدَّث عن اسم آخر لم يُذكر في الأسماء التسعة والتسعين التي يحفظها الناس، وكان جديرًا أن يكون في أوائلها، وهو اسم (ربِّ العالمين)، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

ولكن قبل أن نتحدَّث عن هذا الاسم الكريم، بقيت لنا بقية في الحديث عن الرحمن الرحيم، تحدَّثنا عن رحمانية الرحمن، وعن رحمة

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١١ ديسمبر ٢٠٠٩م.

الرحيم في عالم الخلق، وبقي أن نتحدّث عنها في عالم الأمر، في عالم التشريع والأمر والنهي، فكما رأينا الله رحيماً في خلقه، هو رحيم في أمره وشرعه.

شريعة الله لا تضيق على عباده:

لم يشرع لنا إلا ما فيه الرحمة، لم يُعنتنا، ولم يُضيق علينا، لأنّه لا فائدة له في أن يضيق علينا، هو غير محتاج أن يكلفنا بتكليف، أو يُعبّدنا بعبادات، وهو أغنى عن خلقه، الغني عن كل من سواه، ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، «يا عبادي، لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد، ما زاد ذلك في ملكي شيئاً»^(١).

فهو حينما يشرع لنا إنّما يشرع لمصلحتنا، لما يرقى بنا أفراداً وأسراً وجماعات، فإذا وضع لنا تشريعاً، أو أمرنا بأمر، أو نهانا عن نهي، أو أحلّ لنا حلالاً، أو حرّم علينا حراماً؛ فذلك كله لمصلحتنا، لا يعود عليه شيء من ذلك.

يريد أن تتزكّى أنفسنا، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، يريد أن تتماسك أسرنا، أن يحب الرجل زوجته، وتحب المرأة زوجها، أن يحب الوالدان أولادهما، ويحب الأولاد أباهم وأمهم، أن يتواصل أولو القربى وذوو الأرحام، والجيران، وأهل المجتمع الواحد فيما بينهم، بل أن يتواصل الناس جميعاً.

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧)، عن أبي ذر.

الرحمة العامة:

الإسلام جاء بالرحمة العامّة للناس جميعاً؛ مسلمهم وكافرهم، وقد أخبر الله عن رسالة مُحَمَّدٍ ﷺ، فقال له: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. لم يقل له: أرسلناك رحمة. لا، بل قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا﴾. بهذا الأسلوب الحاصر القاصر، أي هذه الرسالة ليس فيها إلا الرحمة، وليست رحمة للعرب وحدهم، أو لأهل الشرق وحدهم، أو حتّى للمسلمين وحدهم، هي رحمة عامّة، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

هي رحمة في العقيدة، ورحمة في الشريعة، ورحمة في الأخلاق، ورحمة في الآداب، ورحمة في التشريعات، في العبادات والمعاملات، كل ما شرعه الله تعالى لعباده هو رحمة.

الرحمة بالمؤمنين والتيسير عليهم:

ولذلك امتلأت هذه الشريعة بالتيسيرات وبالرخص والتخفيفات، ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، ﴿فَمَن أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، قلل الله التكاليف على عباده، قلل الأوامر والنواهي حتّى لا يضيّق عليهم، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ولكنه لا يحب إعناتنا، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّن حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

حينما ألفت كتابي (الحلال والحرام في الإسلام) حدّدنا المحرّمات، فالمحرّمات يمكن أن تُحدّد، الله حرّم كذا وكذا، أمّا ما أحلّ الله فلا يمكن

أن نحدّه، كلُّ شيءٍ حلالٍ إلّا أشياءً معيّنة، المحرّمات محدودة، والمُحلّلات غير محدودة.

وبعض الناس لم يعجبهم هذا وقال: كان يجب أن تسميه (الحلال والحلال في الإسلام)، لأنك لم تُحرّم أشياء كثيرة. وليس هذا مِنِّي، الله هو الذي فعل هذا، الله هو الذي ضيّق في المحرّمات، ووسّع في الحلال، تخفيفاً عن عباده، ﴿وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام: ١١٩].

هذه الشريعة رحمة كلها، كما قال الإمام ابن القيم: إنّ الشريعة عدلٌ كلّها، ورحمة كلّها، وحكمة كلّها، ومصالح كلّها، وإنّ كلّ مسألة خرجت من الحكمة إلى العبث، ومن العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدها، ومن المصلحة إلى المفسدة، فليست من الشريعة في شيء، وإن أُدخلت فيها بالتأويل^(١). الله رحيم فيما خلق، ورحيم فيما شرع.

ومن رحمته أنّه يقبل القليل من عباده ويضاعفه، حتّى إنّ الشيء تنوي أن تفعله ولا تفعله؛ فيكتب لك حسنة، ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

الأجور على النيات ومضاعفة الحسنات:

يأتي بعض الناس يوم القيامة فيجد صحائفه مملوءة بأشياء: صدقات وخيرات، وعمرة وحجًا، وجهادًا وأشياء كثيرة، فيقول: يا رب، أنا لم

(١) إعلام الموقعين (١١/٣)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت،

أفعل هذا! فيقال له: ولكنك عشت تقول: لو كان لي مال لزكيت، ولو كانت عندي قدرة لحججتُ واعتمرتُ وجاهدتُ في سبيل الله، وعلم الله صدق نيتك فكتب لك هذا في صحيفتك.

يقول النبي ﷺ: «الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد»^(١)، وفي بعض الأحاديث: «الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»^(٢)، ﴿وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، «والسيئة بمثلها»^(٣)، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

إنَّ مِثْقَالَ الذَّرَّةِ وَمِثْقَالَ حَبَّةِ الْخَرْدَلِ مِنَ الصَّالِحَاتِ لَا يَضِيعُ عِنْدَ اللَّهِ، لَا يَخَافُ أَحَدٌ عِنْدَ اللَّهِ ظُلْمًا وَلَا هُضْمًا، لَا تُهْضَمُ مَا فَعَلْتَ، وَلَا تُظْلَمُ بَأَنْ تُحْمَلَ مَسْئُولِيَّةٌ غَيْرِكَ وَلَا ذَنْبٌ لَكَ فِيهِ، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزْرًا وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، هذا من فضل الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، يضاعف حتى سبعمائة ضعف، وغير المضاعفة يؤتي من عنده، فهو أكرم الأكرمين، ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، معنى غفور: يغفر الذنب وإن كان عظيمًا. ومعنى شكور: يقبل العمل وإن كان قليلًا، يشكر لك.

(١) رواه أحمد (٢١٣١٥)، وقال مُخَرَّجُوهُ: صحيح. والحاكم في التوبة والإنابة (٢٤١/٤)، وصحَّحه

ووافقه الذهبي. عن أبي ذر.

(٢) رواه البخاري في الإيمان (٤١) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) جزء من الحديث السابق.

لا تقنطوا من رحمة الله:

الله تعالى من رحمته يبسط يده لعباده في كل يوم كما جاء في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

ويقول لرسوله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. قل يا عبادي، حتى العصاة والمنحرفين والظالمين: لا يحرمهم من الانتساب إليه؛ وإن ظلموا وعصوا، وأسرفوا على أنفسهم، ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾، مهما كانت ذنوبكم عظيمة فإن عفو الله أعظم، وإن مغفرة الله أكبر، وإن رحمة الله أوسع، ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

رب العالمين:

يكفينا هذا القدر حول الاسمَيْن العظيمَيْن الأحسنَيْن (الرحمن الرحيم)، ونتحدّث عن هذا الاسم (رب العالمين)، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، بدأت به سورة الفاتحة، وتكرر عشرات المرّات في القرآن الكريم.

تقرأ أسفار التوراة الخمسة؛ فلا تجد فيها هذه الربوبية للعالمين، وإنما تقول: ربّ إسرائيل. حتى الله جعلوه عنصرياً، القرآن لم يقل: ربّ العرب، ولا ربّ المسلمين. هو ربّ الناس جميعاً، ربّ كل شيء، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥].

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٩)، وأحمد (١٩٥٢٩)، عن أبي موسى.

حينما أرسل الله موسى وأخاه هارون إلى فرعون وملئه أمرهما أن يقولوا له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. فسأله فرعون: ﴿وَمَارَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قال ربُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعُونُ ﴾ قال رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ قال ربُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ [الشعراء: ٢٣ - ٢٨].

القرآن هنا يفسر بعضه بعضًا، ما معنى رب العالمين؟ هو ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، رب الأكوان والمخلوقات كلها، ربوبيته ممتدة علوًا وطولًا، بحيث تشمل السماوات السبع، كما جاء في سورة أخرى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿ [المؤمنون: ٨٦، ٨٧]. هو ربُّ السماوات السبع، وهو ربُّ العرش العظيم فوق السماوات، فربوبيته ممتدة علوًا وطولًا، وممتدة عرضًا، كما، ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، وممتدة زمانًا، ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾، هو ربُّ الأولين وربِّ الآخرين، فهي ربوبيّة ممتدة.

معنى الربوبية:

وما معنى الربوبية؟ أحد المستشرقين الأوروبيين ناقش الأستاذ الإمام مُحَمَّد عبده رَحِمَهُ اللهُ، وقال له: أنتم أيها المسلمون تعتمدون على وصف الله بصفة العظمة والجبروت، والقوة والشدة، ولا تصفونه بصفة الرحمة والمحبة، أمّا نحن النصارى فنصف الله بأنه الإله الأب، والأبوة كلها رحمة ومحبة، بخلاف الربوبية.

وردّ عليه الإمام مُحَمَّد عبده، وبيّن له أن وصف القرآن لله بالربوبية أعظم من وصفكم أنتم الله بالأبوة، أولاً: لأن لفظ (الأب) وصف مُوهم لأنّه قد يوحي بأنّه يلد ويولد كما فهم المسيحيون من هذا لفظ (الأب)

أَنَّ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ حَقِيقَةً، وَقَالُوا: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ. بَيْنَمَا لَفِظَ (الرَّبُّ) لَا يُوحِي بِهَذَا.

أَيْضًا: لَفِظَ (الْأَبُ) يُوحِي بِالْحَاجَةِ، لِأَنَّ الْأَبَ يَنْجِبُ أَوْلَادَهُ لِأَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَيْهِمْ، فَهُوَ يَرِيدُ أَوْلَادًا لِحَاجَتِهِ إِلَى الْأَوْلَادِ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ عِبَادِهِ، وَأَحْيَانًا لَا يَرِيدُ أَوْلَادًا، وَإِنَّمَا مِنْ أَجْلِ الشَّهْوَةِ كَمَا قَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِي: شَهْوَةٌ أَبَائِنَا جَلَبَتْ عَلَيْنَا النُّكْدَ نَحْنُ الْأَبْنَاءُ فِي حَيَاتِنَا.

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ^(١)

لَفِظَ (الرَّبُّ) يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى الْمَالِكِ، مَنْ يَمْلِكُ الشَّيْءَ فَهُوَ رَبُّهُ، وَيُطْلَقُ عَلَى السَّيِّدِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الرَّاعِي وَالْحَافِظِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْمُرَبِّيِّ وَالْمَتَعَهِّدِ لِلشَّيْءِ، الَّذِي يَرْقِيهِ فِي مَدَارِجِ الْكَمَالِ، كُلُّ هَذِهِ الْمَعَانِي تَفْهَمُ مِنْ مَعْنَى (الرَّبِّ).

وَمِنْ هُنَا فَرُبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي يَرَعَى الْعَالَمِينَ بَعِينَهُ الَّتِي لَا تَنَامُ، وَيَتَعَهَّدُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَيُعْطِي كَلًّا مِنْهَا حَاجَتَهَا حَتَّى تَبْلُغَ كَمَالَهَا، وَلِذَلِكَ مِنْ مَحَاوِرَاتِ سَيِّدِنَا مُوسَى مَعَ فِرْعَوْنَ، قَالَ فِرْعَوْنُ لَهُ وَلِأَخِيهِ هَارُونَ: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى؟ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٤٩، ٥٠].

﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ مَا يَحْتَاجُهُ لِبُلُوغِ كَمَالِهِ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهِ نَوْعُهُ، أَعْطَى كُلَّ مَخْلُوقٍ مَا يُبْلِغُهُ ذُرْوَةَ الْكَمَالِ فِي هَذَا النُّوعِ، ﴿ثُمَّ هَدَى﴾، أَعْطَاهُ أَيْضًا الْهَدَايَةَ، هُنَاكَ هَدَايَةٌ عَامَّةٌ فِي مَخْلُوقَاتِ الْكُونِ كُلِّهَا مِنَ الذَّرَّةِ إِلَى الْمَجْرَةِ، الذَّرَّةُ تَهْتَدِي إِلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكْمَلَ بِهِ صِنْفُهَا، وَهِيَ مَكُونَةٌ مِنْ إِيْلِكْتْرُونٍ وَبُرُوتُونٍ وَنَوَاةٍ.

(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (٣٢/١٩)، تحقيق محمد بركات وآخرين، نشر دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

ربنا هدى هذه الذرة إلى ما تحتاج إليه، وهدى كل مخلوق إلى ما يحتاج إليه، انظر إلى الطيور في أعشاشها، يذهب الطير وأحياناً يبعد، ثمَّ يعود إلى عشه، لا يتوه عنه، بل هناك الطيور المهاجرة عابرة القارات، تهاجر من أوطانها إلى قارات أخرى، ثمَّ تعود إلى ما كانت عليه.

هناك الثعابين البحرية تأتي من قارة إلى قارة، وتذهب إلى شواطئ في أماكن أخرى، وتبيض وترجع من حيث جاءت لا تخطئ طريقها؛ مَنْ الَّذِي هداها؟ مَنْ الَّذِي أعطها حاسة الهداية؟ ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾.

إنَّها الربوبية العليا، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ١-٣]، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤، ٩٦، الحاقة: ٥٣]، الربُّ العظيم، والربُّ الأعلى، وربُّ كل شيء، ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بِنِي رَبِّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

رب العالمين:

وربُّ كل شيء هو ربُّ العالمين، لأنَّه ما معنى العالمين؟ هناك عالم الإنسان، وعالم الحيوان، وعالم النبات، وعالم البحار والأحياء المائية، وعالم الزواحف، وعالم الأفلاك، وعالم الملائكة، وعالم الشياطين، وعوالم في البرِّ والبحر والجوِّ، والأرض والسماء، منها المُكَلَّف وغير المُكَلَّف، منها العاقل وغير العاقل، منها الناطق والصامت، منها الحيِّ وغير الحيِّ، الله هو ربُّها جميعاً، ليس لها ربُّ غير الله، هو الَّذِي يربها ويسيرها، ويعرف حاجاتها ودقائق أمورها، لأنَّ الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ليس هناك ربُّ غيره.

سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ حَاجَّ رَجُلًا فِي زَمَانِهِ يَسْمُونَهُ (النمرود)، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، جادل النمرود إبراهيم في ربه، ﴿أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، المُلْكُ أحيانًا يُطغِي، هو الَّذِي جعل فرعون يقول: أنا ربُّكم الأعلى. فرعون المسكين الفقير، الَّذِي لا يستطيع أن يعيش من غير أن يأكل ويشرب، ويُخرج ما يأكله ويشربه، هذا يدَّعي أَنَّهُ الربُّ الأعلى، ويقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. ونمرود نفس الشيء يقول: أنا الربُّ. جادله سيِّدنا إبراهيم، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، كيف تُحْيِي وتُمِيت؟ جاء برجلين من عرض الطريق وقال: حكمت عليهما بالإعدام. ثمَّ عفا عن أحدهما وقُتِلَ الآخر، فلم يُردَّ سيِّدنا إبراهيم أن يطيل النقاش معه؛ لأنَّ مثله لا ينفع معه النقاش، قال: لن أناقشك في مسألة الإحياء والإماتة. وانتقل من دليل إلى دليل، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، الله هو رب الناس جميعًا، رب كل شيء.

مشكلة البشريَّة أَنَّهَا اتَّخَذَتْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، عِبَدَتْ مَنْ لا يستحق أن يُعبد، رغم أنَّ الإيمانَ فطرة، والدين فطرة، ووجود المعابد طوال التاريخ عند الأمم أمر مقرر، ولكن المشكلة أنَّ الناس لم يعبدوا الإله الواحد، لم يعبدوا رب العالمين ورب كل شيء، ولكن عبدوا مَنْ لا يستحق أن يُعبد، فعبدوا الشمس والقمر، وعبدوا العجل والبقر، وعبدوا النبات والشجر، وعبدوا البحر والنهر، وعبدوا الجبال، وعبدوا الشيطان، وعبدوا حتَّى فروجهم، عبدوا كل شيء.

عبادة البشر واتخاذهم أربابا:

ومن أخطر ما عبدوا عبادة البشر، أنهم عبدوا الملوك أحيانا، اتخذوهم أربابا من دون الله، كسرى وقيصر والفراعنة وهؤلاء الجبابرة، أعلنوا ربوبيّتهم للناس، وللأسف الناس أطاعوهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٧، ٩٨]، ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

المشكلة ليست في ادعاء الربوبية فقط، المشكلة في إذعان الشعوب لهؤلاء المدّعين، أن يصدقوهم وينحنوا لهم ويطأطؤوا رؤوسهم، ويتنازلوا عن كرامتهم وهم بشر مثلهم، هم يعرفون أنهم بشر مثلهم، يأكلون كما يأكلون، ويشربون كما يشربون، ويمرضون كما يمرضون، ويموتون كما يموتون.

هم يعرفون هذا، ولكن الشرك جناية على البشريّة، يُفقد الإنسان التفكير، يُفقد الإنسان استقلاليّة العقل، فلا يفكر بعقله، ولا يمتحن ما عنده من معتقدات، ويقول: هكذا كان أبي، وهكذا كان جدّي! ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ووقفوا ضد الأنبياء الذين جاؤوا لينقذوهم من عبادة غير الله.

حاول رسل الله ﷺ أن ينقذوا البشر من الشرك، ولكن أكثر الناس ضلوا عن سواء السبيل، واتبعوا ﴿أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

الإسلام يحارب الأرباب الزائفون:

وكانت رسالة مُحَمَّد ﷺ واضحة تمام الوضوح، أنها تدعو الناس إلى أن يرفضوا كل الأرباب التي اتخذت من دون الله، سواء كانت أرباباً دنيوية مثل الملوك والأباطرة والأكاسرة والقياصرة والفراعنة، أو أرباباً دينية مثل الأحرار والرهبان، كما قال الله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

قال عدي بن حاتم وكان نصرانياً في الجاهلية: يا رسول الله، ما كنا نعبدهم. قال: «ألم يكونوا يُحِلُّون لكم الحرام فتحلُّوه، ويُحَرِّمون عليكم الحلال فتحرموه؟». قال: بلى. قال: «فتلك عبادتكم إياهم»^(١). اتخذتموهم مشرعين يشرعون لكم ما يشاؤون فتتبعوهم، هذه هي الوثنية، هناك وثنية دينية، ووثنية سياسية، وكلتاها شرك بالله ﷻ.

كان مُحَمَّد ﷺ يختم دعوته إلى الملوك والقياصرة - خصوصاً من أهل الكتاب من النصارى - بقوله: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾، لا حجراً ولا شجراً، ولا جنّاً ولا بشراً، ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾، أنت أخي وأنا أخوك، أنت مخلوق وأنا مخلوق؛ فلماذا تكون رباً لي؟ ولماذا تجعلني عبداً لك؟ كلنا عباد الله، ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ ﴿ وَكُلُّهُمْ عِندَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].

(١) سبق تخريجه ص ٩٩.

جاء الإسلام يُعلن ربوبية الله وحده للعالمين، لا رب إلا الله **وَعَجَل**، أن يقول الإنسان: ربي الله. سئل النبي **ﷺ** عن أمر يعتصم به المسلم ويكون فيه النجاة؟ فقال: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِم**»^(١). أخذه من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ **أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤]، ربنا الله، لا ربَّ غيره.

التضحية من أجل كلمة التوحيد:

ومن أجل هذه الكلمة أوشك سيّدنا موسى أن يُقتل، لولا أن ظهر ذلك الرجل المؤمن من آل فرعون، حينما قال فرعون: ﴿**ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ**﴾ **إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ [غافر: ٢٦]. قام هذا الرجل من آل فرعون الذي يكتم إيمانه وقال: ﴿**أَنْقَلْتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [غافر: ٢٨]؟ من أجل هذه الحقيقة الناصعة نصوع الشمس تقتلونه؟

ومن أجل هذه الكلمة لقي النبيُّ وأصحابه ما لقوا، حتى أُخرجوا من ديارهم وأموالهم، كما قال الله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠]. من أجل هذه الكلمة سُردوا من أوطانهم، وأُخرجوا من ديارهم، وأوذوا في سبيل الله ما أوذوا، ﴿**رَبُّنَا اللَّهُ**﴾.

الله رب العالمين حقيقة ليس هناك أوضح منها، ولا أرسخ منها، ولا أعظم منها، ﴿**هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [غافر: ٦٥]، بهذا ينطق الناس في هذه الدنيا، وبهذا تنطق

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي.

الملائكة في الآخرة، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]. وبهذا يشهد أهل الجنة كما يقول الله تعالى: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعْوَتَهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

حقيقة نعتز بها:

الحمد لله رب العالمين حقيقة يجب أن نعتز بها نحن المسلمين، الذين نؤمن بالله تعالى رباً، رباً للأرض، ورباً للسموات، ورباً للعرش العظيم، ورباً لما يُبصر وما لا يُبصر من هذا الكون، للعالم المنظور والعالم غير المنظور، للعوالم كلها، عوالم الإنسان، وعوالم الحيوانات، وعوالم النباتات، وعوالم الأفلاك، وعوالم الملائكة، الله رب هؤلاء جميعاً، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمُحمَّد نبياً ورسولاً.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لي معكم أيُّها الإخوة في هذه الخطبة كلمتان:

احتفال المسلمين بالكريسماس:

الكلمة الأولى: عمّا يجري في بلادنا في هذه الأيام، حتّى كدت أقول: أي مجتمع نحن؟ هل نحن مجتمع مسلم، أم نحن مجتمع نصراني؟ ما هذا الذي يجري في المحلات التجارية، وفي شوارع الدوحة من الاحتفالات بما يسمى (عيد الميلاد)، عيد ميلاد المسيح ﷺ، أو ما يسمونه (الكريسماس)، كأننا في بلد أوروبي مسيحي.

مرّ بنا قريباً عيد الأضحى، يسميه المسلمون (العيد الكبير)، ولم نر مظاهر تُذكر لهذا العيد في محلات المسلمين، هي مظاهر بسيطة، ولكن انظروا ما يجري الآن! مع أنّ أمامنا الآن أسبوعان حتّى يأتي عيد الميلاد، والمسيحيون مختلفون فيه: هل هو يوم ٢٥ ديسمبر، أم يوم ٧ يناير؟! البلاد تحتفل بهذا اليوم، وتقام شجرة الميلاد في كثير من الأماكن، ولا أدري ما أساس هذه الشجرة؟

نحن عندنا في القرآن أنّ المسيح لم يولد في الشتاء، تعرفون أنّ مريم حينما جاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت: ﴿يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا﴾ فنَادَيْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿ وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ سَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٣ - ٢٥]. هل يوجد في

الشتاء نخل يسقط رطبًا؟ فهذا الميلاد لم يكن في الشتاء، فليحتفلوا هم في الشتاء كما يحبون.

إذا كُنَّا هنا في قطر وفي السعودية وفي بعض البلاد لا يحتفلون بمولد مُحَمَّد ﷺ، ويعتبرون ذلك بدعة، ولا نأخذ إجازة في هذا اليوم، كثير من بلاد المسلمين تأخذ إجازة بمناسبة مولد النبي يوم ١٢ ربيع الأوَّل، وليس متَّفَقًا على أنه وُلِدَ في هذا اليوم، وتحتفل في هذا اليوم، وترفع أعلامًا، وتوزَّع حلوى، وتعمل كذا.

وكثير من البلاد تجعل هذا بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، صدَّقنا بهذا؛ كيف لا نحتفل بمولد مُحَمَّد ﷺ، ونحتفل بعيد الكريسماس؟! تقيم شجرة الميلاد أربعة أمتار وخمسة أمتار: محلات تنسب إلى عائلات مسلمة معروفة بانتسابها إلى الإسلام؟ ما هذا؟ هذا معناه أن الأمة تنازل عن شخصيتها الإسلامية، والإسلام يحب أن نظل مُتَمَيِّزِينَ بِإِسْلَامِنَا.

هم يُحرمون علينا بناء المآذن في أوروبا، لا زلنا متكلمين عن هذا الموضوع في الأسبوع الفائت، يحرمون بناء المآذن، ويوشكون أن يحرموا بناء المساجد، سبعة وأربعون في المائة (٤٧٪) ممَّن جرى عليهم استطلاع في فرنسا لم يجيزوا بناء المآذن، وواحد وأربعون في المائة (٤١٪) لم يجيزوا بناء المساجد، حتَّى المساجد!

هل يستطيع المسلمون في أوروبا وفي أمريكا، وهم ملايين في بعض البلاد أن يحتفلوا برمضان والأعياد والمناسبات الإسلامية في وسط مدن هذه البلاد، كما يفعل بعض الناس في بلادنا، في داخل مدننا العربيَّة الإسلامية، في الجزيرة العربيَّة؟ أهذا معقول؟ ما الذي حدث لهذه الأمة؟

أنا أنادي التجّار: أمن أجل أن تكسب فيما تبيع تقيم هذه المظاهر؟ مَنْ أراد أن يشتري منك سيأتك دون أن تعمل هذا، لماذا تُظهر الاحتفال بدين غير دينك في الوقت الذي يجورون علينا، في الوقت الذي يمنعونا فيه من إقامة شعائرننا، من بناء مئذنة جميلة الصورة، تعتبر من المعمار الجميل، حتّى من غير النظر إلى الناحية الدينيّة، من ناحية التنوع الحضاري؟!!

منعوا هذا، ونأتي نحن نبالغ في هذا الأمر؛ حتّى نفقد مجتمعنا صورته الإسلاميّة، ليست هذه صورة مجتمع مسلم، ليست هذه صورة الدوحة الإسلاميّة، وقطر الإسلاميّة، قطر التي كل أهلها الأصليين مسلمون.

أحبت أيّها الإخوة أن أبلغ رسالتي، وأنذر قومي، وأقول لهم: هذا حرام، وهذا عيب، وهذا لا يليق، وهذا يدل على غباء في معاملة الآخرين، وعلى جهل بما يوجبه الإسلام علينا في هذه القضية، هذه هي الكلمة الأولى.

فوز أوباما بجائزة نوبل للسلام:

الكلمة الثانية موجزة، أخذ أوباما جائزة نوبل للسلام، ولا أدري لماذا أعطوه جائزة نوبل للسلام؟ ما الذي حقّقه السيّد أوباما حتّى يستحقّ جائزة السلام؟ لم يحدث سلام في العراق، ولم يحدث سلام في أفغانستان، ولم يحدث سلام في الصومال، ولم يحدث سلام في أيّ بلد، حتّى لم يستطع أن يلزم إسرائيل بالإيقاف المؤقت للاستيطان الذي أعلن عنه، حتّى هذا الإيقاف المؤقت لبناء المستوطنات عجز عنه أوباما، وسحب بعض الجنود من العراق وذهب بهم إلى أفغانستان، أي من

حرب إلى حرب، من سفك دماء إلى سفك دماء، ولم تزل الدماء تُسفك في العراق، ولم تزل الدماء تُسفك في أفغانستان، وأضيف إليها باكستان واليمن والسودان، وأضيف إليها ما أضيف. العالم في حرب يغلي؛ فعلام يأخذ السيّد أوباما جائزة نوبل للسلام؟!!

أسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا سواء السبيل، وأن يُهيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم طهر أقوالنا من اللغو، وأعمالنا من العبث، وأنفسنا من الضعف، وقلوبنا من الغش، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، وعبادتنا من الرياء، وحياتنا من التناقض، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.

* * *



الحي القيوم^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً حول أسماء الله الحسنى، التي وصف الله تعالى نفسه بها، وأمر عباده أن يدعوه بها، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد ذكرنا أن هذه الأسماء التي عُدَّت في بعض الأحاديث بتسعة وتسعين هي أكثر من تسعة وتسعين، كما هي مذكورة في القرآن الكريم، وتحدَّثنا عن بعض هذه الأسماء الحسنى، عن اسم الله الأعظم والأول لفظ الجلالة (الله)، وتحدَّثنا عن (الرحمن الرحيم)، وتحدَّثنا عن (رب العالمين).

الحي القيوم:

ونتحدَّث اليوم عن اسمي (الحي القيوم)، كما جاء في آية الكرسي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١ يناير ٢٠١٠م.

﴿الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إلى آخر الآية. وهي أعظم آية في كتاب الله، كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ^(١).

وكما جاء في أوائل سورة آل عمران: ﴿الْمَ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران: ١ - ٤].

وكما جاء في سورة طه: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

سنة القرآن بالنسبة لأسماء الله تعالى وصفاته هي النفي المجمل والإثبات المفصل، على غير ما كان عليه الفلاسفة والمعتزلة وكثير من المتكلمين: أنهم يفضّلون في النفي، ويُجْمَلون في الإثبات، فصفات الله عندهم مجموعة من السلوب: ليس بكذا، ليس بجوهر، ليس بعرض، ليس داخل العالم، ليس خارجاً عن العالم، ليس متصلاً به، ليس منفصلاً عنه، كله ليس.. ليس، أمّا هو ما هو؟ فالصفات الإيجابية قليلة عندهم، والسلبية كثيرة جداً.

كثرة الصفات الإيجابية لله تعالى في القرآن:

القرآن عكس هذه النظرة، الصفات السلبية محدودة، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤]. فهذا نفي التشبيه، ونفي الشريك عن الله.

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٨١٠)، وأحمد (٢١٢٧٨)، عن أبي بن كعب.

وأما الإثبات فكثير جداً، ﴿مَلِكِ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ] [الفتح: ٢-٤]، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [مَلِكِ النَّاسِ] ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]، فالتفصيل في صفات الله تعالى وأسمائه هو منهج القرآن.

ولذلك أثبت القرآن هذين الاسمين العظيمين اللذين جاء فيهما عن ابن عباس أنَّهما أعظم أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ، بعد اسم الجلالة، وهما (الحيُّ القيُّوم) ^(١).
اسم الله الحيُّ:

ما الحيُّ؟ الحيُّ الموصوف بالحياة. وما هي الحياة؟ نحن حتَّى في عالمنا هذا لا نعرف كُنه الحياة، حقيقة الحياة ما هي؟ ولكن نعرف الحياة بآثارها، علماء الأحياء يقولون: للحياة خصائص وآثار: الغذاء، والنمو، والحركة، والإخراج، كلها آثار للحياة، لكن ما هي الحياة نفسها؟ لا نعرف كنهها.

ولكن الله سبحانه يتعالى عن هذه الأشياء، الله لا ينمو كما ينمو النبات أو الحيوان، لأن ما يقبل النمو يقبل النقصان، والنمو تغير، والله تعالى يستحيل عليه أن يتغير، هو كما كان، لا يعتره تغير ولا زوال، ولا تبدل ولا تحوُّل، فهذه الآثار والخصائص التي هي للحياة التي نعرفها: لا تجوز على الله عَزَّ وَجَلَّ.

(١) الكشف والبيان للثعلبي (٢/٢٣٠)، تحقيق أبي محمد بن عاشور، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

نحن نعرف الحياة في النبات وفي الحيوان، وفي الإنسان وفي الملائكة: حياة بعضها أعلى من بعض، حياة الحيوان أعلى من حياة النبات، فالنبات ينمو ويتغذى ويتنفس ويفرز؛ لكن لا يتحرك بالإرادة كما يتحرك الحيوان، وحياة الإنسان أعلى من حياة الحيوان، لأن فيها إدراكاً وفيها عقلاً، والحيوان لا يعقل ولا يدرك، وحياة الملائكة أعلى من ذلك، لأنها مستغنية عن الغذاء والطعام، وعن النمو وعن البراز وهذه الأشياء.

ولكن حياة الله تعالى أعلى من كل هذه الحيوانات، إن الله سُبْحَانَهُ وَعَلَىٰ عَرْشِهِ لا يغتذي، كما تغتذي النباتات والحيوانات والإنسان، كما قال الله وَعَلَىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. هو يُغذي غيره لكن هو لا يغتذي، لا يحتاج إلى هذا، ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

وكما رد الله على النصارى الذين عبدوا المسيح وأمه، وجعلوهما إلهين من دون الله، قال: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ الطَّعَامِ﴾ [المائدة: ٧٥]. كيف يكونان إلهين وهما يأكلان الطعام، ويحتاجان إلى الطعام، وبدون الطعام يموتان؟ ومن يحتاج إلى الطعام يحتاج إلى البراز، فكيف يكون هذين إلهين ﴿كَأَنَّا بِكُلَّانِ الطَّعَامِ﴾؟

الحي الذي لا يموت:

الله سُبْحَانَهُ وَعَلَىٰ عَرْشِهِ له حياة غير هذه الحيوانات كلها، حياة كاملة غير ناقصة، وحياة أبدية أزلية، لم تنشأ من عدم، نحن أحياء، ولكن كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]. كنا أمواتاً أي عدماً فأحيانا الله، أعطانا الحياة، فحياتنا مخلوقة وحادثه، وحياة الله ليست حادثه ولا مخلوقة، هو الأوّل الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس

بعده شيء، فحياته أزلية أبدية، لا يعترها موت، ولا يعترها نقص ولا زوال قط.

ولذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان: ٥٨]. توكل على الحي الذي لا يموت، إذا أردت أن تعتمد على أحد فلا تعتمد على شخص يموت بعد حين، له أجل مسمى، طال هذا الأجل أو قصر سيموت.

ولذلك ذهب بعض الناس يسأل عن رجل من الخيرين المحسنين، فقال له جيرانه ومن حوله: الرجل مات رَحِمَهُ اللهُ. فظل الرجل يبكي، فقالوا: علام تبكي؟ قال: كنت أعتد عليه في كذا وكذا. وكان أحد الناس الصالحين جالسًا فقال له: يا هذا، إذا أردت أن تعتمد على أحد فلا تعتمد على أحد يموت. لا تجعل كل همك واعتمادك على شخص إذا جئت تسأل عنه في وقت من الأوقات يقال لك: مات. لا يستطيع أن يعطيك إذا سألته، ولا أن يجيبك إذا دعوته، ولا أن يحقق لك مرادك؛ لأنه انتهى من الحياة، توكل على الحي الذي لا يموت، واعتز بمن لا يموت، ولذلك يقول الشاعر:

اجعل برِّك كُلاً عِزًّا كَ يَسْتَقِرُّ وَيَثْبُتُ
فإن اعتزت بمن يمو تُ فإن عِزَّكَ مَيِّتٌ^(١)

كل شيء هالك إلا وجهه:

لا تعزَّ بميت، ولا تعتمد على ميت، الميت لا يعتمد على ميت، وإنما يعتمد على حي، وعلى حي لا يموت أبداً، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨].

(١) ذكره بلفظ مقارب من غير نسبة اليوسي في المحاضرات في اللغة والأدب (٢١٣/١)، تحقيق محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦م.

الملوك يموتون، والأباطرة يموتون، والأنبياء يموتون، والأولياء يموتون، كل مخلوق ميّت، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ * ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥]. كل الأنبياء ماتوا، وكل الملوك يموتون: صالحين كانوا أم فاسدين: النمرود، فرعون، ذو القرنين، الإسكندر الأكبر، كورش، نابليون، كلهم ماتوا.

فرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. حينما أدركه الغرق قال: ﴿ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ، بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]. أين أنت من الإيمان الآن؟ ونجّاه الله ببدنه بعد أن مات.

كلهم يموتون، كما قال المأمون حينما أدركه الموت: يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه^(١). وحينما أدركت هارون الرشيد المنية كان يقول: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ * هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]^(٢). كل الخلق يموتون إلا الحي الذي لا يموت، وهو الله ﷻ، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

اسم الله القيوم:

والقيوم: هو الذي يقوم بذاته، ويقوم غيره، فكل شيء يقوم به، ولولاه ما قام شيء في الوجود، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥]. كل ما في الوجود يقوم بالله ﷻ، لا قيام

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٢٦/١٦)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب

الإسلامي، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق الإشبيلي ص ١٢٨، تحقيق خضر محمد خضر، نشر دار

الأقصى، الكويت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

له من ذاته، لأنه في ذاته عاجز، لا بدّ له ممّن يستمدّ منه الوجود، ويستمدّ منه الحياة، وهو الله القيوم.

والقيوم مبالغة في القيام، قيامه بنفسه، وإقامته لغيره، ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

رعاية الخلق وتدبير شؤونهم:

هو الذي يقوم بأمر الخلق، يُدبّر أمرهم جميعًا، هو الذي يرعاهم وهم أجنّة في بطون أمهاتهم، ثمّ إذا نزلوا من بطون أمهاتهم أطفالاً: رعاهم ودبّر لهم رزقهم في صدور أمهاتهم، ثمّ يرعاهم طوال حياتهم، يرزقهم، يرزق الأعمى والبصير، يرزق الحيوان والطيور، يرزق الطير في وكناتها، الطائر الأعمى الكسيح يُهيئ له رزقه وهو غير قادر على أن يطير.

كل من في الوجود يرزقه الله، وهذا من قيوميّة الله ﷻ، أنه يرضى الخلق جميعًا، هذه عقيدة الإنسان المسلم، أنّ الخلق تحت عين الله تعالى ورعايته، لا يغفل عن أحد منهم، ولا يسهو عن شيء من الأشياء، ولذلك في آية الكرسي يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. السّنة مقدّمة النوم: النعاس الخفيف، تهيئة النوم الثقيل، فمن قيوميّته ومن حياته الكاملة: أنه لا تعتريه سِنَّة ولا نوم، لا تغلبه السّنة الخفيفة، ولا النوم الثقيل.

وطبعا النوم نوع من الموت، كما قال بعضهم: النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل، أو الموت هو النوم الكبري، والنوم هو الموتة الصغرى. فالنوم نوع من الموت، ولذلك يقول الله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].
عندما ينام الإنسان فقد أصابه شيء من الموت.

الله ﷻ حي حياة كاملة، ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ»^(١). لأنه كيف ينام وهو الذي يقيم السماوات والأرض، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١]، لا يمكن أن ينام ولا لحظة واحدة.

تصوّر وأنت تسوق السيّارة وغفلت لحظة واحدة! ربّما وقعت في حفرة، ربّما كانت فيها نهايتك، أعرف بعض أصدقائنا نام وهو يقود السيّارة في لحظات انتهى فيها أجله.

الله ﷻ لا يمكن أن ينام؛ لأن مقتضى حياته وقيوميته: أن يظلّ راعياً لهذا الكون، مدبّراً لأمره، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]. حتّى المشركون كانوا يعترفون أنّ الذي يدبر الأمور كلها، ويقوم على كل شيء هو الله، يقول: ﴿أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾ [يونس: ٣١]. فلماذا تعبدون غيره؟ لماذا لا تخصصونه وحده بالعبادة؟ ﴿أَفَلَا نُنْقِوْنَ﴾؟

ثناء الأنبياء على الله بهاتين الصفتين:

الله هو الحي القيوم، الأنبياء جميعاً كانوا يؤمنون بهذه الحقيقة، سيّدنا نوح حينما كان يجادل قومه وهم يعبدون الأصنام ودّاً وسواعاً

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٧٩)، وأحمد (١٩٦٣٢)، عن أبي موسى الأشعري.

ويغوث ويعوق ونسرا إلى آخره، ويقول: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ وقد خلقكم أطوارا ﴿الْم تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴿[نوح: ١٣ - ٢٠].

وسيدنا إبراهيم يقول عن الأصنام: ﴿فَاتَّهَمَ عَدُوِّي لِإِلَهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ والذي هو يطعمني ويسقيني ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ والذي يميتني ثم يحييني ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٧ - ٨٢].
هذه مظاهر القيومية.

أصنام لا حياة لها:

أين هذه المظاهر من الأصنام التي ليس فيها حياة، ولا تسمع، ولا تبصر، سيدنا إبراهيم أيضا يقول لأبيه: ﴿يَتَأْتَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]. ليس فيه أي مظاهر للحياة، تعبد جمادا؟! كما قال في مقام آخر: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا نَنْحِتُونَ﴾ والله خلقكم وما تعملون ﴿[الصفات: ٩٥، ٩٦]. ينحتون الصخر ويأخذونه ويجعلون له وجها وأنفا، ثم يعبدونه ويتضرعون إليه، ويسجدون له، ويسألونه شفاء مرضاهم، وقضاء حاجاتهم؛ أي خلل هذا؟! فأتصاف الله تعالى بالحياة والقيومية يردُّ على اعتقادات المشركين الباطلة، ويردُّ على كل ذي ملَّة ونحلة لا يعطي فيها الألوهية حقها.

إله أرسطو طاليس لا يعرف في كونه شيئا!

إن أكبر الفلاسفة على الإطلاق لم يعرفوا حق الإلهية، أكبر الفلاسفة الفيلسوف اليوناني المعروف (أرسطو طاليس)، هذا الفيلسوف يقول بالألوهية، ولكن الإله عنده لا يعمل شيئا، ولا يريد شيئا في هذا الكون،

ولا يعرف في هذا الكون شيئاً، ولا يُدبّر فيه أمراً، لأنهم قالوا: إله أرسطو لا يعلم إلا ذاته، لا يعلم عالم الكون والفساد، باعتبار أنه أعظم من أن يعرف هذا الكون. ولذلك لا يعرف فيه شيئاً، ولا يدبّر فيه أمراً، ولا يخلق، ولا يرزق، ولا يشفي، ولا ينصر، أيُّ إله هذا الذي لا يعرف في كونه شيئاً؟!!

يا حي يا قيوم:

أمّا إله الإسلام فهو الله رب العالمين، الرحمن الرحيم، الحي القيوم، كان النبي ﷺ إذا كربه أمر، نزلت به شدة قال: «يا حيُّ يا قيوم»^(١). كان يدعو بهذا الاسم أحياناً، وأحياناً يقول: «أَلْطُّوا بيا ذا الجلال والإكرام»^(٢).

وسألته ابنته فاطمة الزهراء - سيّدة نساء العالمين ﷺ - عن دعاء تقوله عند الكرب، عند الشدة، فلا يخلو الإنسان من أوقات تضيق عليه الأرض فيها بما رُحبت، وتضيق عليه نفسه، ويظنُّ أن لا ملجأ من الله إلا إليه، تشتدُّ به الكروب، وتحيط به الخطوب، فيحتاج أن يلجأ إلى ملجأ، وأن يلوذَ بملاذ، وليس هناك إلا الله، عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال النبي ﷺ لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حيُّ يا قيومُ برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كلّهُ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»^(٣).

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٢٤)، وقال: غريب. وابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٣٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٤٧٧٧)، عن أنس بن مالك.

(٢) رواه أحمد (١٧٥٩٦)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الكبرى في الدعوات (٧٦٦٩)، والطبراني (٦٤/٥)، والحاكم في الدعاء (٤٩٨/١، ٤٩٩)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ربيعة بن عامر.

(٣) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (١٠٣٣٠)، والبخاري (٦٣٦٨)، والحاكم في الدعاء (٤٥٤/١)، وصحّحه على شرط الشيخين.

يجيب المضطر إذا دعاه:

هذا هو الدعاء الذي علّمه النبي ﷺ لفاطمة رضي الله عنها، احفظوه وقولوه ساعة الكرب، كرب شخصك، وكرب أمّتك، وأمّتنا دائماً في حالة كرب في هذه الأيام، ينبغي أن نلجأ إلى أدعية الكروب، أدعية الشدائد، نلجأ إلى الله، نستغيث به، يا حيّ يا قيّوم برحمتك نستغيث، لن يغيث لهفتك، ولن يكشف غمّتك، ولن يُفرّج كُربتك إلاّ مُفرّج الكروب، وكاشف الغم، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، الله وحده هو القادر على ذلك.

أمّا الخلق فهم أعجز من أن يُغيثوا لهفتك، وإذا أغاثك شخص يوماً فلن يُغيثك في اليوم الآخر، القادر على إغاثة اللهفات وكشف الكربات هو الله ﷻ، الذي لا تنفذ خزائنه، ويده سحّاء الليل والنهار، ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، لم يدع الله خزائنه للناس؛ لأنّ الناس أخضرت أنفسهم الشحّ، ولو ترك الأمر بأيديهم لهلك العالمون جوعاً، ولكن خزائن الله في يد الكريم، البر الذي لا يبخل على عباده بشيء، ولا يضمن عليهم بشيء، وهو أرحم الراحمين، وخير الراحمين.

يا حيّ يا قيّوم برحمتك نستغيث، نستغيث لأنفسنا، ونستغيث لأمّتنا أن تُفرّج عنها ما نزل بها، أن تجمع كلمتها وقد تشتتت، أن تجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التّقى، ونفوسها على المحبّة، وقد أصبح بعضها يقاتل بعضاً، أصبح بعضهم يسفك دم بعض، يا حيّ يا قيّوم برحمتك نستغيث: أن تعود هذه الأمة إليك،



إلى بابك، إلى ساحتك، إلى عتبتك، تستغفرك من كل ذنب، وتقول ما قال آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

عام على العدوان على غزّة:

لي في هذه الخطبة كلمتان:

إحداهما عن مرور عام كامل على ذلك العدوان الوحشي، الذي وقع لأهلينا وإخواننا في غزّة، غزّة الصابرة المُصابرة المُرابطة، التي أُوذيت في سبيل الله، وامتُحنت في سبيل الله، فما وهنت وما ضعفت وما استكانت، والله يحب الصابرين، كما قال الله **وَعَجَّلْ فِي قَوْمٍ مَمَّنْ كَانُوا قَبْلَنَا: ﴿وَكَايِنَ مِّنْ نَّبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾** وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿

[آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

لقد تجبّرت إسرائيل، وهي دائماً متجبّرة مستكبرة في الأرض بغير الحقّ، باغية طاغية، ظالمة غاشمة، ولا بد أن تلقى يوماً جزاء ظلمها وغشمها، إِنَّ اللَّهَ يَمْهَلُ وَلَا يَهْمَلُ، وَالنَّبِيُّ **ﷺ** يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (١).

إنه يُملي لهم ويُمهلهم أعواماً وأعواماً، وعقوداً وعقوداً، ثم لا بدّ أن

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

تأتيهم نعمة الله من حيث لا يحتسبون، كما قال وَعَلَىٰ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم: ٤٤، ٤٥]، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤، ٤٥].

ولهذا فإننا موقنون أن هذا اليوم آتٍ لا ريب فيه، ربّما لن يدركه أمثالنا، ربّما يدركه مَنْ يجلس أمامي في هذا المسجد، ومعظمهم شباب، وأعتقد أنّهم - إن شاء الله - مدركوه، كنتُ أودُّ أن أصلي في المسجد الأقصى في حياتي وهو مُتحرّر من السلطة الإسرائيليّة، فإذا لم يُتاح لي هذا؛ فعسى أن يُتاح لأبنائي وأحفادي وتلاميذي.

وهذا اليوم لا بدّ قادم أيّها الإخوة، لأنّ الله سُبْحَانَهُ لا يمكن أن ينصر الباطل على الحق انتصارًا دائميًا، إذا كان لدولة الباطل ساعة، فإنّ دولة الحق إلى قيام الساعة، نحن نعتقد أنّ إسرائيل التي طغت في البلاد، فأكثرت فيها الفساد؛ لا بدّ أن يصبّ ربك عليهم يومًا سوط عذاب؛ إنّ ربك لبالمرصاد.

لا بدّ لهذه الأمة أن تستيقظ يومًا من سباتها، وأن تحيا من مواتها، وأن تجتمع من شتاتها، وأن تقف صفاً واحداً، وتأخذ بثأرها، لا بدّ أن يأتي هذا اليوم، لا بدّ أن يأتي عماد الدين زكري، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي، لا بدّ لهذه الأمة أن تستيقظ يومًا، وأن تتجمّع يومًا، وأن تأخذ بحقها يومًا، هذا ما لا نشك فيه، وما لا ينبغي أن يشك فيه مؤمن، لأنّك إذا شككت في ذلك شككت في ربوبيّة الله، الله تعالى يقول: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾. رب العالمين الذي يُشرف على هذا العالم لا يمكن أن يترك الطغاة أبد الدهر، لا بدّ

أن يأخذهم يوماً أخذ عزيز مقتدر، وكم رأينا من دول دالت وأمم زالت؛ بسبب الطغيان والفساد، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

مرت سنة على إخواننا في غزّة، وثبت للعالم كله أن إسرائيل استعملت ما لا يجوز أن يُستعمل في هذه الحرب، وخالفت القوانين الدوليّة، والقوانين الأخلاقيّة، ولم تقف عند حد، هذا ما أثبتته القاضي غلادستون، وأثبتته العالم كله.

المهم أن إخواننا حتّى اليوم لا زالوا يعيشون على أنقاض بيوتهم، لم يصلهم شيء من المليارات التي قررتها المؤتمرات والقمم التي عُقدت، لم يُبنَ بيت خُرب، لم يعد مسجد هُدّم إلى ما كان، ولا مدرسة إلى ما كانت، ولا مزرعة إلى ما كانت، لماذا لا تذهب الأموال إلى أهل غزّة؟ إنهم يعلقونها على أشياء غريبة، ودعاوى واهية لا معنى لها.

الجدار الفولاذي بين مصر وغزّة:

ثمّ زاد الطين بلّة، وزاد الداء علةً بإقامة هذا الشيء الذي يسّمونه (الجدار الفولاذي بين رفح المصريّة ورفح الفلسطينيّة، سُمك القطعة من هذا الجدار خمسون سنتيمتر (٥٠ سم)، وغائر في الأرض من عشرين إلى ثلاثين متر (من ٢٠ إلى ٣٠م)؛ لماذا هذا؟ قالوا: حفاظاً على الأمن القومي المصري! مسكين الأمن المصري!

اسمعوا يا قوم، أهل غزّة المساكين المستضعفون، الجائعون المحرومون المظلومون: يهدّدون الأمن المصري!! وإسرائيل لا تُهدّد الأمن المصري!! أهذا كلام؟ هل خلت رؤوس الناس من عقول تعي؛ حتّى يُقال هذا الكلام؟! متى كان أهل غزّة يُهدّدون أمن مصر؟ كل هذا لإعطاء الفرصة لإسرائيل؛ لتتحكّم أكثر وأكثر في الفلسطينيّين.

المفروض أنّ معبر رفح وهو رئة الحياة التي يتنفس منها الفلسطينيون يجب أن يُفتح بصفة دائمة، وهذا واجب شرعاً وعرفاً، وخلقاً وقانوناً، وكل مبادئ الدنيا تُحتم هذا، ولكن لاعتبارات عجيبة وغريبة يُغلق هذا المعبر، حتّى أمام المرضى والمحتاجين، الذين يريدون أن يذهبوا إلى مصر، وحتّى أمام القوافل الإنسانيّة التي تأتي إلى أهل غزّة، من أوروبا ومن غيرها، من غير العرب ومن غير المسلمين، رقت قلوبهم، خضعوا لمنطق الإنسانيّة، وجاؤوا يُغيثون هؤلاء الملهوفين، فحتّى هؤلاء لا يُيسر لهم الدخول، توضع ألف عقبة وعقبة أمامهم.

اضطرّ الإخوة في غزّة أن يحفروا أنفاقاً يستطيعوا أن يدخلوا منها بعض الأشياء، ويخرجوا منها بعض الأشياء؛ تغاضوا يا قوم، يا أهل مصر. لا، لا يمكن أن نتغاضى، لا بدّ أن نحرمهم من أيّ شيء، ومن أدنى شيء، لا بدّ أن نسدّ عليهم كل المنافذ، وكل الأبواب، حتّى تتقطع أنفاسهم، وحتّى يُخنقوا خنقاً، وحتّى يتحقّق لإسرائيل ما تريد.

كنا نعيب على إسرائيل جدارها العازل، فأصبحنا ننافسها ونزيد عليها، بنى جداراً فولاذياً من جهتنا نحن، والله ما كان أحوج المصريين إلى هذه الملايين، عشرات الملايين التي تُنفق في هذا الجدار، ما كان أحوج المتبطلين الذين لا يجدون عملاً إلى هذه الملايين، وما كان أحوج الجائعين الذين لا يجدون قوتاً إلى هذه الملايين.

كان أجدر بنا أن نوفرّ هذه الملايين، وأن نوفرّ سمعتنا أيضاً، كان على المصريين أن يوفرّوا سمعتهم عند الناس، مصر الرائدة، مصر القائدة، مصر الزعيمة، مصر التي تتوسط بين الناس، وبين الفلسطينيين بعضهم وبعض؛ كيف تتوسّط بينهم الآن؛ وهي تقتل جزءاً منهم وجماعة منهم قتلاً عمداً؟ أهذا يجوز؟!

طَرَفَةُ بن العبد يقول:

وُظِلُّمُ ذَوِي الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقَعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ (١)

كلُّ ظلم مدمومٌ وقبيح، ولكن أقبح أنواع الظلم ما كان من ذوي القربى، قريبك الذي تنتظر نصرته لك، ومعونته لك، وأن يشدَّ أزرَكَ، عند الشدَّة يجيئك بما لم يكن في حسابك ويخنقك! ولماذا يخنقك؟ لحساب عدوك وعدوّه!

ليته يستفيد من هذا، إنَّ الَّذِي يستفيد من هذا كلُّهُ هو العدوُّ الغاصب الظالم: إسرائيل التي تحاصر القوم لتقتلهم وتُرْكَعْهم، ولكنَّ القوم - جزاهم الله خيرًا وثبتهم - أبوا أن يركعوا، وأبو أن يستسلموا.

ماذا نقول يا قومنا؟ الله تعالى يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، ويقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ويقول رسوله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلِمُه» (٢). ما معنى لا يُسْلِمُه؟ أي: لا يتخلى عنه. ويقول: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» (٣). انصره، لم يقل: جوِّعه، حاصره، اضغط عليه لحساب عدوك.

وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ: «ليس بمؤمنٍ من بات شعبان وجارُه إلى جنبه جائع» (٤). المفروض أن تجودَ من طعامك لجارك حتى

(١) انظر: ديوان طرفة بن العبد ص ٢٤، شرح مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢ م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

(٣) رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٣)، عن أنس.

(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، وقال =

لا يبيت جائعاً؛ فيتبرأ رسولُ الله منك، ليتك تفعل هذا، ولكن أن تمنعه من أن يصل إليه طعام، ولو بالخلسة، ولو بالنفق، وماذا يصل بالنفق مهما وصل؟ لن يصل عشر معشار المطلوب.

ماذا نقول لإخواننا؟ أقول: يا إخواننا، يا أهل مصر، يا قومنا، يا أهل العروبة والإسلام، اتَّقُوا اللهَ في أنفسكم، واتَّقُوا اللهَ في إخوانكم، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء، اخشَوْا من غضب الله تعالى عليكم؛ فَإِنَّ اللهَ تعالى يغضب لعباده المستضعفين، إِنَّ اللهَ يُغْضِبُ لِمَنْ ظَلَمَ، ويشتد غضبه إذا ظلم مَنْ لا ناصر له، وإخواننا هؤلاء في غزّة لا ناصر لهم إِلَّا اللهُ ﷻ.

نسأل الله ﷻ أن يهدي إخواننا في مصر والمسؤولين فيها إلى رشدهم، وأن يعودوا إلى الموقف الصحيح، الذي يجب أن يقفه العربي من العربي، والمسلم من المسلم، والجار من الجار، غزّة ليست مجرد بلدٍ عربيٍّ وبلدٍ مسلم، هي جارٌ لمصر، وكانت مصر مسؤولة عنها، كانت جزءاً من مسؤوليّة الحكومة المصريّة سنين طويلة، هذه هي الكلمة الأولى.

هجوم جريدة ألمانيّة:

والكلمة الأخرى ضاق المقام بها، كنت أريد أن أعلّق على الجريدة الألمانيّة التي اتّهمتني أنّي رجل متعصّب ضدّ النصارى، لأنّي أنكرت في آخر خطبة هنا على المحلّات التي تبالغ في الاحتفال بعيد الميلاد (الكريسماس) في قطر، في حين لم تهتمّ بعيد الأضحى، وطبعاً قطر وكثير من بلاد الخليج لا تحتفل بعيد ميلاد مُحَمَّد ﷺ، أو بالمولد النبوي،

= الهيتمي في مجمع الزوائد (١٣٥٥): رجاله ثقات. وصحّحه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

فأنكرت هذا، فأتهممتني هذه المجلة بأني رجل أحرّض ضدّ النصارى، وزادت على هذا فقالت: إنني أمنع أن تكون في الكنائس نواقيس تدقّ.

وأنا ما ذكرت هذا، بالعكس أنا أتعبد إلى الله تعالى بالتسامح؛ لأنّ التسامح جزء من الدين، وأنا منذ سنين أصدرت فتوى بشرعية تهنة النصارى بأعياد الميلاد؛ إذا كان هناك سبب لذلك، كأن يكون جارك مسيحيًا، أو زميلك في العمل أو في الدراسة أو قريبك مسيحيًا، لأنّ الإسلام أجاز للمسلم أن يتزوَّج المسيحية، فيمكن أن تكون زوجتك مسيحية، وأولادك أمهم مسيحية، وأخوالهم وخالاتهم مسيحيين، فكيف لا يجوز تهنتهم؟ وأنا خالفت في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)، لأنني اعتمدت على قول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَنِّلُواكُم فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]. فهذا من البرّ الذي جاء به الإسلام لهؤلاء، ولم ينه الإسلام أن نعاملهم معاملة حسنة أبدًا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَةٍ فَحِوُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦].

أسأل الله تعالى أن يُفَقِّهَنَا في ديننا، وأن يُعَلِّمَنَا ما يَنْفَعُنَا، وَيَنْفَعُنَا بِمَا عَلَّمَنَا؛ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ تَحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنَّا، اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا، وَأَعْظِمْنَا وَلَا تَحْرِمْنَا، وَزِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا، وَآثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا، وَارْضَ عَنَّا وَأَرْضِنَا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.



الخالق (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً حول موضوعات القرآن، وموضوعات العقيدة الإسلامية، وقد بدأناها بحديثنا عن أسماء الله الحسنى، التي أثنى الله بها على نفسه، وليس هناك أبلغ ولا أصدق من ثناء الله تعالى على نفسه، كما قال رسول الله ﷺ لربه في سجوده: «اللهم إني أعوذُ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك»^(٢).

اسم الله الخالق:

أثنى الله على نفسه بالأسماء الحسنى، وتحدث اليوم عن أحد هذه الأسماء، وهو اسم (الخالق)، فقد وصف الله نفسه بأنه (الخالق) و(الخالق)، ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلِيقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٨ يناير ٢٠١٠م.

(٢) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٥٥)، عن عائشة.

الله تعالى هو الذي خلق كل هذا الكون، وما في هذا الكون، هو الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وصوره فأحسن صورته، ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَدَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٦ - ٨]،

هو الذي خلق كل دابة في الأرض، كل الحيوانات البرية، وكل الأحياء المائية، وكل الزواحف، وكل الحشرات، وكل الطيور، كل حي في هذا الكون خلقه الله وَجَلَّ، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النور: ٤٥].

وخلق الله النباتات من كل زوجين اثنين، ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الرعد: ٣]، جعل هذه المخلوقات الحية تتناسل، حتى النبات يتناسل، هناك أعضاء التذكير وأعضاء التأنيث، تُنقل اللقاحات بينهما بواسطة الحشرات والنحل والرياح، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

التزاوج موجود بين كل شيء، هناك ذكر وأنثى في الكائنات الحية، حتى في الذرة فيها موجب وسالب، فقاعدة الزوجية هي قاعدة كلية، حكى عنها القرآن قبل أن يعرفها الناس في عصرنا: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. كان بعض المفسرين يقول: هذه كلية أغلبية. لأنهم ما كانوا يظنون أن الجمادات نفسها فيها زوجية، وفيها موجب وسالب، وفيها هذه المتقابلات.

الله هو خالق هذا الكون كله: جماداته وأحيائه، أفلاكه العليا وكائناته الدنيا، هو خالق هذه الحياة.

الله هو واهب الحياة:

الناس في عصرنا بعد أن بلغوا من العلم ما بلغوا؛ ممّا علّمهم الله، الذي علّم الإنسان ما لم يعلم: يحاولون أن يخلقوا إنساناً؟ وكيف يخلقون إنساناً؟ المهم في الإنسان هي الحياة هي الروح، ومن أين يأتون بالحياة؟ إنهم لو استطاعوا أن يفعلوا ذلك لا بدّ أن يأخذوا من الحياة التي خلقها الله، من أيّ إنسانٍ آخر، من أيّ خليّة، إنّما الإنسان لا يستطيع أن ينشئ الحياة.

الله هو واهب الحياة للإنسان والحيوان والنبات، والملائكة والجن، ما نعرف وما لا نعرف، ما نرى وما لا نرى من هذه المخلوقات، فليست كل المخلوقات ظاهرة، هناك عالم غير منظور، علماء الكون في عصرنا يقولون: إنّنا لا نعرف من هذا الكون المادي إلا ثلاثة في المائة (٣٪)، أمّا السبعة والتسعون في المائة (٩٧٪) الباقية فلا نراها، ولا حتّى بأيّ واسطة، لا بالتلسكوبات أو غيرها، يُسمّونها الأعماق السوداء.

والله تعالى يقول: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩]. وما لا نبصره أضعاف أضعاف ما نبصره، الله هو خالق هذا كله، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

كلّ شيءٍ يمكن أن يُخلق، ولكن كما جاء في الحديث أنّ النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس يتساءلون حتّى يقول بعضهم: إنّ الله قد خلق الخلق؛ فمن خلق الله؟»^(١). وهذا سؤال في غير موضعه؛ لأنّ الله لا يُخلق، الخالق الأوّل

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٣٦)، عن أنس.

والأعلى يستحيل عليه أن يُخلَق، وإلا لزم هذا الأمر التسلسل، والتسلسل باطل، لا بد أن نقف عند خالق أول هو الله، هو الخالق وليس بمخلوق، ولذلك قال النبي ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا، حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعد بالله ولينته»^(١).

عناية القرآن بالخالقية:

خلق الله الناس، خلق الإنسان، وهذه الخالقية يُعنى بها القرآن عناية شديدة، حتى إن الآيات الأولى التي نزلت على قلب محمد ﷺ؛ حينما لقيه جبريل لأول مرة تُقرّر هذه الخالقية: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق: ١-٢].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤]. ليس هناك خالق أحسن منه، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة: ٧].

خلق الإنسان الأول:

وهو آدم ﷺ، آدم هو أبو البشر، لم يتطور عن مخلوق آخر: قرد، أو غير قرد؛ بل خلق قصداً، كما حكى لنا القرآن بجلاء ووضوح: أنه خلقه وكرّمه في موكب أمام الملائكة، خلقه وسوّاه، ونفخ فيه من روحه، وقال للملائكة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]. فهو مخلوق متميّز، ومخلوق قصداً، وقبل أن يخلقه الله قال للملائكة:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٧٦)، ومسلم في الإيمان (١٣٤)، عن أبي هريرة.

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]. اشْرَأَبْتَ أَعْنَاقَهُمْ لِمَنْزِلَةِ الْخِلَافَةِ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. أنتم لا تصلحون للخلافة في الأرض؛ لأنكم لا تأكلون ولا تشربون ولا تنامون، ولستم مهَيَّئين لهذا.

الله ﷻ خلق الإنسان الأوَّل، وأسكنه في الأرض، وجعله فيها خليفة، ومكَّن له فيها، وزوَّده بما يُمكنه من عمارة الأرض، ومن أداء حقِّ الخلافة فيها.

خلق الله الإنسانَ منذ كان نطفة من منيِّ يُمنى، انظروا الدفقة الواحدة من المنيِّ فيها عشرات الملايين، وربما مئات الملايين من الحيوانات المنيَّة، التي لا تُرى إلا بالمجهر أو الميكروسكوب، كل حيوان من هذه المخلوقات الصغيرة جدًّا جدًّا: صالح لأن يكون إنسانًا، مشروع إنسان في هذا الحيوان، انظروا إلى قدرة الله على إيجاد الحياة، وقد هيَّأه الله ليصلَ إلى مراده، إلى بويضة المرأة، علَّمه كيف يخطُّ طريقه وحده، واحد من هذه الملايين هو الذي يستطيع أن يصل إلى ما يريد، وبالتقاءه وُجد مشروع الإنسان، حينما يلتقيان وينقسمان ويتكاثران، ويصلان إلى ما أراد الله ﷻ.

الله هو الذي خلق الإنسان، وخلق الحيوانات والأنعام وكل شيء لخدمة الإنسان، الكون مسخر لخدمة الإنسان، خلق الله هذا العالم لخدمة الإنسان؛ حتَّى يقوم بأهدافه في الحياة، من عبادة الله، والخلافة في الأرض، وعمارة الأرض، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ

لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
دَائِبِينَ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٢﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

خلق هذا الكون الكبير:

خلق الله الإنسان، وخلق هذا الكون الكبير الذي نعيش في ركن صغير جدًا من أركانه، هذه الأرض التي نعيش عليها، والتي يظن الإنسان أنه أصبح متحكّمًا فيها، هذه الأرض كوكب صغير في مجموعة تُسمّى (المجموعة الشمسيّة)، وهذه المجموعة هي واحدة من ملايين المجموعات، فيما يُسمّونها (المجرّة) التي نعيش فيها يُسمّونها (سكّة التبانة)، وهذه المجرّة واحدة من ملايين المجرّات في هذا الكون، تأمل سعة هذا الكون الذي خلقه الله ﷻ، ماذا تكون أنت أيّها الإنسان في هذه الأرض؟ وما قيمة هذه الأرض في المجموعة الشمسيّة؟ وما قيمة هذه المجموعة بالنسبة إلى المجرّة؟ وما قيمة المجرّة بين المجرّات؟ الله خالق هذا كله.

نحن نقول عندما نركع ثم نرفع رؤوسنا من الركوع: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد»^(١). فهناك حتّى غير السماوات والأرض، وما هي السماوات؟ نحن لا نعرف شيئًا إلّا عن السماء الدُّنيا، لكن ما هي السماوات الأخرى، وما بعد السماوات؟ إنّ ملك الله تعالى واسع، وقد قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيِّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۖ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهْدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧، ٤٨].

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٦)، وأحمد (١٩١٠٤)، عن عبد الله بن أبي أوفى.

الرد على الماديين والمنكرين للبعث:

عُني القرآن بهذه الخالقيّة، باسم الخالق، الخلاق، خالق كل شيء، خالق السماوات والأرض، عُني القرآن بهذا لعدة أسباب:

ليردّ أولاً على الماديين والجاحدين، الذين لا يؤمنون بخالق فوقهم؛ هو الذي خلقهم، وظنّوا أنّ الطبيعة هي التي خلقتهم، أو أنّهم خلّقوا من غير شيء، القرآن يقول: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿ [الطور: ٣٥، ٣٦].

ثمّ ليردّ على من اعترفوا بالخلق الأوّل، ولكنهم أنكروا الخلق الثاني، أنكروا الإعادة: البعث بعد الموت. وقد كان العرب في الجاهليّة إذا سألتهم: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قالوا: خلّقهنّ الله، خلّقهنّ العزيز العليم، ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ولكنهم لا يعترفون بقدرة الله تعالى على إعادة من خلقه، فأنكروا البعث، وأنكروا إمكان البعث، وقال قائلهم وقد جاء بعضهم قد رمّ وبلي إلى النبي ﷺ: أتزعم يا مُحَمَّد، أنّ الله يبعث هذا بعدما رمّ وبلي؟ قال: «نعم، ويبعثك ويُدخلك النار»^(١).

ونزل قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ [يس: ٧٨، ٧٩]، الذي أنشأها أوّل مرّة ينشئها مرّة ثانية، كما قال وعجّل: ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، الإعادة أهون في نظر الناس، وأمّا بالنسبة

(١) رواه الإسماعيلي في معجم شيوخه (٣٥٩)، والحاكم في التفسير (٤٢٩/٢)، وضحّه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

لله وَعَجَلَ فَيَسْتَوِي عِنْدَهُ الْبَدءُ وَالْإِعَادَةُ، الأَمْرُ عِنْدَ اللَّهِ وَعَجَلَ سَهْلٌ جَدًّا، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، أَمْرُهُ بَيْنَ الْكَافِ وَالنُّونِ، فَلَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]. كما قال وَعَجَلَ: ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]. خَلَقَ هَذَا الْكَوْنُ الْعَظِيمَ الْوَاسِعَ، الَّذِي لَا نَعْرِفُ لَهُ حُدُودًا، وَالَّذِي يَتَّسِعُ، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾، كُلُّ هَذِهِ تُسَهِّلُ عَمَلِيَّةَ الْخَلْقِ الثَّانِي، إِعَادَةَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ صَارُوا عِظَامًا، ذَلِكَ الَّذِي شَكَكَ فِي إِمْكَانِهِ، ﴿وَقَالُوا أَمْذَا كُنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَمْ نَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١]، فَمَنْ أَجَلُ إِثْبَاتِ الْبَعْثِ كَانَ تَكَرَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ خَلْقِ هَذَا الْكَوْنِ.

الرد على الوثنيين الذين يعبدون الأصنام:

ومن ناحية أخرى أنه يردُّ على الوثنيين الذين عبدوا أصنامًا، أوثانًا، حجارة لا تخلق شيئًا، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِهْلَاهَ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣]، هم يصنعون آلهتهم بأيديهم، كما قال لهم سيِّدنا إبراهيم: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿ [الصفات: ٩٥، ٩٦].

يأخذون حجرًا وينحتونه، كما روى البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال: كُنَّا إِذَا اسْتَحْسَنَّا حَجْرًا عَبْدْنَاهُ، فَإِذَا وَجَدْنَا حَجْرًا أَحْسَنَ مِنْهُ أَلْقَيْنَا الْأَوَّلَ وَعَبَدْنَا الْآخَرَ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ حَجْرًا حَثُونَا حَثِيَّاتٍ مِنَ التُّرَابِ، ثُمَّ

حلبنا عليها من الشاة واتخذناها إلهًا^(١). يعجن التراب بالحليب ويُسكِّله ويصنع منه إلهًا، ثم يعبده ويدعوه ويتضرع إليه، ولهذا أنكر القرآن عليهم، فالله هو الخالق، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى: ١ - ٥].

سيدنا نوح قال لقومه، وقد عبدوا ما عبدوا من الأصنام: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٣ - ١٧].

وسيدنا إبراهيم يقول عن الأصنام: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٧ - ٨٠].

وسيدنا موسى حينما سأله فرعون هو وهارون: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٤٩، ٥٠]. أعطى كل شيء ما به تمام خلقه، ثم هدى كل شيء إلى ما يحتاج إليه.

كان هذا مما جعل القرآن يكرر ويلح على قضية الخالق، أن الله هو الخالق، لا خالق غيره، ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [فاطر: ٣]، ولا شريك لله تعالى في خلقه أبدًا، الله وحده هو خالق السماوات والأرض.

القرآن يربط الناس بربهم:

وهناك سبب آخر جعل القرآن يكرّر هذا المعنى، هو أن القرآن يريد أن يربط الناس بربهم، ليتصل الناس بالله الذي له الأسماء الحسنى، لا يتصلوا

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٣٧٦).

بإله سلبي، أو إله عدمي، أو إله لا يعلم في الكون شيئاً، ولا يُدبره، لا، إنّه يتصل بالخالق البارئ المصور، الذي يصمّم هذا الكون ويُهِنِدِسُه ويبيّنه على ما يريد، وعلى ما يُقَدِّرُ تماماً، ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، كل شيء بحساب وميزان، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، هذا هو خلق الله.

ولذلك يربطنا القرآن بهذا، ويذكر هذه الأشياء، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ * هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القمان: ١٠، ١١]، هل خلقوا شيئاً في الأرض؟ ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات﴾ [فاطر: ٤٠]؟

لا، لم يخلقوا ذرّة واحدة؛ بل هم أنفسهم مخلوقون، القرآن يقول هذا في سورة النحل: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ * وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٤-٦]. ثمّ تحدّث عن خلق الماء والنبات والبحار، وسخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، ثمّ قال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. تسوون الخالق القادر بغير الخالق، الذي لا يستطيع أن يخلق شيئاً؟!!

بل كما قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْتَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ [الحج: ١٧٣]. كانوا يتخذون آلهة من العجوة، خصوصاً في منطقة هجر، هنا قريبة منا في الأحساء، منطقة التمر وهذه الأشياء، يصنعون آلهة من العجوة، وإذا جاعوا أكلوا هذه

الآلهة، وهذه الآلهة تتهافت عليها الحشرات؛ فلا تستطيع أن تذب عن نفسها الذباب، ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِئُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿[الحج: ٧٣، ٧٤].

الله في القرآن إله عظيم، ورب عظيم، اقرأ ما شئت فيما يسمّى (العهد القديم) في التوراة، و(العهد الجديد) في الإنجيل لا تجد مثل هذا.

مفردات الخلق في القرآن:

كلمة (خالق) و(خالق) و(خلق) و(خلقك) و(خلقنا) و(خلقكم) ذكرت عشرات المرّات في القرآن الكريم، افتح ما نسميه (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن) تجد أن كل كلمة من هذه الكلمات ذكرت مرّات ومرات، هذا القرآن كتاب عظيم، لا يوجد كتاب أثنى على الله تعالى، وأظهر كمالات الله تعالى وأسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ مثل هذا القرآن العظيم.

إنّ هذا الخالق الذي خلقنا يستحق أن نعبد، وأن نشكره، وأن نحبه، وأن نرجوه ونخشاه، كما قال تعالى في أوّل نداء للناس في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿[البقرة: ٢١، ٢٢]. هو الخالق والرازق، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، وكل النعم من عنده، ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

حظ العبد المؤمن من اسم الله الخالق:

الله خالق كل شيء، وهو وحده المستحق لعبادتنا، الإمام الغزالي له كتاب اسمه (المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى)، يشرح فيه كل اسم



من الأسماء، وبعد شرح كل اسم يذكر حظ العبد من هذا الاسم، أي ما يجب أن يكون حظ كل مؤمن من أسماء الله تعالى، حتى الأسماء التي هي من شأن الألوهية، مثل الجبار المتكبر، كن جباراً على الجبارين، كن متكبراً على المتكبرين، ولن تكون خالقاً لكن كن إيجابياً، لا تكن إنساناً سلبياً، لا تعش كأنك لا شيء، اعمل شيئاً، اصنع شيئاً، وأحسن ما تصنع لتقتدي بالله ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، هذا هو حظك من هذا الاسم.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا قرباً منه؛ إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لي في هذه الخطبة الثانية ثلاث كلمات:

رحيل الدكتور عبد العظيم الديب:

أمّا أولاهما: فقد ودّعت الأمة الإسلاميّة، والدعوة الإسلاميّة، والعلوم الإسلاميّة، أوّل أمس الأربعاء رجلاً من خيرة رجال الأمة، وعَلَمًا من أعلام الدعوة، وفحلاً من فحول العلم، ورائدًا من رواد التربية الإسلاميّة، إنّه الأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب.

لعل كثيرًا منكم لا يعرف الدكتور عبد العظيم الديب، ومن حقكم، لأن الدكتور عبد العظيم الديب لم يكن يجري وراء الشاشات ليظهر عليها، وهو عالم كبير، تعلّم عليه الكثيرون، وتخرج على يديه مَنْ يعرف قدرهم العلماء الكبار.

كان كثير من العلماء يسعون عندي ويوسطونني ليظهروا على قناة (الجزيرة) في برنامج (الشريعة والحياة)، حينما أكون غائبًا عنه، إلّا عبد العظيم الديب، كم رجوته أن يظهر في بعض المرات؛ لينهل الناس من علمه، وليناقد بعض الموضوعات التي يحسنها، وكم ركضت (الجزيرة) نفسها وراءه، ووسّطتني من أجل ذلك، ولكنّه رفض أن يسير وراء الأضواء.

وعاش للعلم راهبًا متفرغًا في صومعته، في مخبئه العلمي، يحقق كتب التراث، خصوصًا كتب إمام الحرمين الجويني، الذي كان الدكتور

عبد العظيم عاشقاً له، أخرج عددًا من كتبه، آخرها كتاب (نهاية المطلب في دراية المذهب) في فقه الشافعية، وهو أعظم كتاب في فقه الشافعية، عكف عليه أكثر من عشرين سنة، يخدم الكتاب حتى يُخرجه للناس، وهو الذي به أصبح الجويني إمام الحرمين، إذا قيل في كتب الشافعية: قال الإمام، وهو رأي الإمام، وهو ما نقله الإمام. يقصدون إمام الحرمين الجويني.

عاش عبد العظيم في خدمة تراث الجويني، مع قدرته على الكتابة والتأليف، وأخرجت له مجلة (الأمة) كتابًا في التاريخ (منهج المستشرقين في التاريخ)، وعنده كتابات كثيرة عن التاريخ، وله كتابات عن اللغة وعن الأدب، هو أحد كبار علماء الأمة حقًا.

فقدت الأمة هذا العالم الكبير الذي ودّعنا في صمت، وأود هنا أن أشير إلى أنه كان ملء السمع والبصر، يوم الجمعة الماضي قال أحد تلاميذه: جلست معه أكثر من ثلاث ساعات، وهو يتحدث في أمور الأمة، رغم اشتغاله بالعلم كان مشغولاً بهموم الأمة، ومشكلات الدعوة، وقضايا الثقافة والعلم والفكر. ظل ثلاث ساعات يتحدث، وكانت عنده مشروعات كبيرة، جهّز بعضها للمطبعة، وبعضها يعدها، وعنده سفر ينتظره، ثم دخل المستشفى في مسألة بسيطة، جلطة في الرجل، فكانت هي القضية.

وأحب أن أذكر هنا - كما بلغني - أنه كان هناك تباطؤ وتأخير وتقصير في هذه العملية، حتى أدت إلى هذه الوفاة، وهذه هي المرة الثانية التي تحدث في مستشفى حمد فيمن نعرفه، قبل ذلك بعدة سنوات في نفس هذه القضية، وما أشبه الليلة بالبارحة، أخونا الحبيب الدكتور مُحَمَّد قطبة رَحِمَهُ اللهُ، نفس الشيء مسألة بسيطة، وقضي عليه بهذا الأمر.

ولهذا أنا أطالب المسؤولين في مستشفى حمد: أن يحققوا في هذه القضية. نحن نعلم أن قضاء الله حاسم، ولا رادَّ له، ولا معقب لحكمه، ولكننا أمرنا أن نأخذ بالأسباب، وأن نبحث في الأسباب، وأن نعرف هذا حتى لا يتكرر على الناس.

هذا عبد العظيم الديب العالم، ولكن هناك عبد العظيم الديب الصديق، عبد العظيم الديب كان بالنسبة لي صديق العمر، ورفيق الدرب، وشقيق الروح، وزميل الدراسة والدعوة، وصاحب الشباب والكهولة والشيخوخة، وكان نعم الصديق، ليس من السهل أن تجد لك صديقاً صدوقاً، يخلص لك الود في السرِّ والعلانية، في السراء والضراء، في الظاهر والباطن، ليس من السهل أن تجد لك صديقاً أو أخاً من هذا النوع، وكما قال الشاعر العربي:

إِنْ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا رَيْبَ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ^(١)

عرفت عبد العظيم منذ حوالي ثلثي قرن، ونحن طلاب في المعهد الديني في طنطا، ولا زال كالعهد به: ابن القرية الأصيل الوفي الناصع، الذي تراه كالمرآة لا ترى فيها صدأً ولا غبشاً.

لقد ودعت أول أمس صديقاً قلَّ أن يجود الزمان بمثله، ولا أملك إلا أن أدعو الله له أن يغفر له ويرحمه، ويتقبله في الصالحين، ويجزيه عن دينه وعن أمته خير ما يجزي به عباده الصالحين، والعلماء العاملين،

(١) البيتان منسوبان لسيدنا علي بن أبي طالب، انظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (١١٣/١٨)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي.

والأئمة الربانيين، والدعاة الصادقين ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

ادعاءات محمود عباس بشأنني:

الكلمة الثانية تتصل بالرئيس الفلسطيني محمود عباس؛ فقد تحدث إلى الصحف القطرية، وأبدأ وأعاد في الحديث عني، وزعم فيما زعم أنه هو الذي عينني في قطر، وهذا كلام موهم، الحقيقة أنني حينما جئت إلى قطر مديراً للمعهد الديني الثانوي، كان محمود عباس مديراً لشؤون الموظفين في وزارة المعارف في قطر، فبوصفه مديراً للموظفين لا بد أن يوقع على تعييني، لكن هو لم يجئ بي إلى قطر، ولا له علاقة بهذا الأمر.

وقد اتهمني بأني أصدرت فتوى برجمه حول الكعبة بهذا الإطلاق، وهذا ليس بصحيح، أنا أحب أن أقول: أنا لست عدواً لمحمود عباس بشخصه ولا لأحد، فلسطين كلها بلدي، وأهلها كلهم إخواني، وأنا عرفت محمود عباس منذ جئت إلى قطر كما قلت لكم، وبعد أن أنشئت حركة فتح كان هو أحد رجالها، وإن لم يكن أنشطهم ولا أشهرهم ولا أقواهم، كان هناك من هو أنشط منه وأشهر وأقوى، كان هناك مُحَمَّد يوسف النجار أبو يوسف، وكان هناك رفيق النشئة، وكان هناك كمال عدوان، وكان هناك أشخاص أشهر منه وأعرف بكثير، ولكن ظلت علاقتنا من ذلك اليوم.

وحينما جاء إلى قطر قبل أن يُنتخب رئيساً أوصيته، قلت له: يا أبا مازن، إياك والثوابت الفلسطينية، احرص عليها، واحرص على وحدة الصف الفلسطيني، الله الله في هذين الأمرين: وحدة الصف، والثوابت الفلسطينية. وقال: أطمئنك، أطمئنك!

وفي القضية التي تحدث عنها لعلكم تذكرون أنني في إحدى الخطب^(١) حينما ذكروا موقفه من تقرير القاضي الإفريقي المعروف جولدستون، حول ما جرى في غزة، وأنه كان ضد هذا القرار، وسُجِّل عليه كلام، وسُجِّل عليه كلام آخر نشرته بعض الصحف وبعض أجهزة الإعلام: أنه حرَّض الإسرائيليين أن يضربوا غزة، واعترض بعض الفتحاويين قالوا: هذا سيصيب بعض المدنيين، وبعض الأبرياء. قال: خلِّهم يأكلوها، هم الذين انتخبوهم. يعني حماس!

وأنا قلت: إذا ثبت هذا الكلام، أنا لست قاضيًا كما قال شيخنا حسن الهضيبي: نحن دعاة ولسنا قضاة. القاضي يحقق، ولكني لست قاضيًا، ولم أحكم، ولم أفت، وقلت يومها في المهرجان الذي عُقد في هذا المسجد، ولعل كثيرًا منكم كانوا حاضرين، قلت: أدعو جامعة الدول العربيَّة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، وبعض الشخصيات المحايدة أن تحقِّق في هذه القضية، فإذا ثبت هذا، أنه حرَّض إسرائيل على ضرب غزة فلا يستحق الإعدام فقط؛ بل يستحق الرجم.

هذا ما قلته، وأظنُّ أن أحدًا لا يستطيع أن ينكر عليَّ هذا، ولا محمود عباس نفسه، هل ينكر أن مَنْ يخون قومه، ومَنْ يدعو عدوَّه لضرب قومه بالغازات والقنابل والصواريخ: لا يكفي الإعدام في حقِّه، إنَّما يجب أن يُرجم كما رجم العرب قبر أبي رغال، الذي دلَّ أبرهة الحبشي على طريق مكَّة لهدم الكعبة؛ فرجموا قبره، هذا ما قلته.

تحية إلى جورج جالوي:

الكلمة الثالثة أيُّها الإخوة هي تحية أزوجيها باسمكم هنا في مسجد

(١) كان هذا في خطبتي: فلسطين والأقصى بين الآلام والأمال، بتاريخ ٩ أكتوبر ٢٠٠٩م.

عمر بن الخطاب، وباسم المشاهدين والمستمعين من العرب والمسلمين، الذين يسمعونني ويشاهدونني في كل مكان، تحية أزجيتها باسم أمة العرب والإسلام في كل مكان: إلى ذلك الرجل الحر قائد قافلة (شريان الحياة)، النائب البريطاني (جورج جالوي)، الذي تحمّل ما تحمّل من مصاعب؛ في سبيل أن يأتي بهذه القافلة؛ لتقوم بدورها في مساعدة إخواننا المحاصرين المجوعين في قطاع غزة. فالرجل لم ييأس، وظل يذهب من مكان إلى مكان، من الأردن إلى مصر، ومن ميناء إلى ميناء، حتى يستطيع أن يوصل هذه المساعدات، وقد قال: لو كنت أساعد إسرائيل لكرمتني أعظم تكريم، ولاستقبلتني بالترحاب، ولكن لأنني أساعد العرب يُصنع معي هكذا.

نحن نحیی هذا الرجل، ولا نملك إلا أن نحیّه ونشدّ على يديه، ونقول له: مرحبًا بك أيها الرجل الحر الشريف الشجاع، جزاك الله خيرًا، فقد علمنا نبينا ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَأُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَقُولُوا: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا»^(١). فنحن نقول لجورج جالوي: جزاك الله خيرًا. هذه كلمتي الثالثة والأخيرة.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعل يوم هذه الأمة خيرًا من أمسها، ويجعل غدها خيرًا من يومها، ويحسن عاقبتها في الأمور كلها، ويُجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم أكرمنا ولا تهنّا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا

(١) رواه أحمد (٥٣٦٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧)، وابن حبان (٣٤٠٨)، ثلاثتهم في الزكاة، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢١)، عن ابن عمر.

وأرضنا، اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودُنْيَانَا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغْتال من تحتنا، اللهم خذ بأيدي إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين وفي العراق، وفي أفغانستان وفي كل مكان، اللهم سدّ رميتهم، اللهم اجمع على الحقّ كلمتهم، اللهم ردّ كيد أعدائهم في نحورهم، وأعد سهامهم المسمومة إلى صدورهم، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين، اللهم يا مُنْزِلَ الكتاب، ويا مُجْرِي السَّحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصُرنا عليهم، اللهم اهزمهم وانصُرنا عليهم، اللهم لا تُهْلِكُنَا بما فعل السفهاء مِنَّا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، واجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربَّنَا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.





الحكيم (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً عن أسماء الله تعالى الحسنی، وقد ذكرنا عددًا منها، واليوم نتحدّث عن اسم من هذه الأسماء الحسنی، وهو اسم (الحكيم).

الحكيم: ذو الحكمة، الموصوف بالحكمة، والله تعالى هو الحكيم، الحكيم في أقواله، والحكيم في أفعاله، والحكيم في خلقه، والحكيم في أمره، ليس كآلهة الوثنيين، التي لا تبصر ولا تسمع، ولا تعي ولا تعقل، وليس كآلهة اليونانيين والرومانيين، التي تخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء، ولا تعرف حكمة من عبث، إنّما الله إله متفرد، الإله ذو الأسماء الحسنی، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]

معنى اسم الله الحكيم:

فمن أسمائه (الحكيم)، ما معنى الحكيم؟ الحكيم هو الذي يعرف الأشياء على حقيقتها، ويطلع على غاياتها وأسرارها، فلا تخفى عليه

(١) ألقى في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٢ يناير ٢٠١٠م.

خافية، ولا يغيب عنه سرٌّ ولا علانية، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]. وكما قال سيّدنا إبراهيم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعَلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. فهذه هي الحكمة العلميّة أو الحكمة النظرية؛ أنّه يعرف الأشياء على حقيقتها، ويعرف أسرارها وغاياتها.

وهناك حكمة عمليّة، أنّه يضع كل شيء في موضعه، لا يضع شيئاً غلطاً، ولا شيئاً عبثاً، ولا شيئاً اعتباطاً، بل كل شيء بميزان، كل شيء بمقدار، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، يخلق الشيء لتحقيق الهدف المناسب في المكان المناسب، في الزمان المناسب، بالقدر المناسب، فهو يحكم أيضاً كل شيء، الحكيم بمعنى مُحكِم، يُحسِن الأشياء ويتقنها ويحسنها، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُتٍ﴾ [الملك: ٣]. كله خلق حسن، كله جميل، كله مُتقن، كله في موضعه، عمل العليم الحكيم.

ولذلك تكرر في القرآن اسم (الحكيم) بالرفع أو الجر - كما نقول في علم النحو - إحدى وثمانين مرّة، وحكيماً ست عشرة مرّة، وردت (الحكيم) إحدى وثمانين مرّة، منها خمس مرّات وصف للقرآن الكريم؛ لأن القرآن أيضاً كلام الله، فهو حكيم من حكيم، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿كُنْتُ أُحْكِمَتُّ أَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هود: ١]، قلنا: هو الحكيم في أقواله. ومن أعظم أقواله القرآن، ختام كلمات الله التي أنزلها الله على رسله: تمثلت في القرآن الكريم.

والقرآن الكريم كتاب حكيم، ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس: ١، لقمان: ٢]، ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ [يس: ١، ٢]، ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤]، ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٥٨]، فالقرآن حكيم، وتنزيل من حكيم، وهو أبلغ الدلالات على أن منزله حكيمٌ عليم.

حكمة الله في الخلق:

الله سُبْحَانَهُ حكيمٌ فيما خلق، وحكيمٌ فيما أمر، كل ما خلقه الله تعالى في هذا الكون يدل على أن خالق هذا الكون حكيم، في أعلى مراتب الحكمة، لا يمكن أن تعترض على شيء في هذا الكون.

انظر إلى الأرض التي نعيش عليها خلقها الله مكورة، لم يخلقها جسمًا مربعًا أو مكعبًا، وإلا كانت لها ست عشر حافة فيقع الناس منها، فلم يُعَرِّضْنَا اللهُ لهذا، بخلاف الجسم المكور، خصوصًا إذا كان جسمًا كبيرًا، فهو مكور في حقيقته، مبسوط في نظر الذين يعيشون عليه، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩، ٢٠]، خلق الله هذه الأرض ذلولًا، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥].

ولو كانت هذه الأرض كلها قطعًا ذهبية فماذا نفعل بها؟ هل سنأكل الذهب؟ لا ينفعنا الذهب، إنما ينفعنا التراب والماء والهواء، وهذه كلها مخلوقة بقدر، تصور مكونات الهواء جعلها الله بنسب محددة، لو نقصت أو زادت على ما هي عليه: لا تقوم الحياة على الأرض، حوالي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية مياه نحن محتاجون إليها.

علاقة المملكة النباتية والحيوانية:

وهناك صفقة معقودة بين المملكة الحيوانية والمملكة النباتية، النبات يتنفس ثاني أكسيد الكربون وهو سام بالنسبة لنا فنفرزه، ونحن نستنشق الأكسجين الذي يفرزه النبات، فنحن نحتاج ما يفرزه النبات، والنبات يحتاج إلى ما نفرزه، مَنْ الذي عمل هذا التبادل؟ نحن لم نعمل هذا، ولا النبات عمل هذا، الله هو الذي صنع هذا كله!

كل شيء عنده بمقدار:

لو كانت الأرض أقل ممّا هي عليه لما قامت عليها الحياة؛ لأن الشمس لن تتسلط عليها بالقدر الكافي، ولو كانت أكبر كانت الشمس ستتسلط عليها بقدر كبير خصوصاً إذا كانت قريبة منها تحترق من ناحية، وتموت من الناحية الأخرى، بسبب البرد.

كل شيء لو نظرت إليه تجده بمقدار، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨]، ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٥-٧]، هناك ميزان كوني لكل شيء، الله هو الذي فعل هذا كله.

خلق الله الإنسان، وخلق له ما يعيش به، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ١٠]. ثم قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]. أي قبل أن يخلقكم هيئاً لكم معاشكم في هذه الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]. هيئاً الرزق في هذه الأرض.

صاح بعض الاقتصاديين في وقت من الأوقات صحيحة نذير، أنّ الناس يوشكون على الهلاك، وهو الاقتصادي الشهير (مالتوس)، وكان من المتشائمين، وقال: إنّ الناس تزيد بمتوالية هندسية (١، ٢، ٤، ٨، ١٦) وهكذا، والأشياء تزيد بمتوالية عددية (١، ٢، ٣، ٤، ٥) وهكذا، فلا يوجد تناسب بين الزياتين، فيوشك العالم أن يهلك.

ولكن ثبت أنّ هذا ليس صحيحًا، لأنّ الله ﷻ يُهيئ للناس أن يزيدوا الإنتاج بطرق مختلفة، وأن يكتشفوا طاقات وثروات مذكورة في البر والبحر، الله يشرف بحكمته على هذا الكون، كل شيء في هذا الكون بمقدار.

من لطائف حكمة الله تعالى:

يحكون قصّة لطيفة: أن رجلاً فلاحًا كان يجلس مع ابنه في الحقل، وكان ابنه متعلمًا بعض الشيء وأصبح يجادل في كل شيء، فقال لأبيه: هذه الدنيا غير منظمة. فقال له الأب: لم يا بني، وقد خلقها الله ونظمها؟ قال الابن: انظر هذه النخلة الكبيرة العالية تثمر تمرًا وهو صغير، بينما هذه النبتة الصغيرة على الأرض تثمر بطيخًا وهو كبير؛ ألم يكن الأولى أن يكون الأمر بالعكس؟ فقال الأب: لا بدّ يا بني أن يكون لله حكمة في ذلك. فما لبثا حتّى سقطت ثمرة على رأس الولد، فقال له أبوه: يا بني، احمد الله أنّها لم تكن بطيخة فكنت تؤذى!

وكم لله من سرّ خفيّ يدقّ خفاه عن فهم الذكيّ^(١)

(١) ينسب لسيدنا علي بن أبي طالب، كما في الديوان المنسوب إليه ص ١٥٤، تحقيق د. عبد المنعم خفاجي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

فكلُّ شيءٍ في هذا الكون بمقدارٍ وبقدر، ليس فيه شيءٌ جاء عبثاً أبداً، ربّما يخفى علينا وجه الحكمة، ولكن نحن نؤمن بأن الله تعالى حكمة بالغة.

وذكر الإمام الغزالي أن جماعة كانوا في سفر، وكان معهم شيخ يقول لهم: إن الله حكمة في كل شيء، علمها من علمها، وجهلها من جهلها. وكان معهم حمار وكلب وديك، فمات الحمار فضجروا وقالوا: لقد كان يحملنا ويحمل أمتعتنا. فمات الكلب، فضجروا وقالوا: لقد كان يحرسنا ويحرس أمتعتنا. ومات الديك فضجروا أيضاً، فقال لهم الشيخ: لله حكمة في ذلك. ثم ساروا في طريقهم فوجدوا جماعة مقتولين، فسألوا: ما هؤلاء؟ ف قيل لهم: قتلهم اللصوص وقطاع الطريق، فهم إذا سمعوا نهيق حمار، أو نباح كلب، أو صياح ديك يعرفون طريق القافلة؛ فيهجمون على أصحابها، ويسلبونهم أمتعتهم ويقتلونهم. فقالوا: الحمد لله، نجانا الله بموت الحمار والكلب والديك^(١). فقد تخفى على الإنسان كثير من أسرار الله وحكمه في الكون.

كنت منذ ربع قرن ألقى محاضرة في جامعة عمّان، وأنا في المحاضرة بدأ الثلج ينزل، فقال بعضهم: ينبغي أن ينهي الشيخ المحاضرة قبل أن يتكاثف الثلج ويقطع الطرق. فكلّموني فقلت لهم: أنا لا أقطع المحاضرة، أستم من هذه الجامعة؟ قالوا: نعم. قلت: يجري عليّ ما يجري عليكم. وأنهيت المحاضرة، وبدأ الثلج يتكاثر فحُبسنا، السيارات بالآلاف في الطريق لا تستطيع أن تتحرك، ودخل علينا الليل، فلم نستطع أن نفعل شيئاً، وخشينا أن ينفذ بنزين السيّارة، فقد كنا نشغلها حتّى نتدفأ، وظللنا هكذا حتّى دخل

(١) إحياء علوم الدين (٣٤٩/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

الجيش وقوات الشرطة والدفاع المدني، وبدؤوا يزيحون الثلوج، فكنا عالقين حتّى انتهوا، وكنت معزومًا في اليوم التالي على الغداء، فلا أدركنا غداء ولا عشاء، اعتبرت هذه بلوى، وإذا بي أجد الناس في عمّان مسرورين غاية السرور بهذا الثلج، مصائب قوم عند قوم فوائد، قالوا: لا، بل هذه الثلج نعمة ورحمة من الله، إنّه يغسل الأرض ويطهرها، ويملاً الآبار الجوفية، ويقتل الحشرات، ويعمل كذا وكذا. فإذا وراء هذه النعمة الظاهرة نعمة باطنة، فله في كل شيء حكمة قد نعرفها وقد لا نعرفها.

الحكمة في محنة يوسف ﷺ :

انظر إلى قصة سيّدنا يوسف ﷺ ، سيّدنا يوسف أصابه ما أصابه، خرج من محنة إلى محنة، من محنة إخوانه الذين حسدوه على حب أبيه له، وأرادوا أن يقتلوه، فنصحهم بعض إخوانه العقلاء: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَقْوَاهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [يوسف: ١٠]. وجاء بعض السيّارة والتقطوه، ﴿وَشَرَّوهُ بِشَمِّ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف: ٢٠]، باعوه لعزير مصر، وتعرض بعدها لمحنة امرأة العزيز، وبعدها لمحنة دخول السجن، من محنة إلى محنة، ولكن عرفنا بعد ذلك أن وراء ذلك حكمة بالغة، أن مصر ستعرض لمجاعة ماحقة، تصيب مصر والبلاد التي حولها، وكانت في حاجة إلى رجل يقود البلاد في ساعات العسرة، وفي أيام المحنة، وزمان المجاعة، فكان يوسف هو رجل الموقف، رجل المعركة.

وضع يوسف ﷺ خطة زراعيّة تموينيّة اقتصاديّة خمس عشريّة، أنقذ الله بها مصر، ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شدادٍ يأكلن ما قدّمتم لهنّ إلا قليلاً ممّا تحصننّون ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ٤٧ - ٤٩]، خمسة

عشر عامًا، فأنقذ مصر وما حول مصر، لأنَّ أهل فلسطين كانوا يأتون أيضًا إلى مصر، كأنَّ وراء هذه المحن المتتالية حكمة خافية، تأتي سيّارة فتأخذه وتنقله من بلد إلى بلد، ما كان إخوته حين خرجوا ليلقوه في الجب يظنون أن ينتهي به الحال إلى مصر، وأن يشتريه عزيز مصر، وأن تقع امرأته في حبه، وأن تكيد له، وأن تدخله السجن، وأن يتعرف على ناس من القصر ممّن يعايشون الملك، وأن يعرفوا بأمر معرفته بتعبير الرؤى، وكان من وراء ذلك أن فسّر رؤيا الملك، وكان تفسيرًا وتخطيطًا في ذات الوقت، يفسر ويذكر ما ينبغي أن يفعل، وأشرف هو على هذه الخطة، مَنْ كان يعلم أن هذا سيكون؟ فله سُبْحَانَ اللَّهِ حِكْمٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ تَخْفَى عَلَى الْكَثِيرِينَ.

وربما يتعجّل بعض الناس ويقول: أي حكمة في هذا الأمر؟ لا بدّ من حكمة بالغة في كل شيء، حتّى في المصائب التي تنزل بالناس: الكوارث الفرديّة، والكوارث الاجتماعيّة، كل هذه وراءها حكم، ربّما لا ندركها الآن، لكن بعد مدة تتّضح للناس.

ما خلق الله شيئاً إلا بحكمة:

الله حكيمٌ في كل ما خلق، لا يخلق شيئاً باطلاً، ولذلك القرآن يحكي لنا عن أولي الألباب فيقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]. هذا الكون بسماواته وأرضه لم تخلقه باطلاً، لا.

بعض الناس يظن أن هذا الكون خلق وسينتهي: أرحام تدفع، وأرض تبلع، ولا شيء بعد، هذا هو الباطل الذي يتنزه الله تعالى عنه، ولذلك

قال ﷺ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

وجود الدار الآخرة من حكمة الله:

لأنَّ الذين كفروا هم الذين يزعمون أنَّ هذا الكون سوق سينفض، ويذهب كلُّ لحاله، وقد قتل القاتل، وظلم الظالم، وفسق الفاسق، وتنعم المتنعم، ولم يأخذ المظلوم حقه من الظالم، ولم يأخذ الخير أجره على ما قدمه من خير.

هؤلاء الذي استشهدوا في سورة البروج، خدُّوا لهم الأخاديد، وشقُّوا لهم الشقوق، ورموهم في النار، ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، كيف يكون العدل مع هؤلاء إذا لم يكن هناك دار آخرة تُوفِّي كل نفس فيها ما كسبت، وتُجزى بما عملت، إنَّ خيرًا فخير، وإنَّ شرًّا فشر؟ فالله ﷻ يقول: إِنَّ الْكُفَّارَ هُمُ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا الْبَاطِلَ. ثُمَّ يَقُولُ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. لا يستويان، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، لا نسوي بين المحسن والمسيء، وبين البر والفاجر، وبين الصالح والطالح، لا يتفق هذا مع عدل الله ومع حكمته ﷻ.

من الباطل إذن أن يُظن أن الله خلق هذا الكون ويفنى وينتهي الأمر، لا هذا عبث، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينًا﴾ ما خلقنهما إلا بالحقِّ ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون ﴿[الدخان: ٣٨، ٣٩]. والحق أن تُجزى كل نفس بما كسبت، فالله تعالى لم يخلق شيئًا باطلاً، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ﴾.

شريعة الله ليست عبثًا:

وكما أنه **عَجَلٌ** لا يخلق شيئًا باطلاً لا يشرع شيئًا عبثًا، فهو حكيمٌ فيما خلق، وحكيمٌ فيما شرع، ولذلك فإن شريعة الله تدل على أنها من عند الله، شريعة القرآن تدل على أنها شريعة حكيم عادل.

هذه الشريعة التي جاء بها مُحَمَّدٌ ﷺ تحقق كل خير للبشرية في دينهم ودنياهم، في أولاهم وأخراهم، أفرادًا وأسرًا ومجتمعاتٍ ودولًا، كل هذا تشمله الشريعة الغراء؛ إذا أحسنًا فهمها وأحسنًا تطبيقها.

وكما قال الإمام ابن القيم **رَحْمَةُ اللهِ**: إنَّ الشريعة عدل كلها، ورحمة كلها، وحكمة كلها، ومصالح كلها، وإنَّ كل مسألة فيها خرجت من الحكمة إلى العبث، ومن العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى ضدها، ومن المصلحة إلى المفسدة، فليست من الشريعة في شيء، وإن أُدخلت فيها بالتأويل^(١).

شريعة الله فيها كل العدل، وكل المصالح، ولكنها مصالح متوازنة، نحن ننظر إلى المصلحة المادية، وننسى المصلحة الروحية، نحن ننظر إلى المصلحة النفعية، ونغفل الجانب الأخلاقي، ننظر إلى المصلحة الفردية، ولا تهتمُّنا المصلحة الجماعية، ننظر إلى المصلحة الآنية، ولا تهتمُّنا المصلحة المستقبلية.

الذي يوازن بين المصالح كلها، مادية وروحية، ونفعية وأخلاقية، وفردية وجماعية، ودنيوية وأخروية، هو الله **عَجَلٌ**، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

(١) إعلام الموقعين (١٢/٣).



اعتراضات باطلة على الشريعة:

لقد رأينا بعض البشر يعترض على شريعة الإسلام، اعترضوا على أن الإسلام يشرع الطلاق، وكانوا يعيبون على الإسلام بهذا، لأن المسيحية تمنع الطلاق، إما منعًا كليًا كالكاثلوك، وإما يجوز للرجل أن يطلق امرأته إذا ثبت أنها تزني.

ثم انتهت البشرية الآن والأوروبيون والمسيحيون بكل مذاهبهم: إلى إباحة الطلاق، وإباحته لأدنى شيء وأتفه الأسباب؛ لأنه نهر كلبها مثلاً، فتطلب الطلاق، والمحكمة تعطيها الحق في الطلاق، أي أنهم انتقلوا من التفريط إلى الإفراط، وهكذا!

عابوا على الشريعة أنها تسمح بتعدد الزوجات، مع أنهم عددوا بالفعل، لم يعددوا الحليلات؛ لكنهم عددوا الخليلات، فهو تعدد لا أخلاقي ولا إنساني ولا مسؤول، يمكن أن يعاشر امرأة، ويأتي منها بطفل، ولا يعترف به!

قال أحد الخواجات مرّة لأحد القطريين، وكانت بينهما مودة: كم عاشرت مع النساء؟ قال: عندي زوجتان. فقال: اثنتان فقط؟! قال: نعم، هناك من عندهم واحدة. فقال له الخواجة: أمّا أنا فقد عاشرت أكثر من ثلاثين امرأة، ولا زال الباب مفتوحاً. فهم يعددون، ولكن هذا التعدد لا يتحملون معه أي مسؤولية أخلاقية، أو مالية أو اجتماعية.

عابوا على المسلمين أنهم يُحرمون الربا، وانظر كيف آل أمرهم في النهاية إلى الأزمة التي عصفت بالعالم، وأصبحت لها آثارها في المشارق والمغرب، وعلى كل مستوى، سببها عدم تحريم الربا، وعدم تحريم الغرر، وعدم ضبط المعاملات كما يفعل الإسلام، الإسلام يمنع الظلم،

ويمنع الغش، ويمنع الغرر، ويمنع أي نوع من الخداع، ويريد أن تقوم الحياة الاقتصادية على الأخلاق.

هم عندهم الاقتصاد منفصل عن الأخلاق، كما أن السياسة عندهم منفصلة عن الأخلاق، كما أن الحرب عندهم منفصلة عن الأخلاق، أمّا عندنا فالأخلاق في كل شيء، ليس عندنا نظرية (الغاية تُبرّر الوسيلة)، عندنا لا بدّ من الغاية الشريفة والوسيلة النظيفة، لا بدّ أن تكون الغاية أخلاقية، والوسيلة أخلاقية، لا نصل إلى الحقّ بطريق الباطل، ولا نصل إلى الحلال بطريق الحرام، «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(١)، الشريعة الإسلامية تمثل حكمة الله ﷻ، وعدل الله ﷻ.

الله غني عن خلقه:

فالله هو الحكيم فيما خلق، وهو الحكيم فيما شرع، إنّه لا يريد شيئاً لنفسه، الله غني عن عباده، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، ولذلك يشرع ما يشرع، ويأمر بما يأمر، وينهى بما ينهى لمصلحة الخلق، لمصلحتنا نحن، ليس لمصلحته ﷻ، فهو يريد أن يُزكي أنفسنا، ويُسعد أسرنا، ويُصلح مجتمعنا، ويقيم دولنا وعلاقاتنا الدولية على العدل، وعلى الحق، وعلى الخير.

هذا ما جاءت به شريعة الإسلام، شريعة العزيز الحكيم، أو العليم الحكيم، كثيراً ما يذكر القرآن العلم والحكمة، والعزة والحكمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، عزيز لا يذل من التجأ إليه، وحكيم لا يضع من وثق بتدبيره.

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

يقول الله ﷻ لرسوله: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ * وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿[الأنفال: ٦٢، ٦٣]. انظر ذكر هنا العزة: القوّة والغلبة التي تؤلف بين القلوب، وذكر الحكمة أيضًا، فمن الحكمة أن تؤلف قلوب المؤمنين لتقف كتلة واحدة في وجه الفئة الكافرة والفاجرة.

وحينما يسأل الله سيّدنا عيسى ﷺ يوم القيامة: ﴿أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿[المائدة: ١١٦ - ١١٨].

لم يقل هنا: فإنك أنت الغفور الرحيم. لأن الموقف هنا يقتضي أن يذكر العزة مع الحكمة، فهؤلاء كفروا به وأشركوا به، فقال: أنت العزيز الحكيم، أنت صاحب القوّة والقدرة وتفعل ما تشاء، وأنت أيضًا الحكيم الذي يغفر لمن يستحق المغفرة، ويحرم منها من لا يستحقها، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

حُطُّ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ اسْمِ اللَّهِ الْحَكِيمِ:

ذكرت لكم من قبل أن للإمام الغزالي كتاب اسمه (المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى)، شرح فيه كل اسم من الأسماء التسعة والتسعين؛ بناء على الحديث المعروف، وبعد شرح كل اسم يقول: ما حُطُّ الْعَبْدِ مِنْ هَذَا الْاسْمِ؟ لأن المفروض أن نتخلق بأخلاق الله فيكون لنا نصيب من كل اسم من هذه الأسماء، فما نصيبنا من اسم (الحكيم)؟

نصيبنا من اسم الحكيم أن نتحلّى بالحكمة في أقوالنا وأفعالنا وسائر تصرفاتنا، نكون حكماء مع أنفسنا، حكماء مع أهلينا، مع أولادنا، مع جيراننا، مع أصدقائنا، مع خصومنا، نكون حكماء لا سفهاء، لا نتصرّف تصرّف الطائشين.

الله ﷻ مَنْ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ رِسَالِهِ بِأَنَّهُ آتَاهُمُ الْحِكْمَةَ، قَالَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَاتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، وَقَالَ عَنْ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَعَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وَقَالَ عَنِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران: ٤٨]. وَقَالَ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وكان من مهمّة محمد ﷺ، كما ذكرها القرآن في أربع آيات أن يعلم أمته الحكمة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وكما قال ﷺ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال الله تعالى لأمّته المؤمنين نساء النبي: ﴿وَأذْكُرَكُنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]. وهكذا بيوت المؤمنين تُتلى فيها آيات الله والحكمة؛ لأنّ القرآن كله حكمة، وأحاديث النبي ﷺ كلها حكمة.

المسلم إذن حكيم، يقتبس من حكمة الله تعالى ما يستطيع، ويتعلّم

من حكمة رسول الله ﷺ الذي كان أحكم الناس في السلم وفي الحرب، في الشدة وفي الرخاء، في الغنى وفي الفقر، في اليسر وفي العسر، كان حكيماً لا يتخلى عن الحكمة، وهذا هو شأن الإنسان المؤمن.

والحكمة ليست مجرد كلام أو (فهلوة)! بل الحكمة أن تضع كلَّ شيء في موضعه بعد العلم، فكثيراً ما يقول القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء: ١١]، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧١]. فالحكمة تكون بعد علم، بعد دراسة، حتى لا تتوه عن الحقيقة، ولا تضل عن الطريق، ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، وإذا لم تؤت الحكمة سرت مسير السفهاء والطائشين والحمقى، وقد قال الشاعر:

لكلِّ داءٍ دواءٌ يُستطبُّ بهِ إلا الحماقَةَ أعيتَ مَنْ يُداويها^(١)
لكلِّ داءٍ دواءٌ إلا الحماقَةَ؛ فلا دواء لها.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الحكمة، وأن يجعلنا من الحكماء، وأن يفقهنا في كتابه وفي سنة رسوله، اللهم آمين، ادعوا الله يستجب لكم.

(١) ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد ولم ينسبه (٢٢٦/٢)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،



الملك (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

منذ أشهر ونحن قد حصرنا أنفسنا في الحديث عن موضوعات القرآن الكريم، هذه الموضوعات التي لو عشنا عمرنا - وأنا أقصد عمر الشباب منكم، وليس عمري القصير الباقي - لو عاش شاب عمره يخطب في موضوعات القرآن الكريم ما استطاع أن يتحدث إلا عن القليل منها.

بدأنا نتحدث عن موضوعات العقيدة، فالعقيدة مُقَدِّمَةٌ عَلَى الْعَمَلِ، وبدأنا نتحدث في موضوعات العقيدة عن الإلهيات، فمن المعروف أنَّ العقيدة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: إلهيات، ونبوات، وسمعيّات. وبدأنا هذه الإلهيات بالحديث عن أسماء الله الحسنى، وتحدثنا عن عدد من هذه الأسماء الحسنى، التي يقول الله تعالى فيها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٥ فبراير ٢٠١٠م.

واليوم نتحدّث عن اسم من هذه الأسماء الحسنی، الّتي جاء بها القرآن العظيم، وهو اسم (الملك)، ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، هو الملك بإطلاق، والملك بكمال الملك وشموله، وسعته ودوامه، هو الملك، ومَنْ عداه، وما عداه ليس ملكًا حقًّا.

ملوك الدنيا ملكهم ناقص وزائل:

عرف الناس في الدُّنيا ملوكًا، ولكن ملكهم ناقص، وملكهم ضعيف، وملكهم زائل؛ إِنَّمَا الْمَلِكُ الَّذِي وَسَعَتْ مَمْلَكَتَهُ كُلَّ شَيْءٍ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ.

كانت هناك مملكة في سبأ، قال هدهد سليمان عنها: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]. ولكنها كانت مملكة محدودة في سبأ في أرض اليمن، والكلية في الآية نسبيّة، والمعنى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يؤتاه الملوك.

وكان هناك ملك مصر الذي قال للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. وقال مفاخرًا بملكه: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]. ولكن ما هو ملك مصر؟ مصر مليون كيلو متر مربع، مصر جزء من إفريقيا، وإفريقيا جزء من الكرة الأرضيّة، والكرة الأرضيّة جزء من المجموعة الشمسيّة، وهذه المجموعة هي إحدى ملايين المجاميع فيما يسمونها (المجرّة)، وهذه المجرّة هي إحدى ملايين المجرّات.

كل ملوك الدُّنيا ممالكهم ضئيلة جدًّا، ليست في سعة ملك الله، الله تعالى يقول: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. والعرش أعظم من الكرسي، لأنّه أعظم المخلوقات.

الله تعالى صاحب الملك الواسع الكامل:

والله تعالى يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. إذا كان عرضها السماوات والأرض؛ فما بالك بطولها؟!!

والله تعالى يقول: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيِّدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]. الملك يتوسّع ويتمدد، ولذلك نقول بعد الارتفاع من الركوع: «ربنا ولك الحمد، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد»^(١). هناك بعد السماوات والأرض ملك واسع.

وصاحب هذا الملك الواسع هو الله، هو الملك، هو مالك الملك، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]، ﴿فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. الله هو الملك، هو وحده صاحب الملك الواسع.

وهو وحده صاحب الملك الشامل، يشمل المخلوقات جميعًا: صامتة وناطقها، مكلفها وغير مكلفها، عاقلها وغير عاقلها، سليمان آتاه الله ملكًا كما سأل ربه: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي﴾ [ص: ٣٥]. ولكنه كان ملكًا محدودًا في أرض فلسطين، ولم يملك كل فلسطين، لم يملك بنو إسرائيل كل فلسطين في وقت من الأوقات، هناك أجزاء لم

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٧)، وأحمد (١١٨٢٨)، عن أبي سعيد الخدري.



يملكوها، ثم حشر الله تعالى لداود من الجنود من الجنّ والإنس والطيور، ولكن داود لم يتحكّم في الأحياء المائيّة في البحار، لم يتحكّم في الزواحف، لم يتحكّم في الملائكة في السماوات، فكان ملكه محدودًا غير شامل، الله وحده هو الذي يملك الملك الواسع والشامل.

وهو وحده صاحب الملك الكامل، ما معنى الكامل؟ الملوك يملكون ظواهر الناس، ولكنهم لا يملكون بواطنهم، وربما يذهب الشخص إلى الملك ويمدحه ويثني عليه؛ وهو يكرهه ويلعنه في داخله، ولذلك قالوا: نحن نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر. فملوك العالم لا يملكون سرائر الناس، إنّما الذي يملك الظواهر والبواطن، ويملك الجوارح والقلوب هو (المَلِك) الذي ينفرد بوحداية المُلِك، وهو الله تبارك وتعالى.

حاجة ملوك الدنيا لله:

ثم أي ملك في الدنيا تُقاس قوّته بما عنده من جند، وما يملك من قوّة، وهو في الوقت نفسه في حاجة إلى هؤلاء الجند وإلى قادتهم، لا يستغني عنهم، والملك الحقيقي هو الذي يستغني عن الغير، ويحتاج إليه الغير، وليس ذلك إلاّ الله، هو الذي يستغني عن كل من سواه، ويحتاج إليه كل من سواه.

أروني أي ملك في العالم لا يحتاج إلى الطعام الذي يُغذّيه، وإلى الشراب الذي يرويه، وإلى المسكن الذي يؤويه، وإلى الطيب الذي يداويه، وإلى الهواء الذي يستنشقه، وإلى الشمس التي يشرق عليه ضياؤها، وإلى... وإلى... إنّه محتاج في كل حياته.

الغنيُّ الحقيقيُّ هو الله وحده، هذا هو صاحب المُلْك المطلق، والغنيُّ المطلق، والقوَّة المطلقة، انظر قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. كل شيء في الكون يمكن أن يكون جنديًا لله ﷻ، يُسخره الله فيما يشاء، وجنود الملوك محدودون، لا يستطيعون أن يفعلوا كل ما يريدون، هناك جند أقوى منهم.

ملك الله دائم لا يزول:

الله ﷻ هو الملك الحقُّ، ومن مُلكه الحقُّ أن ملكه دائم، ليس هناك ملك يدوم مُلكه، ولذلك قال بعض الوعاظ لبعض الملوك: لو دامت لمن قبلك لم تصل إليك. إنّما وصلت إليك عن طريق الملك الزائل، وأنت مثله، كل الملوك زائلون، إمّا أن يزول مُلكه عنه بتغلُّب متغلَّب أو نحو ذلك، وإمّا أن يزول هو عن هذا المُلْك بالموت، هذه هي النهاية.

ولذلك قالوا: إنّ هارون الرشيد، وهو من الملوك الذين اتَّسع مُلكهم في هذه الدُّنيا، مثل ذي القرنين، والإسكندر الأكبر، ونابليون، كان أيضًا ذا مُلك العظيم، قال للسحابة: شرِّقي أو غربي، وأمطري حيث شئتِ فسيأتيني خراجك^(١). ينزل المطر في بلاد المسلمين فيأتي زكاة لبيت المال، وينزل في بلاد غير المسلمين فيأتي خراجًا لبيت مال المسلمين. مرض هارون الرشيد، فقال لهم: أعطوا بولي للطبيب ولا تقولوا له: إن هذا لهارون. ففحص الطبيب الأبوال وقال لهم: قولوا لصاحب هذا البول: استعد للقاء الله. فأخبروا هارون فأنشد يقول:

(١) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (٢٨٥/٣)، نشر دار الكتب العلمية،

إِنَّ الطَّيِّبَ لَهُ عِلْمٌ يُدِلُّ بِهِ مَا دَامَ فِي أَجْلِ الْإِنْسَانِ تَأْخِيرٌ
حَتَّى إِذَا مَا انْتَهتْ أَيَّامُ مُهَلَّتِهِ حَارَ الطَّيِّبُ وَخَانَتْهُ الْعَقَاقِيرُ^(١)
ثم جاءه الموت فكان يتقلب ويقول: ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ هَلَكَ عَنِّي
سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٨، ٢٩]^(٢). ذهب المال، وذهب السلطان.

وكان ابنه عبد الله المأمون في مرض موته يبتهل إلى الله ويقول:
يا مَنْ لَا يَزُولُ مَلِكُهُ، اِرْحَمْ مَنْ قَدْ زَالَ مَلِكُهُ^(٣). كل الملوك زائلون، وكل
ملك زائل، (ارحم مَنْ زَالَ مَلِكُهُ) هكذا كان يقول الملوك.

وقد روى أَنَّ سَلِيمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَّ بِمَوْكِبِهِ مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ
وَالطَّيْرِ؛ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَلَاحَ فِي حَقْلِهِ يَبْذُرُ الْحَبَّ، وَيَرْجُو الثَّمَرَ مِنَ الرَّبِّ،
نَظَرَ إِلَى هَذَا الْمَلِكِ، وَسَلِيمَانَ عَلَى بَسَاطِ الرِّيحِ فَقَالَ: يَا ابْنَ دَاوُدَ، لَقَدْ
آتَاكَ اللَّهُ مُلْكًا عَظِيمًا. فَسَمِعَ سَلِيمَانَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَتَسْبِيحَةٌ فِي
صَحِيفَةٍ مُؤْمِنٍ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ ابْنُ دَاوُدَ؛ فَإِنَّ مَا أُوتِيَ ابْنُ دَاوُدَ يَزُولُ
وَيَفْنَى، وَالتَّسْبِيحَةُ فِي صَحِيفَةِ الْمُؤْمِنِ تَبْقَى^(٤). كل ملك زائل إلا ملك
الله وَعَلَيْهِ، هُوَ الْمَلِكُ، ﴿لَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ
الَّذِينَ﴾ [الإسراء: ١١١].

(١) ذكرهما المناوي بلفظ مشابه في فيض القدير (٢٥٦/٢)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر،
ط ١، ١٣٥٦هـ.

(٢) ذكره عبد الحق الإشبيلي في العاقبة في ذكر الموت ص ١٢٨.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي (٣٥١/٥)، تحقيق أ. د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي،
ط ١، ٢٠٠٣م.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٣/٢)، عن أبي عمران الجوني، نشر دار الكتب العلمية،
بيروت، ١٤٠٩هـ.

مالك الدنيا والآخرة:

ثم يمتاز مُلْكُ الله وَحْدَهُ أَنَّهُ مَلِكٌ فِي الدَّارَيْنِ: فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَفِي دَارِ الآخِرَةِ؛ بَلْ قَدْ يَوْجَدُ فِي الدُّنْيَا مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مَلِكٌ، وَأَنَّهُ يَنَازِعُ اللهَ مُلْكَهُ! وَلَكِنْ فِي الآخِرَةِ لَا يَوْجَدُ أَحَدٌ يَدَّعِي أَنْ لَهُ مُلْكًا فِي هَذِهِ الدَّارِ، هُوَ المَلِكُ وَحْدَهُ، وَلَا مَلِكٌ غَيْرُهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ وَحْدَهُ فِي غَيْرِ قِرَاءَةِ حَفْصٍ: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) [الفاتحة: ٤]، وَفِي قِرَاءَةِ حَفْصٍ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. وَهُوَ المَلِكُ وَالمَالِكُ فِعْلًا فِي هَذَا اليَوْمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، ﴿يَوْمَ هُمْ بَدْرُؤٌ لَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ﴾ [غافر: ١٦]. أَيْنَ فِرْعَوْنُ؟ وَأَيْنَ نَمْرُودُ؟ وَأَيْنَ مَدْعُو الأَلُوهُيَّةِ وَالرَبُوبِيَّةِ؟ ﴿لِمَنِ المُلْكُ اليَوْمَ لِلَّهِ الوَّاحِدِ القَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

الله وَحْدَهُ هُوَ المَلِكُ فِي هَذَا اليَوْمِ، لَا أَحَدٌ يَنَازِعُهُ، هُوَ الَّذِي يَحَاسِبُ عِبَادَهُ وَيَجْزِيهِمْ ثَوَابًا وَعِقَابًا، وَجَنَّةً وَنَارًا، وَلَا يَمْلِكُ أَحَدٌ لِأَحَدٍ شَيْئًا، يَوْمَ القِيَامَةِ يَوْمَ الأَنَانِيَّةِ المَطْلُوقَةِ، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦]، كُلُّ وَاحِدٍ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي.

مَلُوكُ الأَرْضِ الظَّالِمُونَ المَتَكَبِّرُونَ يَدُوسُهُمُ النَّاسُ كَمَا يَدُوسُونَ الذَّرَّ، وَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ المَلِكُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]. هُوَ المَلِكُ الدِّيَانُ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، يَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَيُوفِّيهِمَا مَا عَمَلَتْ، لَا يَضِيعُ عِنْدَهُ عَمَلٌ عَامِلٌ، وَلَا كَسْبٌ كَاسِبٌ، ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، هُوَ الَّذِي يَمْلِكُ الدَّارَيْنِ.

الله هو الملك، وهو المليك، أحياناً يقول الله تعالى في كتابه: ملك. وأحياناً يقول: مليك. كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

حظ العبد المؤمن من اسم الله الملك:

يأتي الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ غالباً بعد شرح كل اسم ويقول: ما حظ الإنسان أو المُكَلَّف أو العبد من هذا الاسم؟ هذه أسماء حُسنَى، أي كمالات عليا، والمطلوب من الإنسان أن يأخذ حظّه من هذه الكمالات؛ تخلّقاً بأخلاق الله تبارك وتعالى، فهي محامد عظيمة، وكمالات عظيمة، فما حظ الإنسان المؤمن المُكَلَّف من اسم الله (الملك)؟

اسم الملك كما قلنا يُنبئ عن الغنى، ويُنبئ عن القوّة، ولذلك ينبغي أن يكون حظ المؤمن من هذا الاسم أن يكون قوياً بإيمانه، قوياً بعزمه، قوياً في طاعته، قوياً على الخير، قوياً على مقاومة الشر، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خيرٍ»^(١). لكن المؤمن القوي أحبُّ لأنّه اقتبس حظّه من هذا الاسم (الملك)، وحظه من اسم (القوي المتين).

ثم اقتبس حظّه من الغنى الذي يُمثله الملك، الغنى بالقناعة، إنّه لا يستطيع أن يستولي على ما يشاء من ذهب الأرض وفضّته، إنّما يستطيع أن يستغني عن أشياء كثيرة، وكلما استغنى عن شيء كان ملكاً في هذه الناحية.

ولذلك ذهب بعض المريدين إلى بعض الشيوخ يقول له: أوصني. فقال له: كن ملكاً في الدارين. قال: وكيف لي بذلك؟ قال: اقطع طمعك عن الناس، وشهوتك عن الدُّنيا: تكن ملكاً في الدارين.

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

وكما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»^(١). إذا رضيتَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وكما قال الشاعر أبو فراس:

إِنَّ الغنيَّ هو الغنيُّ بنفسِهِ ولو أنه عاري المناكبِ حافٍ
ما كلُّ ما فوقَ البسيطةِ كافيًا وإذا قنعتَ فبعضُ شيءٍ كافٍ^(٢)

القناعة هي التي تجعلك غنيًا متعزِّزًا لا تنحني لأحد، ولا تذل نفسك من أجل لقمة العيش، لأنك تعلم أن الله ضامنٌ لها لك، وأن ما لك سوف يأتيك، وأن الرزق والأجل بيد الله ﷻ، فهذا يعطيك قوَّة فوق قوَّة الملوك، كما رووا عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ نظر إلى الجبال والآبار، وقال:

أمطري لؤلؤًا جبالَ سَرَنديب بَ وفيضي آبارَ تبريزَ تبرًا
أنا إن عشتُ لستُ أعدمُ قوتًا وإذا متُّ لستُ أعدمُ قبرًا
همَّتي همَّةُ الملوكِ ونفسي نفسُ حرٍّ ترى المذلَّةَ كُفْرًا
وإذا ما قنعتُ بالقوتِ عمري فلماذا أهابُ زيدًا وعمراً^(٣)

هذه هي القوَّة التي نأخذها من اسم الملك، كُن ملكًا في هذه الدُّنيا. وقد قال الزاهد المعروف إبراهيم بن أدهم، وهو يعيش مع إخوانه الزاهدين، فقد ترك إمارة أبيه، وخرج إلى بلاد الشام يعمل في حصاد

(١) رواه أحمد (٨٠٩٥)، وقال مخزَّجوه: حديث جيد. والترمذي في الزهد (٢٣٠٥)، وقال: حديث غريب. عن أبي هريرة.

(٢) انظر: ديوان أبي فراس الحمداني ص ٢٢٣، شرح خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

(٣) انظر: صفحات من صبر العلماء لأبي غدة ص ٥٠، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ٢، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

الحقول وهذه الأشياء، يؤجر نفسه بالنهار في العمل، ويقوم الليل وهو وإخوانه، كانوا يعيشون هذه العيشة البسيطة الجاهدة المجاهدة الزاهدة، يقول كلمته المعروفة: إننا نعيش في سعادة لو علم بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف^(١). نعيش عيشة نشعر فيها بأننا سعداء، وهذه السعادة لا يشاركنا فيها أحد، ولو علم بها الملوك لقاتلونا عليها، لأن الملوك لا يتركون أحدًا يأخذ السعادة لنفسه من دونهم، فمن فضل الله أنهم لا يعرفون قيمة هذه السعادة، وإلا لما تركوها لهؤلاء يتمتعون بها وحدهم.

إنها سعادة الإيمان، سعادة اليقين، طمأنينة القلوب، وسكينة الأنفس التي قال الله في شأنها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]، وقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

هذا هو اسم (الملك) من أسماء الله الحسنى، وكما ذكرنا: إن أسماء الله أكثر من تسعة وتسعين كما أحصاها الكثير من العلماء، نسأل الله وعجل أن يجعل لنا نصيبًا من أسمائه الحسنى وكمالاته العلاء؛ حتى نتحقق بحقائق الإيمان، ونسير في طريق الربانيين الذين إذا علموا عملوا، وإذا عملوا أخلصوا، وإذا أخلصوا قبلوا؛ إنه سميع الدعاء.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٧٠/٧)، من قول إبراهيم بن أدهم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لي كلمتان في هذه الخطبة:

ترحيب بإخواني تلاميذ القرضاوي:

الكلمة الأولى ترحيب بأبنائي وإخواني الذين جاؤوا من أقطار الأرض، ومن قارات الدنيا الست ليحضروا (ملتقى تلاميذ القرضاوي) في الدوحة التي احتفلت بتتويجها عاصمة للثقافة العربيّة.

أرحّب بهؤلاء الإخوة الذين سعوا سعيهم، وجهدوا جهدهم، وقطعوا المسافات والبحار والأجواء، والله تبارك وتعالى كفيّل أن يجزيهم خيراً بما بذلوه، وقد قال ﷺ في شأن المجاهدين: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٢١]. هذا في شأن المجاهدين.

وقد جاء عن النبي ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ؛ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ»^(١). وفي حديث آخر رواه ابن ماجه: «من جاء مسجدي هذا ليتعلّم أو يُعلّم فهو في سبيل الله»^(٢). فطلب العلم إذا كان يُبتَغى به وجه الله ﷻ، وفهم الدين، وتعليمه للأمة فهو جهاد في سبيل الله، وفي

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٤٧)، وقال: حسن غريب، ورواه بعضهم فلم يرفعه. وقال الألباني

في صحيح الترغيب والترهيب (٨٨): حسن لغيره. عن أنس.

(٢) رواه أحمد (٩٤١٩)، وقال مخرّجوه: حديث ضعيف. وابن ماجه في المقدمة (٢٢٧)، وصحّحه

الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٦)، عن أبي هريرة.

الحديث الصحيح: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»^(١).

فأنا أرحب بإخواني وأبنائي كما رحب النبي ﷺ بطالب العلم حينما جاءه صفوان بن عسال المرادي، وقال: جئت أطلب العلم. فقال: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لَطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ»^(٢).

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول لمن جاء يطلب العلم: مرحبًا بينابيع الحكمة، ومصابيح الظلم، خُلِقَانِ الثياب - كانت ثياب الطلبة في الأزمنة القديمة خُلِقَانِ مَمَزَّقة، لم يكونوا مثلنا - جُلِدَ القلوب، حُلِسَ البيوت، رياحين كلِّ قبيلة^(٣). حبسوا أنفسهم من أجل العلم، وهم رياحين كلِّ قبيلة.

نحن الآن نقول: مرحبًا بكم يا أبناء العلم، ويا مصابيح العلم، ويا ينابيع الحكمة، يا رياحين كل دولة، ورياحين كل قارة، أسأل الله تعالى أن يجزيكم خيرًا، وأن ينفعكم وينفع بكم، اللهم آمين.

رد هجوم السلطة الفلسطينية عليّ:

الكلمة الثانية أقولها على مضض، بعض الإخوة هم الذين ألزموني أن أقول شيئاً في هذا الصدد، وهو أن السلطة الفلسطينية وزعت صوراً

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٩)، والترمذي في العلم (٢٦٤٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٩٨)، وقال مخرّجوه: حسن. والطبراني (٥٤/٨)، وابن حبان في الطهارة

(١٣٢١)، والحاكم في العلم (١٠٠/١، ١٠١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في

مجمع الزوائد (٥٥٠): رجال الطبراني رجال الصحيح.

(٣) جامع بيان العلم لابن عبد البر (٢٣١/١)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي،

السعودية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

أصقتها على الجدران في الضفة الغربية، صورة لي مع حاخامات يهود، وقالت: إنَّ القرضاوي الذي أفتى برجم محمود عباس يفتح ذراعيه وصدرة للحاخامات في حين يقول كذا عن كذا!

وأنا طبعًا شرحت قضية محمود عباس هذه، ولكن هذا الذي صنعوه يدل في الحقيقة على التدليس والإفلاس.

أمَّا التدليس، فهؤلاء الحاخامات هم من اليهود الذين يعارضون قيام إسرائيل، فلسفتهم أنَّ إسرائيل مكتوب عليها الشُّتات من الله وَعَلَيْكُمْ حَتَّى يأتي مَنْ ينقذها، وأنَّ قيام إسرائيل لعنة على بني إسرائيل وعلى الأمة اليهودية، وأنَّهم الذين سيتسبَّبون في دمار إسرائيل.

وهؤلاء الحاخامات جاء بهم أخونا أحمد منصور في برامجه أكثر من مرَّة، وهم زاروني هنا في الدوحة، وحينما كنت في لندن سنة ٢٠٠٤م. ونحن نوَّسَّس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وكان اللوبي الصهيوني يطالب بإخراجي من لندن، فجاء هؤلاء الحاخامات ووقفوا معي، قالوا: نحن معك. وحينما أردت السفر جاؤوا معي إلى المطار، فهؤلاء ليسوا من الحاخامات الذين يريدون أن يضلُّوا الناس؛ كما يفعل أمثالهم في إسرائيل.

وأنا وقفت ضد شيخ الأزهر حينما استقبل حاخام إسرائيل الأكبر، ومعروف أنَّ حاخامات إسرائيل هم الذين أفتوا باغتيالي، واعتبروا أنَّ علماء الدين هم أكبر قوَّة مضادَّة لإسرائيل في بلاد العالم العربي والعالم الإسلامي كله، وأنَّ أخطر علماء الدين المسلمين هو يوسف القرضاوي. فهؤلاء في السلطة الفلسطينية يقولون كلامًا يدل على الإفلاس، أنَّهم لم يجدوا شيئًا يقولونه.

أنا أعتبر قضية فلسطين قضيتي، ولا أؤمنُ على الإخوة الفلسطينيين بما قدّمت أو أقدم من أجل فلسطين؛ لأنني أعتبر هذا من واجبي، فأنا أرى أن كل مسلم عليه جزء من واجب تحرير فلسطين، فليس هذا واجباً على الفلسطينيين وحدهم، بعد أن عجزوا عن مقاومة الصهيونية العالمية، ومن يسندها ويقف وراءها، فكل المسلمين أصبحوا مُطالبين بهذه القضية، وخصوصاً العلماء منهم، عليهم أن يحملوا هذه المسؤولية، أن يحملوا مسؤولية تحريض الأمة على الجهاد في سبيل الله، ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، ﴿فَقَنْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفُّ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَكْيِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]، فأنا أرى أن هذا واجب عليّ، لا أؤمنُ بهذا على أحد.

وأنا منذ سبعين سنة وأنا مشغول بقضية فلسطين، أنا الآن في الرابعة والثمانين، ومنذ كان عمري أربعة عشر عاماً وأنا طالب في السنة الأولى الابتدائية - بعد المرحلة الإلزامية - في المعهد الديني في الأزهر؛ وأنا أخطب عن قضية فلسطين، وأقول شعراً في قضية فلسطين، وأقود المظاهرات لقضية فلسطين، وأدخل السجن من أجل قضية فلسطين، وأنا الآن ممنوع من دخول أوروبا وأمريكا من أجل قضية فلسطين، وحتى قبل أحداث سبتمبر أنا ممنوع من دخول أمريكا من سنة ١٩٩٦م. وبلاد أوروبا صارت هي الأخرى تمنعني، كل هذا من أجل قضية فلسطين، فلا يأتي هؤلاء يزايدون عليّ.

وأنا لا أؤمنُ على أحد بهذا، بل أنا أتمنى على الله وعجل أن يكون ختام حياتي استشهاداً من أجل فلسطين، سواء على أرض فلسطين أو في قطر أو في أي بلد، هذا ما أتمناه، وأسأل الله أن يجيب دعوتي، فهؤلاء الذين

يفترون الأقاويل، ويزورون الكلمات، ويخترعون أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، أكلهم إلى الله تبارك وتعالى؛ فهو الذي يجزيهم بما عملوا.

أسأل الله وَعَلَيْكَ أن يجمع كلمة أمتنا على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، ونياتها على الجهاد في سبيله، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عينٍ ولا أقل من ذلك، اللهم طهر أقوالنا من اللغو، وأعمالنا من العبث، وأنفسنا من الضعف، وقلوبنا من الغش، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، وعبادتنا من الرياء، وحياتنا من التناقض، ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.

* * *





العزیز (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً حول أسماء الله تعالى الحسنى التي ذكرها القرآن الكريم، وذكرتها السنة المشرفة، وقد تحدّثنا عن عدد منها، واليوم نتحدّث عن اسم من هذه الأسماء الحسنى، وهو اسم (العزیز).

اسم (العزیز) من أسماء الجلال، لأنّها ذكرت ضمن هذه المجموعة: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

معنى اسم الله العزیز:

ولاسم (العزیز) عدّة معانٍ، فمن معاني العزیز أنّه الغالب والقاهر، هو عزیز منيع، لا يستطيع أحد أن يصل إليه أو يغالبه، ومن غالبه فهو المغلوب؛ لأن بيده مقاليد السماوات والأرض، وهو الذي أمره بين الكاف والنون، ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٩ مارس ٢٠١٠م.

ولذلك ليس هناك أعز منه، هو العزيز، وهذه صيغة حصر، أي: لا عزيز غيره؛ لأن كل من سواه يستمد عزته منه، ومن لم يستمد عزته منه فهو الذليل، وإن ملك المال، وإن ملك الجاه، وإن ملك المنصب، وإن ملك الأولاد، وإن ملك الجنود، لا عزة لأحد من خلقه بذاته.

الذي عزته بذاته ومن ذاته هو الله وحده، هو العزيز الغالب، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]. هو القاهر، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ومن أسمائه أيضًا (القهار)، ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، الذي لا يقهر ولا يغلب، بل هو دائمًا الغلاب القهار، ومن وقف في طريقه، من تحداه فإنه يقهره ويقمعه ويذله، فهو المعز المذل.

يعز من يشاء:

أيضًا من ضمن معاني العزيز (المعز)، كما يقال: أليم. أي: مؤلم. فهو يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع، ويضحك ويبيكي، ويحيي ويميت، فهذا من أسماء الأفعال، ولذلك قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتَعْرِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. فهو المعز المذل، واسم (المعز) مأخوذ من اسم (العزيز)، ولكنه من أسماء الأفعال التي لها آثارها في الكون، فهو يعز المؤمنين، ويذل الكافرين.

لا نظير له:

ومن معاني العزيز: نادر الوجود الذي يقل نظيره أو ينقطع نظيره، والله تعالى لا نظير له، ولا شبه له، ولا كفو له، ولا ندد له، ولذلك قال

تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، أي لا يكافئه أحد، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ولهذا قالوا: إنه من أسماء التنزيه أيضًا، لأنه يدخل في الأسماء التي تُنزه الله عن المشابهة، وعن الحدود، وعن الحاجة، وعن كل ما لا يليق بكمال الألوهية الأعلى، العزيز ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

ومن معاني العزة القوة:

فهو القوي، ولا أقوى منه، ومن لا يستمد القوة منه فهو الضعيف؛ أيًا كان مظهره في القوة، ومن هنا كان المؤمنون به أعزاء أقوىاء أشداء أغنياء؛ لأن من استغنى بالله فلن يفتقر أبدًا، ومن استقوى بالله فلن يضعف أبدًا، ومن اعتزَّ بالله فلن يذل أبدًا، ومن كرم بالله فلن يهون أبدًا، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

المؤمنون استمدوا عزتهم من عزة الله وعجل، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]. العزة عند الله، ليست عند أبواب الملوك والأمراء والرؤساء.

لله العزة جميعا:

اطلب العزة من ربك، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]. وذمَّ الله المنافقين فقال وعجل: ﴿بَشِيرِ الْمُنْفِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُّونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩]. اطلب العزة عند رب العزة،

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ [الصفات: ١٨٠]، رَبُّ الْعِزَّةِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّىٰ إِنْ
إِبْلِيسَ اللَّعِينِ عَرَفَ هَذَا فَقَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ
الْمُخْلِصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣].

حينما كان سحرة فرعون في ضلالة الكفر والعماية ظنوا أن لفرعون
عِزَّةً لما يرونه من (هيل وهيلمان)، وادّعاء فرعون للربوبية، ﴿أَنَا رَبُّكُمْ
الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]،
فَظَنُّوا لَهُ عِزَّةً يُلْجَأُ إِلَيْهَا وَيُرْكَنُ إِلَيْهَا؛ فَقَالُوا حِينَما أَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَهُمْ:
﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤].

ولكنهم حينما تفتحت بصائرهم على نور الإيمان، حينما خالطت
قلوبهم بشاشة الإيمان، حينما عرفوا عجز فرعون وقوة الله، حينما رأوا
الحبال والعصي تبتلعها عصا موسى، التي انقلبت حية ولقفت كل هذه
الأشياء، ولم يعد لها وجود.

المعهود أن الساحر إذا غلب الساحر تبقى الأدوات كما هي، ولكن
هنا أين الحبال وأين العصي؟ لقفتها هذه العصا التي انقلبت حية؛ فعرفوا
أن هذا ليس بقوة بشر، ولكنها قوة فوق البشر، قوة خالق القوى والقدر،
فأمّنوا برّب العالمين وسجدوا لرّب العالمين ربّ موسى وهارون.

وهنا أدركتهم العِزَّةُ الحقيقيَّةُ، عِزَّةُ الإيمان، فتحدّوا فرعون على
جبروته وهو يهدّدهم بالتقطيع والتّصليب والتّقتيل، قالوا: ﴿لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ
مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه: ٧٢]. كانوا من قبل يحلفون بعِزَّةِ
فرعون، دقائق ما بين الإيمان والكفر، قالوا: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ
قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧٢، ٧٣].

من لحظات كانوا يقولون لفرعون: ﴿إِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ
الْغَالِبِينَ﴾ [الأعراف: ١١٣]. والآن يتحدثون فرعون، وينظرون إليه من عل؛
كأنما هم في السماء وهو في الأرض: ﴿فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢، ٧٣]، هذه هي عِزَّةُ الْمُؤْمِنِينَ يستمدونها من عِزَّةِ الْعَزِيزِ.

لا يقف أحد أمام عزة الله:

الله وَجَّهٌ هو العزيز، وبهذه العِزَّةُ يغلب كل مدَّعٍ للغلبة، وكل مدَّعٍ
للقوَّة، وكل متظاهر بالجبروت والاستكبار في الأرض، أمام عِزَّةِ الله
لا يقف أحد، ويأخذ هؤلاء الفراعنة والمتجبرين أخذ عزيز مقدر،
لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، عزيز ذو انتقام، ﴿فَلَا
تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِيهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، ينتقم
من المستكبرين في الأرض، مهما ظنوا أن الجو قد خلا لهم، وأن
السماء قد صفت لهم، يأتيهم وعيد الله بغتة، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ
مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤].

الله هو (العزيز)، هذا الاسم الكريم الذي قرنه القرآن بما يناسبه،
أحياناً يقول: ﴿عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ [القمر: ٤٢]. في مقام أخذ الكافرين أخذاً أليماً
شديداً، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ
أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (١). وقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ
فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥].

(١) سبق تخريجه ص ١٥٩.

اقتران العزة بالحكمة:

وأحياناً يقترن اسم (العزیز) بالحكمة، واقتران اسم (العزیز) بالحكمة أكثر ما ورد في القرآن من اقتترانه بأسماء أخرى، ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩]، ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧]، لأنَّ بعض الناس الذين يكون لهم جنود وجيوش وقوات مسلحة: لا يستخدمونها فيما توجبه الحكمة، ولكنهم يقيمون العباد، ويذلون البلاد، ويرفعون ويخفضون بالباطل، ولكن الله لا يستخدم قوته وعزته إلا فيما يوافق الحكمة، ولذلك كان الله عزيزاً حكيماً.

قد يغضبه أهل المعصية، قد يغضبه الطغاة المستكبرون في الأرض؛ فلا يعاجلهم بالعقوبة، بل يمهل ويمهل ثم يمهل؛ حتى يظن الناس أنه قد نسي هؤلاء، ولكن ربك يمهل ولا يهمل، هكذا يقول حتى عوام الناس: (يمهل ولا يهمل) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، ثم يأخذهم الله أخذاً أليماً شديداً، إنها العزّة المقترنة بالحكمة.

كثيراً ما نرى اقتران العزّة بالحكمة في مواقف يستغربها بعض الناس، كما قال عيسى ابن مريم: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. ربّما يقول بعض الناس: كان مقتضى قوله: ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ . أن يقول: فإنك أنت الغفور الرحيم. لا، بل هذا المقام يناسب العزّة والحكمة، إن تغفر لهم فأنت تغفر عن قوّة، تغفو عن مقدرة، وأنت تضع المغفرة في موضعها، تغفر حينما يكون الشخص أهلاً للمغفرة، أمّا حينما لا يكون أهلاً للمغفرة فلا تغفر، فوضع العزّة والحكمة في موضعها.

يقول الله تعالى لرسوله: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَاللَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].
العزة والحكمة هنا في موضعها تمامًا، هو العزيز الذي يقدر على التآليف بين القلوب المتنافرة، على التآليف بين الغربي والشرقي، بين العربي والعجمي، بين المهاجري والأنصاري، بين الأوسي والخزرجي؛ على ما كان بين هؤلاء من ثارات وعداوات، إنه عزيز حكيم، يؤلف حينما تكون الحكمة تقتضي التآليف.

الاعتزاز بالله:

كل أعماله بحكمة، والحكمة مقترنة بالعزة، ومقترنة بالعلم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء: ٢٦]، كما أنه عزيز حكيم، ولذلك علينا نحن المؤمنين أبناء الإسلام أن نعتز بالله ^{عزلاً}، لا نعتزّ بدنيا، لا نعتزّ بمال، ولا بمنصب، ولا بأولاد، ولا بوزراء، ولا بأمراء، ولا برؤساء، كما قال ابن عطاء الله في حكّمه: إن أردت أن يكون لك عزٌّ لا يفنى؛ فلا تستعزّن بعزٍّ يفنى. لا تعتز بالوزير فيستقيل، أو يُقال!

كَم تَائِهٍ بَوْلَايَةٍ وَبِعِزْلِهِ يَعْذُو الْبَرِيدُ^(١)

هو يعتز بالولاية، ثم تأتيه رسالة عزله، فلا تعتز بمخلوق، شحاذ يستعين بشحاذ! استعن بمن لا يحتاج إلى أحد، ويحتاج إليه كل أحد، إن أردت أن يكون لك عزٌّ لا يفنى فلا تستعزّن بعزٍّ يفنى، استعزّ بالله.

(١) البيت لابن المعتز، كما في أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم للصولي ص ١٣٤، تحقيق ج. هيورث. دن، نشر مطبعة الصاوي، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م.

اجعل برّبك كلّ عزّ ك يستقرّ ويثبث
فإذا اعتزّت بمن يموث فإنّ عزّك ميث^(١)

اعتزّ بالله وعبّدك، هكذا عرف المؤمنون، أنّهم يعتزّون برّبهم، كما اعتزّ سيّدنا إبراهيم خليل الله، اعتزّ برّبّه، لم يعتزّ بوطن؛ بل ضحّى بالوطن، وضحّى بالنفس، ألقى في النار فلم يسأل جبريل، ولم يسأل أحداً إلاّ الله وعبّدك، فقلب الله النار إلى رُوح ورياحين، وقال لها: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وضحّى بابنه حينما رأى في المنام أنّه يذبحه؛ ففهم الإشارة، وجاء بالسكين ليذبحه، وقال لابنه: ﴿يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿ [الصفات: ١٠٢]. أسلم الله وعبّدك كما قال القرآن: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصفات: ١٠٣]. أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عنقه لله، هذه هي العزّة الحقيقيّة، إن أردت أن يكون لك عزّ لا يفنى؛ فلا تستعزّن بعزّ يفنى، استعزّ بالله.

عزّة المؤمنين:

قيل للعز بن عبد السلام: لو قبّلت يد الأمير، حتّى يصفو ما بينك وبينه. فقال: يا مسكين، والله ما أراضاه أن يُقبّل يدي؛ فضلا عن أن أُقبّل يده^(٢)؟ إنّه يعتز بعلمه، يعتز بإيمانه.

ودخل أحد الصالحين على أحد الخلفاء فقال له: ألك حاجة؟ قال: نعم. قال: ما هي؟ قال: أن تزحزحني عن النار، وتدخلني الجنّة. فقال:

(١) المحاضرات في اللغة والأدب (٢١٣/١).

(٢) حسن المحاضرة (١٦٢/٢)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربيّة

عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

هذا لا طاقة لي به. قال: فهذه هي حاجتي، أنا لم أسأل الله الدُّنيا، فكيف أسألك أنت الدُّنيا^(١)؟ هذه هي عِزَّة المؤمن.

نصيب العبد من اسم الله العزيز:

إذا كان لنا أن نقتبس من أسماء الله ما يناسبنا، كما يقول العلماء دائماً مع كل اسم من الأسماء؛ فلنقتبس من اسم (العزيز) العِزَّة الإيمانيَّة، عِزَّة المؤمن، أنه يعتز بإيمانه، كما قال ذلك الرجل الصالح:

وممَّا زادني شرفاً وتِيهاً وكدتُ بأخْمُصي أطأُ الثريا
دُخولي تحتَ قَوْلِكَ: يا عبادي وأن أرسلتَ أحمدَ لي نبيًّا^(٢)

بهذا تكون العِزَّة، أعتز بأني عبدٌ من عبادك، العبوديَّة لله فخر وعِزٌّ، لأنَّ عبوديَّتكَ لله هي عين الحرية، هي السيادة الحقيقيَّة: أن تكون عبداً لله وحده؛ فتحرَّر من كلِّ عبوديَّة لغيره: عبوديَّة الأشخاص، وعبوديَّة الأشياء، وعبوديَّة الأهواء، أن تعبد ذاتك وتعبد هواك، ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ أُتْخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]، فالعبوديَّة لله هي الحرِّيَّة الحقيقيَّة، وهي العِزَّة الحقيقيَّة، فعليك أن تعتن بالله وِعِزِّكَ.

الاعتزاز بالإسلام:

كما عليك أن تعتنَّ بدين الإسلام، كما قال سيِّدنا عمر رضي الله عنه لسيِّدنا أبي عبيدة بن الجراح؛ وقد ذهب في رحلة إلى فلسطين، من المدينة إلى القدس، القدس المهتدة اليوم، التي افتتحها عمر بن الخطاب! أباي

(١) القصة دارت بين سليمان بن عبد الملك وأبي حازم. رواها الدارمي في مقدمة سننه (٦٧٣).

(٢) البيتان للقاضي عياض اليعصبي، كما في حاشية القليوبي على شرح المحلي على المنهاج

(٧/١)، المطبوع مع حاشية عميرة، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

بطريق القدس أن يُسلم مفاتيح المدينة إلا لأعلى قائد عند المسلمين، لَمَّا جاءه أبو عبيدة قال له: أنت رئيس المسلمين؟ قال: لا. قال: وهذا ليس وصفه في كتبنا، وأنا لا أُسلم مفاتيح القدس إلا إليه. فأرسلوا إلى أمير المؤمنين ليأتي إلى القدس.

وانطلق عمر نحو القدس، فذهب أبو عبيدة وبعض القواد يستقبلونه في أطراف فلسطين، وفي الطريق قابلته مخاضة، أرض فيها طين ووحل وماء، فخلع عمر بن الخطاب نعليه، وشمّر عن ساقيه، وخاض هذه المخاضة بوحلها وطينها ومائها، فقال له أبو عبيدة: ليتك لم تفعل هذا يا أمير المؤمنين، لأن هؤلاء الناس يهتمون بالمظاهر و(بالأبهة) وبكذا، ورأوا عندهم الملوك وأباطرة الروم من قديم. فنظر إليه عمر وقال: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، ما كنت أحب أن أسمع هذه الكلمة من مثلك، أنت أمين الأمة تقول هذا الكلام يا أبا عبيدة؟! نحن كُنَّا أذلّ قوم؛ فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما التمسنا العزّة بغيره أذلّنا الله^(١).

كُنَّا أذلّ قوم، بعضنا كانوا عمالاً عند الفرس؛ كالمناذرة في العراق، وبعضنا كانوا عمالاً عند دولة الروم البيزنطية كالغساسنة في الشام، ولم يكن لنا شأن، ليس لنا تشريع الرومان، ولا فلسفة اليونان، ولا حكمة الهند، ولا صنعة الصين، كُنَّا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما التمسنا العزّة بغيره أذلّنا الله. وكان درسًا وعاه أبو عبيدة، ووعاه القادة والمسلمون معه.

ولذلك حينما لقي رستم قائد جيوش الفرس بعض المسلمين ممّن لم يتعلموا في جامعة ولا في مدرسة، إنّما تعلموا في مدرسة النبوة، لقي

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

رستم ربّعيّ بن عامر، من الأعراب الذين تعلموا الإسلام على حصير رسول الله ﷺ، فقال له: مَنْ أنتم؟ وما الذي جاء بكم؟ يستغرب من هؤلاء الذين كانوا يفدون على كسرى فيمدّهم ببعض المال؛ فيعودون يمدحونه ويقولون القصائد، ما الذي غيّرهم حتّى يأتوا ليغزوا بلاد الفرس؟ كانوا قديما يقولون: كسرى بن هرمز!

فلما قال ذلك لربّعيّ بن عامر، قال له ربّعي: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج مَنْ شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام^(١).

لقد أصبحنا ذوي رسالة عالميّة، فلا تنظر إلى عرب الجاهليّة الأقدمين، لقد تغيّر هؤلاء، بُعث فيهم رسولٌ عالميّ، برسالة عالميّة، تُحرّر العباد من عبادة العباد، وتخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فقد جاء الإسلام دينًا ودنيا، جاء بحسنة الدارين، ﴿رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ﴾ [البقرة: ٢٠١]، وتخرج الناس من ظلم الأديان إلى عدل الإسلام، من الانحرافات التي حدثت في الأديان، من رهبانيّة ومن تجاوزات، إلى العدل الإسلامي، إلى الوسطيّة الإسلاميّة.

هذه العزّة من أين جاء بها المسلمون؟ لقد غرسها فيهم اعتزازهم بالله، اقتباسهم من اسم (العزیز)، فهو عزیز بالله، كما قال الشاعر:

يَا زَمَانِي أَنَا حُرٌّ حُرَّرَ الْإِسْلَامَ ذَاتِي
أَنَا بِاللَّهِ عَزِيزٌ عَزَّتِي فِي سَجْدَاتِي^(٢)

(١) رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣).

(٢) انظر ديواننا: المسلمون قادمون ص ١١٥، قصيدة: أنا بالله عزیز، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١،

العزّة في سجدته لله إلى الأرض، «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»^(١)، لا يعتز المسلم بمخلوق، ولا يعتزّ بدنياه، ولا يعتزّ بشيء إلاّ بإيمانه بالله **وَعَلَىٰ**، وهذا الإيمان هو أساس كل عزّة، وأساس كل قوّة.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقّهنا في ديننا، وأن يجعلنا من الأعرّاء، أعرّة على الكافرين، أدلّة على المؤمنين، كما وصف الله **وَعَلَىٰ** الجبل المدّخر لنصرة الإسلام عند مروق المارقين: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٢)، وأحمد (٩٤٦١)، عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

قضية القدس:

الخطبة الثانية عن أمر جليل، أمر قديم جديد، أمر لا ينبغي أن يُهمل، ولا ينبغي أن يُنسى، إنّه أمر القدس الشريف، أمر المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، الذي انتهى إليه الإسراء، وابتدأ منه المعراج، الذي ربطه القرآن بالمسجد الحرام، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، وكأنما يشعرنا القرآن أن مَنْ فَرَّطَ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى يوشك أن يُفَرِّطَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ لأن المقدّسات لا تتفاوت، قد تتفاوت في الدرجة، ولكن في المبدأ كلها مقدّسة، لا ينبغي أن يُفَرِّطَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا.

ولِمَنْ نَفَرَّطُ؟ لليهود؟! أنْفَرَّطَ فِي مَقَدَّسَاتِنَا وَحَرَمَاتِنَا لليهود المعتدين؟! وهم الذين جاؤونا من آفاق الأرض، بعد أن شَرَّدُوا فِيهَا، أصبحوا شُدَّاذَ الْآفَاقِ، طَرَدُوا مِنْ أُوْرُوبَا وَلَمْ يَجِدُوا صَدْرًا حَنُونًا، وَلَا كَهْفًا مُؤْوِيًّا إِلَّا دِيَارَ الْإِسْلَامِ، الْمُسْلِمُونَ رَحَبُوا بِهِمْ، وَفَتَحُوا لَهُمْ صُدُورَهُمْ، وَفَتَحُوا لَهُمْ دُورَهُمْ وَأَرْضَهُمْ وَبِلَدَانَهُمْ، وَأَوْوَهُمْ فِيهَا، وَلَكِنَّهُمْ سَرَعَانَ مَا قَلَبُوا لَهُمْ ظَهْرَ الْمَجَنِّ، الْبِلَادَ الَّتِي أَوْتَهُمْ غَدْرُوا بِهَا، الشُّعُوبَ الَّتِي رَحَّبَتْ بِهِمْ قَتَلُوهَا، سَفَكُوا دِمَاءَهَا، وَشَرَّدُوا أَهْلِهَا.

بداية تواجد اليهود في فلسطين:

جاء اليهود من آفاق الأرض، لم يكن لهم وجود يُذكر في فلسطين،

حينما جاء سيّدنا عمر وتسلمّ المفاتيح من بطريك القدس؛ اشترطوا على سيّدنا عمر ألاّ يساكنهم فيها يهود، لم يكن في القدس يهود حينما دخلها المسلمون، كانوا يُسمّونها (إيلياء)، وظلّ اليهود عدّة قرون لا وجود لهم في القدس.

ثم عن طريق المكر والحيل والدهاء والرشا، استطاعوا أن يدخلوا مُتَسَلِّين إلى القدس، ويكون لهم وجود محدود جدًّا، في أوائل القرن العشرين لم يكن لهم إلاّ عدّة آلاف، بواسطة المكر والحيل والدهاء، وبواسطة الرشا تُدفع للغربيين ذوي المناصب.

وفي سبيل ذلك حاولوا أن يرشوا الخليفة المسلم العثماني: السلطان عبد الحميد، بملايين الليرات الذهبيّة، في وقت كان لليرة الذهبية شأن، ملايين لجيبه ولخزائنه الخاصّة، وملايين لخزانة الدولة، فأبى الرجل أن يعطيهم، قال: إنّ عشنا فنحن ندفع عن هذه البلاد بدمائنا وأرواحنا، وإذا متنا أو هُزمتنا خذوها مجانًا. أبى أن يُسلم شبرًا واحدًا من أرض فلسطين، ولذلك كادوا له، وعملوا عملهم، ومكروا مكربهم، حتّى خلعوا الخليفة، وألغوا الخلافة نهائيًّا على يد أتاتورك.

هؤلاء الذين جاؤوا من خارج المنطقة: من روسيا وأمريكا، ومن بلاد مختلفة: لم يكونوا من أهل هذه البلاد. من قرون والبلاد خالية منهم، جاؤوا وفعلوا الأفاعيل، طردوا أهل البلاد منها واحتلوا مكانهم، إنّه استعمار، ولكنّه استعمار استيطاني إحلالي عنصري وحشي، هناك استعمار استيطاني، وهو الذي يأتي يستوطن البلاد مع أهلها، كما فعل الاستعمار الفرنسي، استوطن الجزائر، ولكنّه لم يخرج الجزائريين من بلادهم.



استعمار استيطاني إحلالي:

أمّا الاستعمار الإسرائيلي فهو استعمار استيطاني إحلالي، يطرد أهل البلاد ويحل محلّهم، الغرباء الأجانب الذين جاؤوا من بلاد بعيدة يطردون أبناء البلد، بما فعلوا من مجازر بشريّة روّعت الناس، وأدخلت الرعب في القلوب، الدماء التي سُفكت، والأعراض التي هُتكت، والحُرّمات التي انتهكت، وبطون الحوامل التي بُقرت، وقتل الأجنّة في بطون أمّهاتها، وقتل الأطفال أمام آبائهم وأمّهاتهم، وقتل الآباء والأمّهات أمام أبنائهم وأولادهم، هذا أثار الرعب في قلوب الفلسطينيين ففرّوا إلى يمين وشمال، وكانت هذه غلطة العمر.

كنت أود أن تتحوّل البيوت إلى مقابر، ولا يترك الفلسطينيون ديارهم، ولعلنا نقول هذا لأننا لم نعش ما عاش الفلسطينيون، فما فعله اليهود من مرعبات ومرهبات، حتّى قال بيجين: إنّ هذه الأشياء التي فعلوها في دير ياسين هي التي أقامت إسرائيل. كان يفتخر بأن ما فعلوه في دير ياسين من رعب للفلسطينيين حتّى فرّوا من ديارهم، وأصبحت القرى تقلد بعضها بعضًا في ذلك هو الذي أقام إسرائيل في ظن بيجن.

الحق التاريخي للعرب والمسلمين:

هذه القضية أيّها الإخوة أعدل قضية في الأرض، أناس يقاتلون عن ديارهم وديار آبائهم وأجدادهم، وأجداد أجدادهم، زعم الإسرائيليون أنّ لهم حقًا في هذا البلد! كم بقوا في فلسطين طوال التاريخ؟ بضع مئات من السنوات، ثمّ انقسموا على أنفسهم، ثمّ زال حكم بني إسرائيل تمامًا.

وكان العرب سكان البلاد قبل أن يدخلها هؤلاء العبرانيون، وكانوا سكانها أيضًا بعد أن طُرد هؤلاء منها، الفلسطينيون قبل أن يدخل العبرانيون فلسطين وبعد أن خرجوا منها هم السكان، ولم يملك اليهود فلسطين كلها في وقت من الأوقات.

دور الاستعمار في تثبيت اليهود:

ثم جاء الاستعمار الغربي - خصوصًا الاستعمار البريطاني - ومهدّ لهؤلاء السبيل، بعد أن وعدهم بلفور وزير خارجية بريطانيا في أيام الحرب العالمية الأولى في نوفمبر ١٩١٧م. بوطن قوميّ لهم في فلسطين، وكما علّق الحاج أمين الحسيني رجل فلسطين المجاهد، ومفتي فلسطين الأكبر قائلاً: إنَّ فلسطين ليست بلدًا بغير شعب؛ حتّى تستقبل شعبًا بغير بلد.

ولكنّ البريطانيين مهّدوا السبيل كل السبيل لهؤلاء اليهود، الذين بدؤوا في هجرات جماعية منظمّة، ومع الهجرات بدؤوا جمعيات إرهابية: الهاجاناه والأورجون وشتيرن، وكذا وكذا، وبدأ اليهود ينشئون مستعمراتهم أو مستوطناتهم؛ محروسة بهؤلاء الإرهابيين، الذين يُمدون بالأسلحة، بينما أهل فلسطين يحرم عليهم أن يكون عندهم أي سلاح، ولو حتّى مسدسًا أو بندقية قديمة، لا يستطيعون أن يملكوا هذه الأشياء؛ إلاّ خلسة من وراء الانتداب البريطاني الذي يحكم البلد.

كان هذا هو الحال حتّى قامت الدولة أو الدويلة كما كنّا نسمّيها (دويلة إسرائيل) في ١٥ مايو ١٩٤٨م. وسقطت أمام أعيننا المدن الفلسطينية الكبرى: حيفا، ويافا، وعكا، واللُد، والرملة، وغيرها، تسقط مدينة مدينة، وكنت طالبًا في الثانوي في ذلك الوقت، وأسمع الشاب الجامعي: الأسد الجسور، والثائر الخطيب الفصيح يرثي هذه المدن من

إذاعة القاهرة مدينة بعد مدينة كما سقطت مدن الأندلس، والمسلمون في كلِّ مكان يتفرجون.

وبعد دقيقة من إعلان إسرائيل قيامها أعلنت أمريكا أنّ إسرائيل خلقت لتبقى، ثمَّ أكّدت ذلك الدولة البريطانيّة والدولة الروسيّة والغرب كله، كل الغربيين رأسماليين وشيوعيين قالوا: إسرائيل خلقت لتبقى.

بداية الصراع والكفاح:

وبدأ الكفاح والصراع منذ ذلك اليوم ولم يتوقف، ولكننا كنا نقول أيُّها الإخوة في أيّام قيام إسرائيل: إنّ إسرائيل كيان باطل، قام على باطل، وما قام على الباطل فهو باطل، والباطل يجب أن يزول، لا يستحق البقاء.

كنا كلنا مجمعين على هذا، حتّى حدثت حرب ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧م. التي سمّوها (النكسة)، ودخل اليهود الضفة الغربية، ودخلوا سيناء، وأخذوا الجولان، وأخذوا القدس، هنا أخذت السياسة العربيّة تتخذ خطأ آخر، فبعد أن كانوا يقولون: لا بدّ من إزالة إسرائيل الباطل، الذي قام على باطل. أصبحوا يقولون: نزيل آثار العدوان. أي عدوان ١٩٦٧م. أمّا عدوان ١٩٥٦م. وعدوان ١٩٤٨م. فقد سُكت عنه، كأنّ العدوان الجديد جعل هناك شرعية للعدوان القديم، أصبح العدوان القديم مسكوتاً عنه، حسبنا أن نزيل آثار العدوان؛ لنعود إلى ما كان عليه الحال في ٥ يونيو ١٩٦٧م!

وحتى هذا لم يقبل به الإسرائيليون، كلّما تنازلت لهم عن شبر طلبوا ذراعاً، فإذا تنازلت لهم عن ذراع طلبوا باعاً، فإذا قبلت باعاً طلبوا باعات، وهكذا إسرائيل لا تعطي شيئاً، إنّها تأخذ ولا تعطي.

خضوع العرب لمنطق ذليل:

والعجيب أنّ العرب الذين جربوا هذا مع إسرائيل لا زالوا يخضعون لهذا المنطق الذليل، المنطق الذي لا يقنع أحدًا، فلا تزال إسرائيل تفرض عليهم إرادتها، وتُملي عليهم شروطها، وهم يستجيبون للأسف، حتّى إنهم في المدة الأخيرة قبلوا بمفاوضة غير مباشرة، مع أنّ إسرائيل لم يبد منها أي لين ولا أي قابليّة، حتّى أوباما الذي جاء وأظهر لنا لونا من العنترية في الكلام، وقال: أوقفوا الاستيطان مؤقتًا لنعود بالمفاوضات إلى ما كانت. رفضت إسرائيل أن توقف المستوطنات.

بل في هذه الأيام حينما قبل العرب بالتفاوض غير المباشر إذا بإسرائيل تعلن في وجود ممثل أوباما وممثل البيت الأبيض: أنّها ستقيم كذا وكذا مستوطنات في قلب القدس، وتستعين بهذا كله.

كنيس الخراب:

ثم جاءت بعد ذلك لتُقيم ما سمّوه (كنيس الخراب)، خرّب الله بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، كما خرّب بيوت بني النضير! كنيس الخراب نبوءة خرافيّة، لم يأت بها كتاب مُنزل، ولا نبي مرسل. أحد الحاخامات في القرن الثامن عشر: أكل أكلة ثقيلة فحلم حلمًا، ورأى أن هناك كنيسًا يجب أن يُقام، وأنّ هذا الكنيس هو مقدّمة مُمهّدة لبناء الهيكل الثالث لبني إسرائيل، وهُدّم هذا الكنيس مرتين، ولذلك سموه (كنيس الخراب)، ولكنهم أعادوه مرّة أخرى، قريب من الباب الغربي للمسجد الأقصى، وهم يقولون: إنّ هذا الكنيس بشير عندهم - وهو شرّ نذير إن شاء الله - بقيام الهيكل الثالث. أصبح بناء هذا الهيكل قاب قوسين أو أدنى.



تحكم اليهود في المسجد الأقصى:

ومن عدّة أيّام تجمّع المستوطنون والسياح من اليهود في أنحاء العالم يريدون اقتحام المسجد الأقصى، وكل يوم يحاولون هذا الاقتحام، بينما لا يستطيع الفلسطينيون أبناء بيت المقدس الوصول إليه، أصبح اليهود هم الذين يتحكّمون في المسجد، لا تستطيع أن تدخل المسجد إذا كنت ابن الخامسة عشرة أو العشرين إلى الخمسين، الشيوخ العجزة فقط هم الذين يسمحون لهم بالدخول، أمّا الشبان حتّى سنّ الخمسين يمنعونهم، بأيّ حقّ يُمنع المسلمون المصلون من المسجد الأقصى؟ هذا المسجد الذي لا تُشدُّ الرّحال إلّا إليه مع المسجد الحرام والمسجد النبوي، يُمنع أهل بيت المقدس من دخوله!

أصبحنا كأننا عبيد لبني إسرائيل، نُساق سوقًا إلى ما يريدون، يفعلون فينا ما يشتهون، والأمة أمّة الإسلام، أمّة القرآن، أمّة مُحَمَّد ﷺ، أحفاد أبي عبيدة وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، أحفاد الفاتحين الأوّلين، هذه الأمة الكبيرة التي تبلغ في أحد الإحصاءات مليارًا وستمئة مليون مسلم في أنحاء العالم، يشهدون أن لا إله إلّا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويؤمنون بعزّة المؤمنين وعزّة الإسلام، هؤلاء المسلمون يرون ما يحدث ولا يحركون ساكنًا، لأنّهم يحتاجون إلى قيادة، ولا قيادة!

ضعف حكام المسلمين:

الحكام متشبثون بكراسيّهم، أصبح الكرسيُّ إلهاً معبودًا لهم، فلا يتحركون إلّا إذا هُدّدوا في كراسيّهم وأموالهم، ولكنّهم مؤمنون على هذه الكراسيّ؛ بشرط أن يسكتوا، وأن يصمتوا، وأن يتفرّجوا على الكوارث والمصائب التي تحدث، وهم لا ينبهون غافلاً، ولا يحركون

ساكنًا، ولا يقولون للشعوب: هُبي لنجدة مقدّساتك أيّتها الشعوب، أين الأُمَّة الإسلاميّة؟ أين حكامها؟ أين شعوبها؟ أين جماهيرها؟ أين مثقفوها؟ أين علماءها؟ أين إعلاميؤها؟ أين الرجال؟ أين النساء؟ أين الشبّان؟ أين الشيوخ؟ هذه الأُمَّة الكبرى لا يجوز أن تصمت أبدًا.

مطالبنا من القمة العربية:

إننا ندعو العرب - ومن قريب تنعقد قمّة لهم في ليبيا - أن يكون موضوع الأقصى الذي يُهدّد من فوق ومن تحت: من تحت مبانٍ لمدينة يهوديّة، ومن فوق يُهدّد من كل ناحية، الأقصى الذي أصبح في خطر، وخطر شديد، وشديد جدًّا، وربما نستيقظ في يوم من الأيام فنجد اليهود يُجهزون على ما بقي من الأقصى، وأبناء الأُمَّة في غفلة لاهون، وفي سكرة يعمهون، هذا لا يجوز، لا يجوز أن نكون ساهين في غمرتنا، لاهين في غفلتنا، واليهود يعملون ليل نهار.

نطلب من العرب ومن قمّة العرب التي ستنعقد في ليبيا: أن تجعل موضوع الأقصى والقدس على رأس القائمة، وأن تقف موقفًا يُعلّم هؤلاء اليهود أنّ الأُمَّة لن تسكت إذا أصاب المسجد الأقصى شيءٌ.

وإننا نطلب من الملك عبد الله الذي بادر بالمبادرة العربيّة منذ كان وليًّا للعهد، وتبنّاها العرب، وأصبحت مبادرة عربيّة، ولكنّه قال كلمة حكيمة بعد ذلك، قال: إنّ هذه المبادرة لن تبقى على الطاولة أبد الدهر، إنّها يمكن أن تُسحب. وأنا أقول له الآن: أصبحت موجبًا لأن تُسحب هذه المبادرة؛ لأن الإسرائيليين لا يبالون بأحد، حتّى أمريكا الحليفة الاستراتيجية لهم لا يبالون بها!

ومن أسف أنّ وزيرة الخارجية الأمريكية تكلمت كلمات فيها شدة، وإنكار على إسرائيل، ثمّ سرعان ما سحبت كلامها وغيّرت لهجتها، وقالت: إنّنا ملتزمون بأمن إسرائيل، وهذه إستراتيجية لا رجعة فيها. إلى آخر كلامها، فلا أمان ولا ضمان لشيء عند هؤلاء، فيجب أن يقول العرب: لم يعد هناك وجود لهذه المبادرة، والذين أهدروا هذه المبادرة هم الإسرائيليون أنفسهم.

ننادي الملك مُحمّد السادس رئيس لجنة القدس: أن يدعو إلى قمة إسلامية من أجل القدس، من أجل الأقصى المهدد، انعقدت أول قمة إسلامية في المغرب، وكان سبب هذه القمة الأولى الحريق الذي أصاب المسجد الأقصى، حريق جزء من منبر صلاح الدين، فهاج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، وفرض على حكام المسلمين لأول مرّة: أن يجتمعوا في قمة من أجل جزء من منبر في المسجد الأقصى، الآن المسجد الأقصى كله مهدّد فلا بد أن تنعقد القمة الإسلامية، ننادي الملك مُحمّد السادس، وننادي منظمة المؤتمر الإسلامي بالدعوة إلى قمة إسلامية.

نداء لأمة الإسلام:

وننادي المسلمين في أنحاء العالم أن يكونوا على يقظة لما يجري، لا بدّ أن نعلن استعدادنا أن نكون مُضحيين بالأنفس والنفائس، بالغالي والرخيص من أجل القدس، لا يمكن أن نسمح بضياح القدس ونحن أحياء، لا يمكن أن تبقى فينا عين تطرف أو عرق ينبض إذا مُسّ القدس بسوء.

يا أمة الإسلام، يا أمة القرآن، يا أمة مُحمّد ﷺ، يا سلالة الفاتحين، يا سلالة الأبطال، هُبي لنصرة أقصاك، لنصرة قدسك الشريف، فهذا هو

اللأتق بك، فإن لم تفعلني ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكُفْرِينَ يُجْهَدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤].

اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم افتح لهم فتحاً مبيناً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً عزيزاً، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم عليك بالصهاينة المستكبرين في الأرض بغير الحق، الظالمين البغاة الطغاة، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم يا منزل الكتاب، ويا مجري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم، اللهم اجمع على الحق كلمتنا، اللهم انصر أمة محمد، وارحم أمة محمد، ووحد أمة محمد، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.



الحكم العدل (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً عن أسماء الله الحسنى، وقد تحدثنا في الجمعة الماضية عن اسم من أسماء الله تعالى، وهو اسم (العزیز)، واليوم نتحدث عن اسم أو اسمين متلازمين من أسماء الله تبارك وتعالى، وهما (الحكم العدل).

الله وَجَبَّكَ هُوَ (الْحَكْمُ الْعَدْلُ)، هذان اسمان اختصَّ الله تعالى بهما، حتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَهُ وَفَدَّ مِنْ الْوَفُودِ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أبا الحكم. فسأله النبي ﷺ: «لِمَاذَا يُسَمُّونَكَ أبا الحكم؟» فقال: إِنَّ النَّاسَ إِذَا ائْتَلَفُوا جَاءُوا إِلَيَّ، وَاسْتَمَعْتُ إِلَيْهِمْ، وَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ، فَاتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُمْ. فقال النبي ﷺ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا! أَلَيْكَ أَوْلَادٌ؟» قال: نعم عندي ثلاثة. قال: «مَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قال: شُرَيْحٌ. قال له: «أَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ، أَمَّا الْحَكْمُ فَهُوَ اللهُ وَجَبَّكَ» (٢).

(١) ألقى في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٦ مارس ٢٠١٠م.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٩٥٥)، والبخاري في الأدب المفرد (٨١١)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٥)، عن هانئ بن يزيد الحرثي.

ولذلك حينما كان أبو جهل عمرو بن هشام يُكْتُونُه في الجاهلية (أبا الحكم)، فكناه النبي ﷺ أبا جهل^(١)؛ لأنَّ الحَكَمَ هو الَّذي يُقبل حكمه، وينفذ حكمه، ويعدل في حكمه، وأبو جهل أبعد الناس عن هذا، فلا يستحق أن يكون أبا الحكم.

معنى اسم الله الحكم:

الحكم: هو الحاكم المُحكَّم، والقاضي المُسلَّم، الَّذي يحتكم الناس إليه فيقبلون حكمه، ويرضون قضاءه، وينفذ ما حَكَمَ به، لا يعترض عليه أحد، وهذا لا يكون إلا لله ﷻ، هو الَّذي يُرتضى حكمه، ويُقبل وينفذ، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١]. لا مُعَقَّبَ لحكمه، ولا رادَّ لقضائه.

هناك قضاة ربَّما كانوا يرأسون محاكم أو أعضاء في محاكم، يحكمون ولكن حكمهم حكم ابتدائي، قد يُستأنف هذا الحكم في محكمة أعلى يسمونها (محكمة الاستئناف)، وقد لا ينتهي الأمر بذلك؛ فيكون هناك حكم في محكمة أخرى تسمى في بعض البلدان (محكمة التمييز)، وفي بعض البلدان (محكمة النقض)، فحكم بعد حكم بعد حكم، أمَّا الله تعالى فلا مُعَقَّبَ عليه، ولا رادَّ لقضائه، ولا يستطيع أحد أن يقول: هذا الحكم لا يُقبل.

الحكم القدري الكوني:

الحكم في الحقيقة: إما في الدنيا وإما في الآخرة، والحكم في الدنيا نوعان أيضًا: هناك حكم كوني قدري، وهناك حكم شرعي أمري، لله

(١) كما في الحديث المتفق عليه: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط». رواه البخاري في (٢٤٠)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٤)، عن ابن مسعود.

هذان الحكمان، الله هو الذي يحكم: أي يجري أقداره في عباده؛ وفقاً لسننه التي ربط بها بين الأسباب والمسببات، وأقام عليها نظام هذا الكون، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، الحكم القدري الكوني أن ينفذ أمر الله كما أراد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. أمره بين الكاف والنون، هذا هو الحكم القدري الكوني، ما حكم الله بأن يجري في هذا الكون: سيمضي ولا محالة.

حينما قضى الله أن ينتقم من فرعون وملئه، وأن يمكّن لبني إسرائيل المستضعفين في الأرض أجرى أقداره، لم يقف أحد في سبيل هذه الإرادة، كما قال ﴿وَإِنْ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذَّبِحْ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٤-٦]. أراد الله هذا، حكم الله بهذا حكماً قدرياً كونياً.

انظروا كيف نفذ الله ما حكم به، فرعون كان محتاطاً لأمره، يذبح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم، يستبقي النساء للخدمة والمتعة ويذبح الذكور، ولكن الذكر الوحيد الذي سيزول ملك فرعون على يديه، يشاء الله أن ينجو، وينجو بأعجوبة، يقول الله لأمه: ﴿فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]. وفعلاً وضعت في التابوت وألقته في نهر النيل، ووصل التابوت إلى فرعون، فأراد أن يقتله في أول الأمر؛ فهياً الله له من يحميه، قالت امرأة

فرعون: ﴿قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩].
والقصّة معروفة، نشأ هذا الغلام الغريب في بيت فرعون إلى أن كان ما كان! فالله ﷻ يُنْفِذُ أقداره، ما حَكَمَ به من أسباب قد نعرفها وقد لا نعرفها، وبصُور قد تخطر على البال وقد لا تخطر، فالله ﷻ نَفَّذَ إرادته وأهلك فرعون وجنوده على يد موسى الذي تربى في قصر فرعون.

أحكم الحاكمين وخير الحاكمين:

الله ﷻ يحكم ما يريد، ويقضي بما يشاء، ولا رادّ لقضائه، هو الحاكم، بل هو أحكم الحاكمين، وخير الحاكمين، وصفه القرآن بوصفين: ﴿أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، ﴿خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: ٨٠]. لا يوجد حاكم يساويه، أو يقاربه، أو يدانيه في قدرته على تنفيذ ما يريد، وفي عدله في حكمه، قد يمهل فيظن الناس الظنون، ولكن كل شيء عنده بأجل مسمّى، الناس يقولون: كل شيء بأوان. وفعلاً كل شيء بأوان، بأجل محسوب بالدقيقة والثانية، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

كم سنة مرت حتى نفذ أمر الله في هذه القضية؟ بعد أكثر من أربعين سنة من ميلاد موسى ﷺ نفذ هذا الأمر! الله تعالى خير الحاكمين، وهو أحكم الحاكمين، ولذلك يقول الله تعالى لرسوله: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]. اصبر حتى يحكم الله، لا تيأس، ولا تظن أن الله قد نسيتك أو تخلى عنك أو غفل عن هؤلاء الظالمين، لا، هو لا يغفل، إنه يُمهّل ولا يُهمّل، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَأَمَلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿ [القلم: ٤٤، ٤٥].

هو خير الحاكمين، ولذلك قال سيّدنا شعيب لقومه: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِءِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٧]. لن يدع الأمر لأهواء الناس، لا، بل كل شيء عنده بمقدار، كل شيء خلقه بقدر، وكل شيء يأتي في مواعده المحدد.

ولذلك حينما هدّده قومه بإخراجه من القرية، قال: ﴿قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَخَّنا اللَّهُ مِنهَا﴾ [الأعراف: ٨٩]. خرجنا من ملّة الكفر أنعود إليها؟! ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩]. والفتح هنا بمعنى الحكم أيضاً، يفتح بينهم؛ أي: يحكم بينهم، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿قَدْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٨، ٢٩]، يوم القيامة هو يوم الفتح الأعظم، اليوم الذي يحكم الله فيه بين عباده.

هذا هو الحكم الكوني، كثير ممّا يذكر في القرآن من الحكم لله: يقصد بها الحكم الكوني، كما قال سيّدنا يعقوب لأبنائه: ﴿يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أُلْحَمْتُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]. الحكم: أي القضاء لله عز وجل، هو الذي يقضي الأمور كما يشاء؛ وفق حكمته التي يعلمها من يعلمها، ويجعلها من يجعلها، ﴿إِنْ أُلْحَمْتُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾، فالحكم هنا هو الحكم الكوني، لأنّه قال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. وهذا أشبه بالحكم الكوني.

الحكم الأمري الشرعي:

وهناك الحكم الأمري أو الحكم الشرعي، الحكم الذي فيه أمر ونهي، وتحليل وتحريم، وإيجاب واستحباب، هذا حكم شرعي، وهو الذي بحث فيه الفقهاء والأصوليون والعلماء ليستنبطوا أحكام الشرع التي يُخاطب بها المُكَلَّفون، فالله هو الحاكم هنا والحاكم هنا، ولذلك يقولون في علم الأصول: إنَّ الحاكم هو الله. هناك الحكم الشرعي من حلال وحرام وإيجاب واستحباب إلى آخره، لكن مَنْ الحاكم؟ الحاكم هو الله.

ولذلك قال علماء الأصول من أهل السنَّة: إنَّ هذا أمر اتفق فيه المعتزلة وأهل السنة، أنَّ الله هو الحاكم. لا يستطيع أحد أن يوجب أو يفرض، أو يستحب أو يحلل، أو يحرم إلاَّ الله وَعَلَيْكُمْ، ليس هذا من اختراع المودودي أو سيّد قطب كما يظن بعض الناس، لا، بل الجميع مجمعون على أنَّ الحاكم هو الله، هو صاحب الأمر والنهي، هو صاحب الخلق والأمر، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، الكون مملكته، فهل يستطيع أحد أن يحكم في هذه المملكة ويقول: افعل هذا، ولا تفعل هذا؟ مَنْ أنت؟ لا يستطيع أحد أن يحكم ويأمر وينهى، ويحلل ويحرّم إلاَّ صاحب المملكة، إلاَّ خالق الخلق ومالك الملك، وهو الله تبارك وتعالى، فالله هو الحاكم المُشرِّع، ولهذا جاء في القرآن قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]. أنريد حكمًا غير الله؟ وهو الذي أنزل إلينا الكتاب مُفَصَّلًا: بيّن فيه الهدى من الضلال، والحق من الباطل، والحلال من الحرام، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٨٩]. وضع فيه الأصول والقواعد والمبادئ الكلّية، التي يحتاج إليها الناس في دينهم؛ فليس معنى أن القرآن

تبيان لكل شيء: أن يبين الله لنا فيه علم الكيمياء والفيزياء والأحياء والفلك، لا، فهذا لا يتصوره عاقل، إنما أنزل إلينا كل ما نحتاج إليه في أمر ديننا.

كل هذا الذي جاء بيانه في القرآن هو على أساس الأصول لا الفروع، والكليات لا الجزئيات، فكلها في كتابه العزيز، ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، فالتفصيل هنا للمبادئ والقواعد، التي تحتاج إليها البشرية في مسيرتها.

الله تعالى هو الحاكم بمعنى أن له الحاكمية التشريعية العليا، ثم تأتي السنة مبيّنة ومُخَصَّصة ومُفَصَّلة، ثم يأتي العلماء ليستنبطوا في ضوء هذا القرآن وتلك السنة، فالله هو الحاكم في هذا كله.

معنى اسم الله العدل:

وهو حاكم عادل، الحكم العدل، هو عدل في خلقه، وعدل في أمره، عدل في الجانب التكويني، وعدل في الجانب التشريعي، فما خلقه سبحانه: خلقه على أحسن وجه.

العلماء يقولون: العدل وضع الشيء في موضعه، أو إعطاء كل ذي حق حقه. فإذا نظرنا إلى العدل في الأشياء؛ فكل شيء يوضع في موضعه الصحيح تمامًا، حينما يخلق الله الشيء: يخلقه في أفضل الأوضاع التي يؤدي فيها رسالته، كما قال الله **وَعَلَىٰ**: ﴿الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠]. أي: أعطاه ما يتم به خلقه، ما يؤدي به رسالته، ما يحقق به الهدف من وجوده، وكل مخلوق أعطاه الله نوعًا من الهداية تلائمها حتى يؤدي دوره، فهذا العدل في الأشياء.

العدل في الأشخاص:

والعدل في الأشخاص أن يعطي كل ذي حقَّ حَقَّهُ، لا يبخس أحدًا حَقَّهُ، وبالحد الذي يُحتاج إليه بلا زيادة ولا نقصان، ولو أن هذا الكون كان على غير هذه الصورة التي خلقه الله عليها ما أمكن أن تقوم الحياة على الأرض، هناك بعض العلماء الأمريكيين ألف كتابًا يبيّن أن خلق الإنسان على حالته هذه: هو أمر مقصود لله وَعَجَلٌ، أو به استدلال على وجود الله، أن كل شيء في هذا الكون: وضع الشمس بحجمها وبحرارتهما وبكذا، وبُعدها عن الأرض، والأرض وحجمها، ومدى قربها من الشمس، ودورانها، وكمية الأكسجين الموجودة، ومقدار الماء عليها بالنسبة لليابسة، كل شيء لو تغيّر عما هو عليه ما أمكن أن تقوم الحياة على هذه الأرض، هناك عدل، هناك مَنْ يضع كل شيء في موضعه، ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار: ٧]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣]، كل شيء في هذا الكون موضوع في مكانه وفي مرتبته؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها:

الله سُبْحَانَهُ وَعِزَّتُهُ عادل فيما خلق، وعادل فيما أمر، فما كلفنا به كلفنا في حدود الوسع، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لا يكلف أحدًا بما يخرجه، ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، بل يسّر علينا أمر الدين، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].



عدل الله في أقداره:

الله وَعَجَّلَ فيما قضاه وقدره، وفيما أمر به وشرعه: كان عادلاً كل العدل، قد يخفى على الناس بعض أقداره، وقد يخفى على الناس بعض أحكامه، ولا يفهم لها حكمة، ولكن ثق أن كل أفعال الله وَعَجَّلَ لا تخلو عن حكمة، ولا تخلو عن العدل، وكل أحكام الله وَعَجَّلَ لا تخلو عن العدل، ولا تخلو عن الحكمة.

أضرب لكم مثلاً في أحكام الله وَعَجَّلَ، بعض الناس يقولون: لماذا عذب الله سيّدنا يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ بحرمانه من أحب أولاده إليه سيّدنا يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقدر أن يتعد عنه مدة طويلة، لعشرات السنين، لماذا أتعب الله سيّدنا يعقوب وعذبه وبكى، ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. لماذا فعل الله هذا؟

كان وراء ذلك حكمة بالغة عرفناها بعد ذلك، عرفنا أن المنطقة كلها ستصيبها كارثة القحط والمجاعة، تأتي على مصر وفيها النيل، سيجف النيل سبع سنوات، ومصر مخزن غلال للمنطقة كلها، فأراد الله وَعَجَّلَ أن يكون الرجل الذي بيده الحل، والذي يستطيع أن يخطط لهذا الأمر، وأن يشرف على الخطة وينفذها: هو يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، كيف يمكن أن يتم هذا إلا بما حدث؟ ما الذي سيأتي بيوسف بن يعقوب إلى مصر ويكون قريباً من الأحداث ومجرياتها ومن صنّاع القرار؟ ما كان يمكن أن يحدث هذا إلا بما حدث، أن يباع سيّدنا يوسف لبعض القوافل، وأن تبعه القافلة في مصر، وأن يشتريه عزيز مصر، وأن يحدث له ما حدث هناك، ليكون على رأس المنفذين لهذه الخطة التي أنقذت مصر وما حولها.

الحكم العدل في الآخرة:

كل ما يجري أيها الإخوة في هذا الكون يجري بعدل، ويجري بحكمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، هذا في الدنيا، وفي الآخرة الله يحكم بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ * الله يحكم بينكم يوم القيمة فيما كنتم فيه تختلفون ﴿[الحج: ٦٨، ٦٩]. ويقول لليهود والنصارى، يحسم الجدل بينهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣].

الله سيحكم بين الجميع يوم القيامة، ويعطي كل ذي حق حقه، لا يضيع لأحد حق عند الله ^{وَعَلَىٰ}، ولا يخاف ظلماً ولا هضمًا: أن تهضم حسناته أو يحمل سيئات غيره، لا يظلم ربك أحدًا، هناك الكتاب والميزان، حينما تُنصب الموازين، وتنشر الدواوين، وكل أحد يتسلم كتابه، ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ * مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَىٰ ﴿[الإسراء: ١٤، ١٥].

وقد قالوا: إن هذا الكتاب يقرؤه الأمي والقارئ. ولذلك أنا أشبهه بالشريط السينمائي يتضمّن حياتك كلها، الجميع يرون فيه أعمالهم، ولذلك القرآن يقول: ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]. كان المُفسِّرون قديمًا يقولون: يرى جزاء عمله وليس عمله، لأن العمل انتهى. والفلسفة القديمة تقول: العمل عرض، والعرض لا يبقى زمنين. أي أنه حدث في زمانه وانتهى.

أمّا الآن، فالعلم يقول: لا، بل كل شيء موجود، أقوالنا موجودة،

وأعمالنا موجودة، يمكن للإنسان أن يخترع أشياء يجد فيها أقواله وأعماله الماضية، وصورة للمكان الذي كان فيه وهو يفعل الخير أو الشر، ولعل أدوات التصوير الحديثة تُقرب هذا الأمر، فالإنسان سيرى عمله كأنه شريط يراه بعينه، ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، ﴿[الزلزلة: ٦-٨]، ثُمَّ تُنصب الموازين، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلِنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، كل واحد سيأخذ حقه: ثوابًا، وعقابًا؛ إِلَّا مَنْ عفا الله عنه أو شفع له شافع أو نحو ذلك.

في جانب الفضل والحسنات: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. وفي الجانب الآخر هناك فضل من الله وَجَبَّكَ أَيضًا: «الحسنة عندي بعشر أمثالها أو أزيد، والسيئة عندي بواحدةٍ أو أعفو»^(١). ففضل الله ﷻ في هذا اليوم عظيم.

حظ العبد المؤمن من اسم الله الحكيم العدل:

الله تعالى هو الحكيم العدل، ويجب أن يكون حظنا من هذين الاسمين أن نحكم بين الناس بالحق، ونعدل بين الناس، لا نتبع الهوى، ولا نتبع العواطف؛ بل ينبغي أن نكون حُكَّامًا عُدولًا.

(١) رواه البزار (٣٩٨٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦٤٦)، عن أبي ذر. وفي الصحيحين عن أبي هريرة: «إذا أحسن أحدكم إسلامه: فكل حسنة يعملها تُكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها». رواه البخاري (٤٢)، ومسلم (١٢٩)، كلاهما في الإيمان.

ذكر الله لنا في القرآن قصة داود عليه السلام: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبُؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴿ [ص: ٢١، ٢٢]. هو في محرابه يتعبد منفردًا؛ وفجأة وجد هؤلاء أمامه، ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحَكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا نُشِطُ﴾ * [ص: ٢٢]. لا تتعد عن الصواب، ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ * [ص: ٢٢]. نحن لا نريد منك إلا أن تسمع منا وتحكم بيننا بالحق، فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ * [ص: ٢٣]. فقال داود: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِّكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ * [ص: ٢٤]. أهكذا يا داود تسمع أحد الخصمين ولا تسمع الآخر، وتحكم قبل أن تسمع لحجة الطرف الثاني؟! قال الرجل: ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ *. أي غلبنى خصمي. وهذا يعني أنه كان عنده منطق لكنّه لم يستطع أن يتكلم، فلعله يقول له: بدل أن تروح وتغدو بنعجة واحدة ترعاها ضمّها معي، ثم نتحاسب فيما بعد عما لك عندي. لعله كان يقول هذا، بدليل أنه عزّه في الخطاب وغلبه، لكن داود عليه السلام استعجل بحكم العاطفة.

الحكم لا يتبع العواطف والأهواء:

والحكم لا ينبغي له أن يتبع العواطف والأهواء، ينبغي أن ينظر في الأمور نظرة هادئة حكيمة، أمّا أن يحتكم إليك بعض الخصوم؛ فلا تسمع لأحد الخصمين، ولا تعرف موقفه، وتحكم للطرف الآخر، هذا ليس شأن الحاكم، ليس شأن أي إنسان مسؤول؛ سواء كان قاضيًا، أو مديرًا، أو عميدًا أو محافظًا، أو وزيرًا أو رئيسًا، أو أميرًا أو ملكًا، لا بدّ أن يسمع للطرفين، إذا لم يسمع للطرفين فهو ظالم.

هناك مثل عامي يقوله الناس: إذا جاءك أحد الناس وقد فُقت إحدى عينيه؛ فلا تحكم له حتى ترى الخصم الآخر؛ فلعله فُقت عيناه الاثنتان. هذا منطوق العدل، ولذلك عرف سيّدنا داود أنّه أخطأ الحكم، ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ [ص: ٢٤، ٢٥]، إنّها غلطة واحدة استدركها واستغفر منها، وسجد لله وَعَجَّلَ، ولذلك قال الله تعالى بعدها: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. لا تتبع العواطف وتتأثر بها، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

الظلم ظلمات يوم القيامة:

علينا أن نتعلم من اسمي (الحكم العدل)، بأن نكون حكمًا عادلين، ولا نتعرض لظلم مخلوق؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، فالظالم يُعاقب على ظلمه في الدنيا قبل الآخرة، العلماء يقولون: هناك أشياء يعاقب الإنسان في الدنيا قبل الآخرة، منها البغي، والبغي يعني الظلم، يعني: الاعتداء على حقوق الآخرين، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٢٣]، ومنها المكر السيئ، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]، والغدر والنكث بالعهود، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]، فليحذر الإنسان أن يظلم، إذا ظلمت فإنك بالمرصاد لعقوبة الله، والله لا يغفل ولا ينسى، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، والنبِيُّ ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ - يمهله - حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (١).

(١) سبق تخريجه ص ١٥٩.

عقوبة الله بالمرصاد للظلمة، أيًا كان هذا الظلم، لا تستصغر أيّ ظلم يقع منك، ولو كان شتمة لأحد، أو غيبة في حقه، أو أي شيء من هذا لا يضيع أبدًا عند الله وَعَجَلٌ، اللهُ تعالى وراء الظالمين، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٥٢]، ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهَلَّكْنَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩].

أسأل الله تعالى أن يبعدنا عن الظلم والظالمين؛ فإنَّ الله يُحذِّرنا أن نكون من الظالمين، أو نكون عونًا لهم، ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة:

لي كلمتان في هذه الخطبة الثانية:

رسالة إلى القمّة العربيّة:

الكلمة الأولى أوّجَّهها إلى القمّة العربيّة، التي تنعقد في ليبيا، أوّجَّهها إلى قادة العرب، إلى حكام العرب، إلى ملوك العرب، ورؤساء العرب، وأمراء العرب، أحملهم المسؤولية أمام الله، وأمام شعوبهم، وأمام التاريخ، أحملهم مسؤولية المسجد الأقصى الذي يتعرّض للزوال، الذي يتعرّض للهدم، الذي يتعرّض لكلّ البلايا والمصائب والكوارث.

ونحن لا ندري ما يحدث غدًا أو بعد غد للمسجد الأقصى، قد ننام ليلة ونستيقظ فنجد الصهاينة قد أزالوا هذا المسجد من الوجود، قد أصبح بناء منهارًا، وهو يوشك أن ينهار، نحن لا ندري ماذا يفعلون تحته، وماذا يفعلون فوقه، الأمّة غافلة عن هذا، المسجد الأقصى يتعرض إلى أخطار هائلة ممّا يُبنى تحته، وممّا يُفعل فوقه، أكثر من ستين كنيسة بُنيت حول المسجد الأقصى.

وآخر هذه المخاطر هذا الذي يسمونه (كنيس الخراب)، نسأل الله أن يخرب بيوتهم كما فعل في بني النضير، ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحشر: ٢]، اللهم أخرج بيوت هؤلاء الصهاينة بأيديهم وأيدي المؤمنين، هذا الكنيس هو عندهم علامة من العلامات المؤذنة بقرب زوال الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم، الهيكل الثالث، أو المعبد الثالث،

ومنذ دخلوا عام ١٩٦٧م. وهم يبحثون عن أي أثر يدل على هذا الهيكل المزعوم، ولم يجدوا أي أثر يدل على أن هذا الهيكل كان هنا، هم يحلمون بهذا الأمر.

ونراهم في كل جمعة يصطدمون بالمصلين، حيث لا يسمحون لشاب عمره خمس عشرة سنة، ولا عشرون سنة، ولا أربعون سنة، لا بد أن يكون شيخاً كبيراً عمره خمسون سنة وما فوق، حتى يسمحوا له، بأي حق تمنعون الناس أن يؤدوا صلواتهم وشعائر دينهم في مسجدهم، في مدينتهم، في بلدهم؟! ولكن استهانوا بنا!

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامٌ^(١)

ما عاد يهمهم شيء، كان الناس قديماً يهيجون ويغضبون، ويثورون لإخوانهم، حينما أحرق منبر صلاح الدين سنة ١٩٦٩م. هاجت الأمة الإسلامية، وهاج العالم الإسلامي، وهاج المسلمون في المشارق والمغرب، من أجل منبر صلاح الدين، الآن المسجد الأقصى كله وما حوله مهدد؛ والأمة لا تفعل شيئاً!

وقادة الأمة الذين حملهم الله المسؤولية عن حماية المقدسات، وعن حماية الحرمات، وعن حماية الأرض والعرض، هؤلاء الحكام لا يفعلون شيئاً، وينتظرون أن تمنّ عليهم إسرائيل، تتصدق عليهم بدولة فلسطينية!

يا قوم، اقرؤوا التاريخ، واقروا الواقع، لا يمكن أن تأتي الحرية للناس والسيادة على الأوطان: صدقة عليهم من عدوهم، خصوصاً من اليهود، أظن أن اليهود يتصدقون عليك؟! اليهود أبخل الناس، وأحرص

(١) ديوان المتنبي ص ١٦٤، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

الناس على حياة، كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ
الْأَنَاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣]. إذا كانوا لا يؤتونك نقيرًا أيؤتونك دولة مجانًا؛
إذا لم تجاهد ولم تقاوم ولم تؤدّ ما عليك؛ حتى تأخذ دولتك أخذًا؟!
قالوا قديمًا: ما أخذ بالسيف لا يُسترد إلا بالسيف. وفلسطين أخذت منا
بالسيف والدم، والإرهاب والقتل والمجازر!

نريد من قادة العرب أن يقفوا مع المقاومة، وأن ينادوا بأن فلسطين
لا يمكن أن تُسترد إلا بالمقاومة، أمّا أن يتآمروا على المقاومة، ويظنوا
أنّ المفاوضات المباشرة وغير المباشرة ستجلب لهم الحق فهذا وهم.

قرّروا من قريب أن يدخلوا مع الإسرائيليين في مفاوضات غير مباشرة،
وجاءت الصفعة من نتياهو صريحة برفض هذه المفاوضات، ويقول: إذا كان
الفلسطينيون يريدون وقف الاستيطان فلا مفاوضات مباشرة ولا غير مباشرة،
إنّ بناء المستوطنات في القدس مثل بناء المستوطنات في تل أبيب. هكذا
قال، ومع هذا نجد من يريد أن يلحق الأذى، ما هذا يا قوم؟! يا عرب،
يا مسلمون، يا رجال، يا أحرار، لا يمكن أن تؤخذ الحقوق بهذه الطريقة.

نادي حكمانا وزعماءنا، وقادتنا المسؤولين عن الأمة، نريدهم أن
يقفوا وقفة رجولية مرّة واحدة، نريد أن يقفوا مع الشعب الفلسطيني، مع
أهل غزّة، ومع أهل الضفة الذين لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا، ممنوعون
من المقاومة في الضفة.

نريد من حكام المسلمين أن يقفوا مع الفلسطينيين ويقولون: نوّيد
المقاومة ما دامت إسرائيل متعنّته إلى هذا الحد، وما دامت ترفض كل
مفاوضة مباشرة وغير مباشرة، وما دامت مستمرة في اغتصاب الأرض،
ومستمرة في بناء المستوطنات. لا بدّ للعرب أن يقفوا هذه الوقفة.

وندعو الشعوب العربيّة والإسلاميّة كلها: أن تقف مع الإخوة الفلسطينيين، وأن تقف ضد اليهود الغاصبين الطامعين، الذين لا يُشبع نهمهم شيء، هم يريدون أن يحققوا حلمهم (إسرائيل من الفُرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل)، ولكنها خطوة خطوة، فحتى فلسطين لن يقفوا عندها.

نريد أن يقف الجميع مع إخواننا، وأن يُفعلوا المقاطعة، مقاطعة بضائع إسرائيل وأمريكا، أنا أنادي الشعوب العربيّة والإسلاميّة: أن يُفعلوا هذه المقاطعة، والله إنّ لها لتأثيرًا كبيرًا، حتى لو اقتصر على الشعوب، ويمكن أن نضغط على الحكومات، هذه هي كلمتي الأولى.

تحية إلى ليبيا:

الكلمة الثانية هي تحية للجماهيرية الليبية وقائدها مُعمر القذافي؛ لأنّهم أفرجوا عن أكثر من مائتين من السجناء، وبعضهم كانوا من القاعدة المقاتلة، ونحن نرحّب بكل خطوة فيها مصالحة بين الشعوب والحكام. وأنا أذكر أنّي لقيت العقيد القذافي منذ حوالي ثماني سنوات، وشفعت عنده في مجموعة كان محكوم عليها بالإعدام، وقلت له: إن كل شيء يمكن أن يستدرك إلاّ الإعدام. إذا أعدمتم إنسانًا هل تستطيع أن تعيده إلى الحياة؟ انتهى أمره، لكن إذا سُجن عددًا من السنوات يمكن أن يستدرك ما أمضاه في السجن، يمكن أن يُستدرك أي حكم إلاّ الإعدام، والحقيقة أنّ الرجل كان كريمًا واستجاب لي، ولم يصدر حكم الإعدام في هذه المجموعة، وأُفرج عنها قبل ذلك، وهناك مجموعة أكثر من هذه المائتين يُنتظر أن يُفرج عنها.

نحن نحیی كل حاکم یقوم بهذه الخطوات فی التقرب بین الشعب والسلطة، لا کالذین یقدمون كل عدة آیام مجموعة لمحاكمات عسكرية لأناس غیر عسكريین، وهكذا نزل یخبط بعضنا بعضًا، ویضرب بعضنا بعضًا، وكل هذا علی حساب الأمة، لا نوجه قوانا إلى عدونا، للأسف یقاتل بعضنا بعضًا فی أكثر من بلد، فی الیمن، فی الصومال، فی باكستان، فی غیر ذلك، لماذا لا نوجه قوانا نحو عدونا الذی أذلنا، وأخضع رقابنا، وسفك دماءنا، وشرد أهلنا، وفعل بنا ما فعل.

أرجو من أمتنا أن تستدرك علی نفسها، وأن تثوب إلى رشدھا، وأن تجمع صفوفھا، وأن یقف الجميع صفاً واحداً فی هذه المعركة؛ كما قال الله تعالی: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بُنِينَ مَّرْصُوصًا﴾ [الصف: ٤].

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذین سبقونا بالإیمان، ولا تجعل فی قلوبنا غلاً للذین آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحیم، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم علیك بالیهود الغاصبین الظالمین الباغین الطاغین، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزیز مقتدر، اللهم أنزل علیهم بأسك الذی لا یرد عن القوم المجرمین، اللهم یا منزل الكتاب، ویا مجری السحاب، ویا سریع الحساب، ویا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا علیهم، اللهم خذ بید إخواننا المجاهدین فی فلسطين وفي كل مكان، اللهم افتح لهم فتحاً مبیناً، واهدیم صراطاً مستقیماً، وانصرهم نصرًا عزیزاً، وأتم علیهم نعمتك، وأنزل فی قلوبهم سكينتك، وانشر علیهم فضلك ورحمتك، اللهم لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علینا بذنوبنا من لا یخافك ولا یرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمین.

١٤

المنتقم العفو^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً مع أسماء الله الحسنى، واليوم نتحدث عن اسمين من أسماء الله تبارك وتعالى، وهما (المنتقم العفو)، وهذان الاسمان من الأسماء التي يقترن أحدهما بالآخر، ولا ينبغي فصل أحدهما عن الآخر، خصوصاً فصل ما ينبىء بما لا يليق بالله وَعَجَبٌ، مثل (الضار النافع)، أو (الخافض الرافع)، أو (القابض الباسط)، أو (المُعزّ المُدلل)، فهذه أسماء مزدوجة مشتركة، لا يصح أن تُفرد الضار دون النافع فتقول: الله الضار. لا ينبغي أن تصف الله بالضار مطلقاً، أو بالخافض أو بالقابض فقط، لا، بل هو قابض وباسط، وخافض ورافع، وضار ونافع، ومعطٍ ومانع، ومضحك ومُبكٍ، ومحبي ومميت، هذه أسماء مزدوجة.

ولذلك سمى الناس في تسمياتهم بالجانب الإيجابي ولم يُسمُوا بالجانب السلبي، اتَّخذوا اسم (عبد النافع)، ولكن لم يسم أحد (عبد الضار)، سموا (عبد الباسط)، ولعلَّ أحدًا لم يُسم (عبد القابض)،

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢ أبريل ٢٠١٠م.

سَمَّوَا (عبد المُعِزِّ)، ولم يسمَّ أحد (عبد المُذِلِّ)، سَمَّوَا (عبد العَفْوِّ)، ولم يسمَّ أحد (عبد المنتقم)، وهكذا، فأنا أرى أن هذين الاسمين هما مزدوجان ومتلازمان (المنتقم العفو).

معنى اسم الله المنتقم:

أنكر الإمام ابن القيم أن يكون من أسماء الله (المنتقم)^(١)، فإذا أراد بأنه لا اسم منفرد بهذه الصيغة فلا مانع، لكن المعنى موجود في القرآن الكريم، وقد شرح هذا الاسم الإمام الغزالي في كتابه (المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنی)، فقال: المنتقم هو الذي يقصم ظهور العتاة، وينكل بالعصاة والجناة، ويشدد العقوبة على الطغاة، مع الإعذار والإنذار والتمكّن والإمهال^(٢). فهو يعاقب هؤلاء؛ ولكنّه لا يعاجلهم بالعقوبة، يعطيهم فرصة بعد فرصة، ويُعذّر ويُندّر، ويعطيهم مهلة بعد مهلة، ثمّ يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، بعد أن يملي لهم ويمهلهم، ثمّ تكون العقوبة، فهذا هو المنتقم.

ومن قرأ القرآن وجد هذه المادّة (الانتقام) في الأفعال والأسماء، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ [الزخرف: ٤١]، وقال عن مشركي قريش: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. ف جاء بهذه المادّة بصيغة الجمع، وصفاً لله وَجَلَّ.

وجاء بهذه المادّة فعلاً ماضياً، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وهكذا تكررت بصيغة

(١) بدائع الفوائد (١/١٦٧).

(٢) المقصد الأسنى ص ١٣٩، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، نشر الجفان والجابي، قبرص،

ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

الفعل الماضي في أكثر من آية في القرآن الكريم، انتقم الله من أعدائه المتجبرين في الأرض مثل فرعون وملئه، ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٦﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

وأحياناً تأتي في صيغة الفعل المضارع، كما في قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥].

ولكن لم تأت بصيغ فعل الأمر (انتقم)، أو حتى بصيغة دعاء، جاء الفعل (انتصر) في دعاء سيدنا نوح، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾ [القمر: ١٠]. ظلَّ سيدنا نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه ليلاً ونهاراً، فلم يزداهم دعاؤه إلا فراراً، ظلَّ صابراً عليهم هذه المدة، أي صبر هذا؟! إنه صبر نوح، ثم ضاق بهم ذرعاً، إنهم لم يلدوا إلا فاجراً كفاراً، الولد مثل أبيه، والبنت مثل أمها، العصا من العصية، والحيّة لا تلد إلا حيّة، فقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ [نوح: ٢٦]، ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾. انتصر هنا بمعنى انتقم، لكن لم تجئ هذه بصيغة فعل الأمر أو صيغة الدعاء.

عزيز ذو انتقام:

وتكررت صيغة (ذي انتقام) أربع مرّات في القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾ [آل عمران: ٤]، ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة: ٩٥]، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم: ٤٧]، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧].

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾؟ بلى هو عزيز، وذو انتقام، ولكنه

لا ينتقم إلا بعد أن يُعذر ويُندر، ويمهل ويملي، ثم ينزل عذابه شديداً ذا بطش، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]، ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]، فهذا هو الانتقام من الله وَعَزَّ وَجَلَّ.

لا نغضب لأنفسنا:

ونحن حينما نقتبس من هذا الاسم، ماذا نقتبس منه؟ نقتبس منه أننا لا نغضب لأنفسنا، ولا نعاجل أعداءنا بالعقوبة، بل نكون كما علّمنا الله، نمهل ونمهل، ثمّ حينما يفيض الكيل، وحينما يطغى السيل، لا بدّ في هذه الحالة أن نغضب للحق.

وهذا ما كان عليه النبي ﷺ، فما كان ينتقم لنفسه قط، وإنّما ينتقم إذا انتهكت حرّمة الله ^(١)، يغضب لله وَعَزَّ وَجَلَّ، أمّا ما كان في شأن نفسه؛ فهو حلّيم، يعفو ويغفر. إحدى الجوارى عنده أساءت في أمر؛ فغضب عليها، ولكنّه أمسك نفسه وقال لها: «لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك» ^(٢). ليس بالعصا ولا بالكرباج، لا، فكان من طبيعته أن يعفو ويصفح.

المسلم يأخذ نصيباً من اسم (المنتقم)، وينتقم في حدود، ليس الأمر مفتوحاً، ينتقم كما يشاء، ومتى يشاء، وبما يشاء، لا، هناك حدود في كل شيء، والله سُبْحَانَهُ وَعِزَّتُهُ علّمنا متى ننتقم، وكيف ننتقم.

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله بها. رواه البخاري في المناقب (٣٥٦٠)، ومسلم في الفضائل (٢٣٢٧)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجوّد إسناده الهيثمي في المجمع (١٨٤١١)، وضعفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود (يوم القيامة) ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

العفو خير من الانتقام:

وأفضل من الانتقام العفو لو قدرنا عليه، إذا استطعت أن تنتقم تستطيع أن تعفو، في المسيحية ذكروا عن المسيح أنه قال: مَنْ ضربك على خدك الأيسر؛ فأدر له خدك الأيمن، وَمَنْ سرق قميصك فأعطه إزارك، وَمَنْ سَخَّرَكَ لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين^(١)! لكن هذه قد تصلح آداباً لبيئة خاصّة، وجماعة خاصّة، ولا تصلح لكلّ الناس، ولكلّ البيئات، ولكلّ الأزمان، ولكلّ الجماعات، فهناك من إذا ضربك على خدك الأيمن وأدرت له خدك الأيسر: لم يستحِ وضربك على خدك الأيسر، وهناك من لا يتحمّل أن تضربه على خده فيقتلك، وهكذا.

أمّا ما جاء به مُحَمَّدٌ ﷺ فكما قال القرآن: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ * وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿ [الشورى: ٤٠، ٤١]. هناك مرتبة العدل: أن تجزي السيئة بمثلها، وهناك مرتبة الفضل: أن تعفو، ولكلّ مرتبة أهلها.

الله تعالى لا يعاجل بالعقوبة:

الله ﷻ يُمهّل ويُنذر ويُعذر، ثمّ ينتقم؛ حتّى لا يتمادى الطغاة في طغيانهم، وهكذا ينبغي أن يكون المؤمنون على كل حال، الله ﷻ لا يعاجل بالعقوبة؛ حتّى إنّ بعض الناس ربّما يقول: دعوت ودعوت فلم يستجب لي. فييأس ويكف عن الدعاء، ولكن ينبغي للإنسان أن يصبر على سنن الله؛ فإنّ لله سنناً لا تبدّل، وهو لا يعجل بعجلة أحدكم، إنّما كل شيء عنده بمقدار، وكل شيء عنده بأجل مسمّى، ولا يضيع دعاء

(١) إنجيل متى (٣٨/٥ - ٤٣)، وإنجيل لوقا (٢٩/٦ - ٣٠).

المظلوم، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الصائم حين يُفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعِزَّتِي لأنصرتك ولو بعد حين»^(١). المظلوم سينتصر؛ ولكن بعد حين، قد يقصر وقد يطول، ولكن الله لا ينسى، إذا كان العباد ينسون فالله لا ينسى.

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فالظلمُ ترجعُ عقباهُ إلى الندمِ
تنامُ عيناكُ والمظلومُ مُتَّبِعُهُ يدعُو عليكُ وعينُ اللهِ لم تنمِ^(٢)

اثنان تسريان بالليل والناس نيام: دمة اليتيم، ودعوة المظلوم^(٣).

سهام الليل لا تخطئ:

حكوا من حكايات الرقائق أنَّ امرأة كان لها كوخ بجوار قصر أحد الملوك، فساومها على أن يشتريه منها، فقالت: هذا البيت ورثته من آبائي وأجدادي، وأجد ذكراهم فيه. ولم ترض أن تبيعه له، وسافرت في مرّة من المرّات وعادت فلم تجد البيت، جرفته الجرافات وضمته إلى القصر، فلما جاءت ولم تجد كوخها، رفعت يديها إلى السماء: يا رب، كنت أنا غائبة فأين كنت أنت؟! ودعت على الظلمة والطغاة، وسمعتها أحد أتباع هذا الظالم الطاغية فسخر منها وضحك من دعائها، ولكن ما أسرع ما انتقم الله من هذا الملك الطاغية، وجعل قصره عاليه سافله. وفي هذا يقول الشاعر:

(١) سبق تخريجه ص ١١٨.

(٢) ديوان الإمام علي بن أبي طالب ص ٢٩٨.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في العيال (٦١٣)، من قول أبي الدرداء. تحقيق د. نجم عبد الرحمن خلف، نشر دار ابن القيم، السعودية، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

أتهزأ بالدعاء وتزدرية
سهاً الليل لا تخطي ولكن
فيؤسكها إذا ما شاء ربي
وما يُدريك ما صنع الدعاء
لها أمد وللأمد انقضاء
ويُرسلها إذا نفذ القضاء^(١)

استدراج الله للظالمين:

كل شيء مرهون بوقته، الله يُعجل عندما يشاء التعجيل، ولكن الأصل أنه يمهل، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * وَأُمِّلِي لَهُمُ الْآتَاتِ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

قال العلماء في معنى الاستدراج: كلما أحدثوا معصية، وكلما أحدثوا مظلمة: أحدث الله لهم نعمة. فيتسع رزقهم ويأتي لهم أولاد، وتأتي لهم خيرات، فيظنوا أن كل شيء أصبح لهم، ولا يعلمون مكر الله، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْكَرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤، الأنفال: ٣٠]، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

العضو الغفور:

الله هو المنتقم العفو، الله ﷻ كما ينتقم بهذه القيود والشروط يعفو عمّن يشاء، ويغفر لمن يشاء، فهو العفو الغفور؛ كما جاء في القرآن في عدة آيات: ﴿إِنِ اللَّهُ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٠]، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٩].

والعفو والغفور متقاربان في المعنى، ولكن الغفور يعني: الذي يستر على عباده، لأن مادة (غفر) في اللغة تعني ستر، ومنها المغفر الذي يستتر به المقاتل في الحرب، فغفر يعني: ستر عليهم ذنوبهم.

(١) ذكرها الأبشيهي من غير نسبة في المستطرف ص ١١٧، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.

معنى اسم الله العفو:

ولكن نجد (عفا) معناها محا، ومنه عفت الديار، أي: ذهبت معالمها، فالذي يعفو يمحو السيئات، ويتجاوز عن المعاصي، فهو أبلغ من السّتر، فالله يغفر ويعفو، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، هذا هو معنى (العفو).

ولهذا أمرنا أن نطلب من الله العفو، ولهذا كان من دعاء المؤمنين: ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ومن أفضل ما يسأله العبد من الله تعالى العفو والعافية، في الدّين والدُّنيا والآخرة. السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أقول؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفوٌّ تحبُّ العفو فاعفُ عني»^(١). فالإنسان يطلب العفو من ربه.

المؤمن يقتبس من اسم الله العفو:

وهو مُطالب أيضًا أن يقتبس من اسم الله (العفو) أن يعفو عن الخلق، يتسامح معهم، لا يكون من الذين لا يتسامحون في حق، يريد أن يأخذ حقه كاملاً (١٠٠٪)، لا يتنازل عن شيء، خذ يا أخي من خُلق الله، تخلّق بخُلق الله واعف وسامح، إذا كان لك حقٌ فليس من الضروري أن تأخذ كل حقك، ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، أي: ما سهل، وأنفق من العفو، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، اجعل العفو - السهولة واليسير - خلقًا لك تقتبسه من ربِّ العزة تبارك وتعالى.

(١) رواه أحمد (٢٥٣٨٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الدعوات (٣٥١٣)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه في الدعاء (٣٨٥٠)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٦٤٣)، عن عائشة.

الله تعالى قال لرسوله في شأن المشركين: ﴿ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٩]، وقال في شأن أهل الكتاب: ﴿ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣]، وقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩]. رغم هذه التمنيات السيئة أن ترجعوا كفارًا بعد إيمانكم؛ فلا تحاسبوهم على هذه التمنيات، واعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره، وينصر الحق على الباطل.

عفو الصديق أبي بكر:

وفي حديث الإفك الذي اخترعه المنافقون ليشوهوا سمعة أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق: عائشة بنت أبي بكر، زوج رسول الله ﷺ، وأحب نسائه إليه، أحب المنافقون أن يشوشوا عليها، ويشوهوا سمعتها؛ فأشاعوا ما عُرف بحديث الإفك، اتهموها مع رجل من خيار الصحابة رضوان الله عليه، والذي تولى كبر هذه القضية رأس النفاق في المدينة: عبد الله بن أبي بن سلول.

ومما يؤسف له أن جماعة من المسلمين من الصحابة شاركوا في هذا الإثم، وشاركوا في هذه الرذيلة، ومن هؤلاء أحد أقارب سيدنا أبي بكر اسمه (مسطح)، وكان من الذين ينفق عليهم سيدنا أبو بكر، ويحسن إليهم باستمرار، ولكنه فعل ذلك، فلما عرف أبو بكر ذلك، أقسم ألا يصله منه شيء بعد هذه الحادثة؛ غضبًا لإساءته إلى ابنته وزوج رسول الله.

ولكن الله تعالى أنزل في كتابه قرآناً يُتلى يُعلّم أبا بكر، ويُعلّم الناس أننا لا نجزي السيئة بالسيئة، وهي مرتبة العدل، ولكن يحثنا أن نجزي السيئة بالحسنة، وهي مرتبة الفضل، ﴿أَدْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

نزل قوله تعالى في سياق آيات الإفك في سورة النور: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢]. لا يأتل يعني: لا يحلف، لا يقسم كما أقسم سيّدنا أبو بكر. ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. فقال سيّدنا أبو بكر: بلى أحبُّ أن يغفر الله لي^(١).

رجل تكلم في عرض زوجة رسول الله، وبنت صاحب رسول الله، تكلم بأسوأ الكلام، ولكن الله يريد لمثل أبي بكر الدرجة العليا، لا يريد له درجة العدل، بل يريد له درجة الإحسان والفضل، أن يصل من قطعه، وأن يعفو عمّن ظلمه، وأن يحسن إلى من أساء إليه، هكذا شأن الصّديقين، ﴿أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

الإسلام يربي أبناءه على مكارم الأخلاق:

هذا ما يربي القرآن والإسلام المسلمين عليه، يربيهم على مكارم الأخلاق، على الفضائل العليا، على المثل الرفيعة التي تجعل منهم خير أمة أخرجت للناس.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

الصحابة الذين أثنى الله عليهم في كتابه في سور شتى، وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في أحاديثه، وأثنت عليهم الأمة، وهم الذين فتحوا الفتوح، وهم الذين حفظوا لنا القرآن، ورووا لنا السنن، وهم خط الدفاع الأول في الإسلام، هؤلاء الصحابة ربّاهم الله تعالى تربية عالية، وتربية عالية حتى يقودوا الأمم.

الله ﷻ ربّي رسوله، وأدبه فأحسن تأديبه، وعلمه فأكمل تعليمه ليربي الصحابة، والنبى ﷺ ربّي الصحابة ليربّي بهم الأمم، ليصبحوا قادة للعالمين، أساتذة للدنيا كلها، ولهذا لم يرض منهم إلا المثل الأعلى، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وهكذا كان المسلمون الأوائل لا يقابلون السيئة بالسيئة، ولا يقابلون الرذيلة بالرذيلة، ولا الشر بالشر، وهم قادرون على أن يقابلوا الشر بالشر، ولكنهم أرادوا أن يكون لهم المثل الأعلى، كما قال القائل:

وإنّ الذي بيني وبين بني أبي
فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم
وإن زجروا طيرًا بنحسٍ تمرّ بي
ولا أحملُ الحقدَ القديمَ عليهمو
وبين بني عمّي لمُخْتَلَفٌ جدّا
وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدًا
زجرتُ لهم طيرًا تمرُّ بهم سعدًا
وليس كريمُ القومِ من يحملُ الحقدًا^(١)

هكذا كانت أمّتنا: أمّة أخلاق، وأمّة فضائل، وأمّة مثل عليا، فلا غرو أن سادوا العالم، وأن قادوا الدنيا، وأن أقاموا دولة العلم والإيمان، وأنشؤوا حضارة العدل والإحسان.

(١) القائل: المُقنّع محمد بن ظفر بن عمير الكندي، كما في الحماسة لأبي تمام (٦٠٣/١، ٦٠٤)، تحقيق د. عبد الله بن عبد الرحيم العسيلان، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨١م.



أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا من هذه الأمة المُفضَّلة المميَّزة
المرحومة، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنَّه هو
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:
لي في هذه الخطبة كلمتان قصيرتان:

تعقيب على نتائج القمّة العربيّة:

الكلمة الأولى تعقيب على القمّة العربيّة، التي توقّعنا منها أن تُقرّر شيئاً ذا بال في قضايا العرب عامّة، وفي قضية العرب الأولى والمحوريّة والمركزيّة خاصّة، قضية فلسطين، وقضيّة القدس وما يُهدد به في كل يوم، وقضيّة غزّة وحصارها، وجوع أهلها وصبرهم، ومصابرتهم ومرابطتهم.

وللأسف لم تأتِ القمّة بشيء يُذكر، وهو ما يتوقعه الناس، أنّها قمّة من القمم، وهو ما قاله رئيس الدورة السابقة التي كانت ترأس القمّة العربيّة وهي دولة قطر، وقال أمير قطر: الشيخ حمد بن خليفة في جلسة الافتتاح، وكأنما ينعي هذه الجامعة التي لم تعد تقدر على شيء، لم تعد تقدر على حسم خلافاتها فيما بينها، لم تعد تقدر على حسم قضية واحدة من القضايا المعلقة، وقال: أيُعقل أن هذه الجامعة لا تستطيع أن تقرّر أي شيء في قضية فلسطين، حتّى في قضية حصار غزّة، حتّى في أيّ شيء يتعلّق بالقدس؟! أمّة هي ثلث من مليار من العرب، ووراءهم أكثر من مليار ونصف من المسلمين لا يستطيع أن تفعل شيئاً؟! نجتمع ونبفض، واجتماعات وزراء الخارجيّة، واجتماعات القادة والرؤساء، والاجتماعات هنا وهناك، ولا نستطيع أن نفعل شيئاً!؟

ماذا نقول أمام هذه الكارثة، أمام هذه المأساة؟ إذا كان الرؤساء لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً؛ فماذا يستطيع الناس؟! لم يبقَ إلا شعوب هذه الأمة، إلا جماهير هذه الأمة، عليها أن تنتفض وتغضب لقضاياها، وتقوم عن بكرة أبيها، وتجبر هؤلاء الحُكَّام على عمل شيء، عسى أن يتحرَّك الساكن، وعسى أن يستيقظ النائم، وعسى أن يتنبه الغافل، وعسى أن يُقبل المُدبر، وعسى أن يُقرَّر المُتردِّد، لم يبقَ إلا شعوب هذه الأمة لتقوم بدورها.

تفجيرات مترو الأنفاق في موسكو:

أمَّا الكلمة الثانية، فهي كلمة إنكار واحتجاج، على ما يفعله بعض أبناء المسلمين في بلاد شتى باسم الإسلام، وتحت عنوان الإسلام وراية الإسلام، يقومون بعمل انفجارات تأخذ البريء والمسيء، وتأخذ المدني والعسكري؛ بل تأخذ عامَّة الناس، الذين يذهبون ليركبوا القطارات تحت الأرض وفوقها، كلهم ناس عاديُّون يذهبون ليسعوا على رزقهم، ليسوا من العسكريين ولا من القادة ولا من السياسيين، ما ذنب هؤلاء؟

كيف يستسيغ هؤلاء أن يقتلوا برآء، ليس لهم في العير ولا في النفير، ألم يقرؤوا قول الله تعالى: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٣٢]؟ هَبْ أَنَّهُمْ غير مسلمين، مَنْ قال: إِنَّ غير المسلم دمه مباح؟! إِنَّ الكافر إذا لم يكن من أهل الحرب لا يجوز قتله، ولذلك نهى الإسلام عن قتل المرأة في المعركة، ونهى عن قتل الرهبان، ونهى عن قتل الشيوخ، ونهى عن قتل الأطفال، لأنَّهم ليسوا من أهل القتال؛ كيف يجوز أن نقتل هؤلاء؛ لأنَّ بيننا وبين القادة السياسيين كذا وكذا؟

أنا أنكر هذا، ولا أبيع أن يُقتل إنسانٌ إلاَّ عن بَيِّنَةٍ، إلاَّ أن يستحقَّ القتل، وهذا أمر لا يُفتي فيه كلُّ إنسان، وهذا أمر أساء إلينا، وأساء إلى ديننا، وأساء إلى نبينا، وأساء إلى قرآننا، وأساء إلى أمتنا في المشارق والمغرب، اتُّهمنا بالعنف، واتُّهمنا بالإرهاب، والإسلام بريء من الإرهاب، وبريء من العنف.

وأنا ألفت كتابًا كبيرًا من مجلدين كبيرين اسمه (فقه الجهاد)، أثبت فيه أنَّ العنف ليس من الإسلام في شيء، وأنَّ القتال في الإسلام للدفاع عن الدين والدولة والأرض والحرمان، وليس للهجوم على الناس بغير حق، وأثبت ذلك بالأدلة الناصعة، فهؤلاء الذين يستبيحون دماء الناس في المشارق والمغرب ويقولون: نحن نعمل ذلك باسم الإسلام، وباسم الجهاد الإسلامي. فهذا ليس من الجهاد في شيء، هذا ظلم على الأمة وشر عليها، ولا زالت الأمة تعاني منه إلى اليوم.

وأنا أنادي إخواني وأبنائي في هذه الجماعات المختلفة في شرق الأرض وغربها، وفي شمالها وجنوبها: أن يراجعوا أنفسهم، أن يتَّقوا الله في أمتهم، أن يتَّقوا الله في دينهم إذا كان عندهم شيء من العقل، من البصيرة، من المراجعة.

بعض هذه الجماعات راجعت نفسها وخطأت نفسها، وأصدرت كتبًا عديدة في أنَّهم كانوا على خطأ بين فيما استباحوه، ولكن للأسف تريد كل جماعة أن تجرب بنفسها، وبعد عشرين سنة أو خمس وعشرين سنة: تأتي وتخطئ نفسها بعدما هيَّجت الدنيا، ودمرت العالم، وشوَّهت سمعة الإسلام، هذا ما أنادي به هؤلاء الإخوة.

وأنادي أيضًا القادة المسؤولين في روسيا، التي حدثت فيها هذه

الانفجارات الأخيرة، أنادي هؤلاء القادة: ألا يكون كل همهم علاج هذه المسائل بطريق الأمن وحده، لا بدّ أن يحاولوا معالجة جذور هذه القضايا، ويجلسوا مع الإخوة في القوقاز، وهؤلاء الذين تأتي من عندهم هذه الأعمال، يجلسون معهم ويحاولون أن يحلوا هذه المشاكل، هذه مشاكل سياسيّة لا بدّ أن تُحلّ بالحوار وبالتفاهم وبالتنازل المتبادل، ويوسّطوا بعض حكماء المسلمين؛ عسى أن يصلوا إلى حل. أمّا الحل الأمني وحده فهو يسكت هؤلاء فترة من الزمن، وبعد هذا السكوت تثور الأمور من جديد، وهكذا دواليك، لا بدّ من حلّ جذري، لا بدّ من حل يقوم على الفكر، ويقوم على السياسة، ويقوم على التفاهم، ويقوم على الحوار البناء، لا حوار الطرشان، ولا حوار المستعلي على الآخر، بل حوار النّد للنّد، حتّى يصلوا إلى حل المشكلة من جذورها.

أسأل الله عَجَّلْ لأمّتنا أن يهديها من ضلالة، وأن يعلمها من جهالة، وأن يبصرها من عمى، وأن يجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التّقى، ونفوسها على المحبّة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، ربّنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للذين آمنوا؛ ربنا إنّك رؤوف رحيم، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ربنا هيّئ لنا من أمرنا رشداً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرْفَةً عَيْنٍ ولا أقل من ذلك، اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا منّ لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

الرزاق الوهاب (١)

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

لا زال حديثنا موصولاً عن أسماء الله الحسنى، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ونتحدث اليوم عن اسم من أسماء الله الحسنى، وهو اسم (الرزاق).

معنى اسم الله الرزاق:

والرزاق: هو الكثير العطاء للرزق، والله وحده هو الرزاق. والرزاق على وزن (فَعَّال)، فهي صيغة مبالغة كما يقول علماء العربية، والمبالغة هنا تأتي من كثرة ما يرزقهم، لأنه يرزق كل مَنْ يحتاج إلى الرزق من المخلوقات: من الإنسان والحيوان، والدواب والطيور، والحشرات والزواحف والأحياء البحرية، كل هذه المخلوقات يسعها رزق الله، فرزق الله يسع كل حيٍّ، كما أن رحمته تسع كل شيء.

هياً الله الأرزاق لهذه المخلوقات كلها؛ حتى قبل أن يخلقها، حينما

(١) ألقى في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٢٣ أبريل ٢٠١٠م.

خلق الله الأرض بارك فيها وقدر فيها أقواتها، ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، فالأقوات مقدرة قبل أن يخلق الله الناس، ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠، ١١]، فتهيئة المعاش للمخلوقات الحية سبقت خلقها.

علم الله بحاجات المخلوقات:

خلق الله هذه المخلوقات وهو يعلم ما تحتاج إليه، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، يعلم ما تحتاج إليه من طعام وشراب، وضياء وهواء، وكل ما يقيم عليها الحياة ممّا يمكن أن يُسمّى (رزقاً) في لغة العرب، فالرزق ما تقوم به الحياة، من تهيئة الطيبات.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ويقول: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

ربوبية الله للعالمين تقتضي أن يهيئ لهم كل ما يحتاجون إليه في حياتهم من أرزاق، وقد ضمن الله لهم هذا، فقال ﴿عَلَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت: ٦٠]. ضمن الله رزق جميع الأحياء، لهذا كان رزاقاً يرزق جميع الأحياء.

وهو يرزقهم بكل ما يحتاجون إليه، لا يرزقهم صنفاً ويحجب عنهم صنفاً، الناس يهيئون أحياناً بعض الأشياء، ولكن يظل هناك ضيق في أشياء، أمّا كل ما يحتاج إليه الناس؛ فالله ﷻ يهيئ أسبابه.

رزق الله تعالى دائم لا ينقطع:

ثم هذا لا يستمرُّ شهرًا ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، ولا عمر جيل أو جيلين، لا، بل هذه الأرزاق موجودة ما دامت الحياة، فهذا معنى صيغة (الرِّزَاق)، الذي يرزق كل مَنْ يحتاج إلى رزق، ويرزقه بكل ما يحتاج من رزق، ويرزقه في كل الأوقات، فهذا هو الرزاق، يقول وَعَلَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]. الله لا يطلب رزقًا لأنه لا يحتاج إلى رزق، ولا يحتاج إلى شيء، هو الغني عن كل شيء، ويحتاج إليه كل شيء.

ذكرت كلمة (الرِّزَاق) في القرآن مرّة واحدة في سورة الذاريات، ولكن الكلمات (رزق، ويرزق، ورزقناهم، ورزقناكم) تكرّرت عشرات المرّات في القرآن.

خير الرازقين:

وله اسم آخر هو (خير الرازقين)، تكرّر في القرآن خمس مرّات: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١١]، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الحج: ٥٨]، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المؤمنون: ٧٢]، وقال سيّدنا عيسى حينما طلب الحواريون إليه مائدة من السماء: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَأَرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [المائدة: ١١٤].

الله خير الرازقين؛ لأنه يرزق الجميع ابتداءً دون أن يسأله، سواء طلبوا أم لم يطلبوا، وهو يرزق بغير حساب، لا يحاسبه أحد، ولا يفكر كما يفكر البخلاء قبل عطائهم كم يعطوا؟ لا، هو يعطي بغير حساب، ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ حينما كفلها زكريا، وكانت تعبد الله تعالى في المحراب، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرَأَتُ أِنِّي لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

هناك أناس يُرزقون بالأسباب المعتادة، وهناك أناس يُرزقون بأسباب غير معتادة لظروفهم الخاصة، ضَمِنَ اللهُ لكلِّ حيِّ رزقه، ولكنّه ربط هذه الأرزاق بشبكة السنن، وشبكة الأسباب والمسببات، هذا الكون لا يقوم على فوضى، ولكنّه يقوم على سنن وأسباب، وقوانين كونية يجب أن تراعى، فالرزق مضمون وموجود، ولكن كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. هيأ الله الأرزاق في هذه الأرض، وجعلها ذلولا، سخرها للإنسان، تصوّر لو كانت هذه الأرض كلها ذهبًا أو فضة أو جواهر نفيسة، هل سيأكل الناس الذهب والفضة؟ هل سيأكلون الماس واللؤلؤ والمرجان؟ الناس في حاجة إلى أرض يزرعونها ويأكلون منها.

ولذلك جعل الله قسما من الأرض يابسا والقسم الأكبر منها مياه، حوالي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية ماء والباقي يابسة، ويابسة مهيأة للزراعة، بعض الماء نازل من السماء وبعضه نابع من الأرض، وحتى النازل من السماء هو في الحقيقة نابع من الأرض، كما قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرَعَهَا﴾ [النازعات: ٣١]. كل الماء خارج من الأرض، لأنَّ

الماء يتبخر من هذه البحار فيصعد إلى أعلى ثم ينزل ماء عذبًا، بعضه مطر يستفيد الناس منه في المراعي، وبعضه يسير أنهارًا، وبعضه يكمن في الأرض في الآبار والعيون.

هياً الله تعالى الأرزاق للناس في الأرض بهذه الطريقة: بعضها في الأرض اليابسة، وبعضها في البحار، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ [النحل: ١٤].

نظرية مالتوس المتشائمة:

من فلاسفة الاقتصاد في القرن التاسع عشر فيلسوف بريطاني اسمه (مالتوس)، من الاقتصاديين المتشائمين، كان يرى أن البشرية مهددة بمجاعة ماحقة؛ لأن البشر يزدادون بمتوالية عددية هندسية (١، ٢، ٤، ٨، ١٦) وهكذا، وأن الموارد تزيد بمتوالية حسابية (١، ٢، ٣، ٤، ٥) وهكذا، فلا نسبة بين المتوالتين، فهو كان يرى أن الزيادة المطردة في البشر من غير أن يناسبها أطراد في نمو الموارد تهدد البشر بالهلاك، ونسي هذا الفيلسوف أن هناك خالقًا تكفل بأرزاق هذه الأحياء، ولا يمكن أن يضيعها، ولو مشت نظريته كما كان يقول لانتهى البشر من مدة من الزمن! ولكن الله تعالى مكن الناس من أن يخترعوا أشياء لزيادة الإنتاج، فوسعوا مساحة المزروعات، وخضروا الصحراء، وعملوا على زراعة المستنقعات، وحسنوا البذور؛ بحيث أصبح الفدان الذي كان ينتج أربعة أراديب يأتي بخمسة عشر إردبًا، وهياً الله الناس أن يستفيدوا من البحار، فهذه البحار الشاسعة فيها كمية هائلة من الغذاء لم يصل الناس إليها بعد.

رزق الجنين في بطن أمه:

الله ﷻ هيأ الأرزاق للناس بالسنن المعتادة، ومن لا يقدر على السنن يسهل الله له رزقه، انظروا إلى الجنين في بطن أمه كيف يُرزق؟ الله يهيئ له رزقه وهو في بطن أمه، يتغذى في بطن أمه حسب سنن الله ﷻ، فإذا وُلد هيأ الله له رزقاً بطريقة أخرى، أجرى الله له في صدر أمه عرقين رقيقين يجريان لبناً خالصاً دافئاً في الشتاء، بارداً في الصيف، وحينما يخرج من بطن أمه لا يكون له سنن تقطع ولا يد تبطش؛ فيلهمه الله أن يلتقم ثدي أمه، كما قيل لأحد الحكماء: متى عقلت؟ قال لهم: منذ ألهمني الله أن غذائي في صدر أمي، وأن عليّ أن ألتقم ثديها وأقبض عليه بشفتي؛ فلا يتسرب منه شيء.

من الذي علم هذا الطفل حينما يولد أن يفعل هذا؟! الله ﷻ هو الذي علمه هذا، فلكل واحد سننّه في طلب رزقه وغذائه.

خلل في الأفهام والتصورات:

بعض الشعراء الذين تغلب عليهم النزعة الجبرية يقول:

جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ فِسِيَّانَ التَّحَرُّكِ وَالسُّكُونِ
جَنُونَ مِنْكَ أَنْ تَسْعَى لِرِزْقٍ وَيُرْزَقُ فِي غَشَاوَتِهِ الْجَنِينُ^(١)

يقول: الحركة والسكون سواء، وإذا كان الجنين يُرزق وهو في بطن أمه فلماذا تسعى أنت للرزق؟!

والحقُّ أنّه إذا كان الجنين هكذا؛ فلائته لا يسعُه غير هذا، لكن أنت

(١) هو أبو الفرج بن هندو، كما في خاص الخاص للثعالبي ص ٧٤، تحقيق حسن الأمين، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.

لستَ جنينًا؛ بل خلق الله لك عقلًا وجوارح؛ فهل تريد أن تكون مثل الجنين في بطن أمه؟

هذا خلل، بعض الناس يخلطون بين الأشياء والمراحل، فلا يُميّزون أن هذا شيء غير هذا الشيء، يقيسون على ما لا يُقاس عليه، فهو قياس مع الفارق، وقياس باطل، وإذا كان هذا شأن الجنين؛ فإنَّ الرضيع يسعى، يبذل جهدًا حينما يلتقم ثدي أمه، يتشبَّث به حتَّى يعرق، هذا ما يستطيعه، فلا بدَّ للناس من أن يسعوا إلى رزقهم. من الخطأ أن يجلس باسم التوكل على الله، ويقول: رزقي على الله!

واحتج بعضهم على الإمام أحمد بالحديث الشريف: «لو توكلتم على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِماصًا، وتروح بطنًا»^(١). فقال لهم: ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب؛ بل فيه ما يدل على طلب الرزق؛ لأن الطير إذا غدت فإنما تغدو لطلب الرزق^(٢). تغدو: أي تذهب لطلب الرزق. وخماصًا: أي خاوية البطون. وتروح بطنًا: أي ممتلئة البطون. وهذا معناه أن بالغدو والرواح والذهاب والمجيء يُضمن الرزق.

لماذا ترضى أن تكون بمثابة العاجز المحتاج!؟

ويقولون: إنَّ شقيقًا البلخي كان يتاجر؛ فودَّع صديقه الزاهد المعروف إبراهيم بن أدهم، ودَّعه ليذهب في رحلة تجاريَّة، وبعد عدة أيَّام وجده

(١) رواه أحمد (٢٠٥)، وقال مخرَّجوه: إسناده قوي. والترمذي (٢٣٤٤)، وقال: حسن صحيح.

وابن ماجه (٤١٦٤)، كلاهما في الزهد. عن عمر بن الخطاب.

(٢) ذكره البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٥/٢)، تحقيق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، نشر مكتبة

الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

إبراهيم بن أدهم في المسجد، فقال له: ما الذي جاء بك بهذه السرعة يا شقيق؟ قال: رأيت عجبًا، رأيت ما دعاني أن أترك هذه الرحلة، وأعود لأعبد الله وَعَجَّلَ. قال: وماذا رأيت؟ قال: دخلت في خربة لأقضي حاجتي فوجدت طيرًا كسيحًا أعمى، فقلت: يا عجبًا، طير لا يستطيع التحرك ولا يرى، كيف يعيش هذا؟ ومن أين؟ فقلت: أرصده. وظللت عدة ساعات، وبعد فترة جاء طائر آخر بالحَبِّ وأخذ يطعمه، ثم ذهب ليحيي له بعض الماء ويسقيه، فقلت: الذي رزق هذا الطائر الكسيح الأعمى في هذه الخربة: قادر على أن يرزقني. وعدت.

فقال له إبراهيم بن أدهم: يا شقيق، ولماذا ترضى لنفسك أن تكون الطائر الأعمى الكسيح، الذي ينتظر عون غيره من الطيور القوية المكتسبة، ولا تكون أنت الطائر القوي الذي يسعى على العُزج وعلى العُمى وعلى الضعفاء حتى يكفيهم؟ أما قرأت الحديث الذي يقول: «اليدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى»^(١)؟ لماذا ترضى أن تكون يدك سفلى ولا تكون يدك عليا؟ فعانقه شقيق وقال له: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق، توكلت على الله. وذهب ليطلب الرزق بالسعي في الأرض والتجارة^(٢).

الله تعالى يقول: ﴿فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]، ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَخْرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، جعل الذين يضربون في الأرض ساعين غادين رائحين: بجوار المقاتلين في سبيل الله.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٧)، ومسلم (١٠٣٤) كلاهما في الزكاة، عن حكيم بن حزام.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٣٣٥٠)، تحقيق مشهور بن حسن، نشر دار ابن

حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

إِنَّ السَّمَاءَ لَا تَمْطُرُ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً:

ووجد سيّدنا عمر رضي الله عنه جماعة قابعين في المسجد بعد صلاة الجمعة، فسألهم: مَنْ أَنْتُمْ؟ قالوا: نحن متوكلون على الله. قال: بل أَنْتُمْ متأكلون، لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقني. وقد علم أنّ السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، إنّما يرزق الله الناس بعضهم من بعض. أمّا قرأتهم قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠]. وعلاهم بدرته، وأخرجهم من المسجد^(١).

الرزق يأتي بالأسباب، فإن أعيتك الأسباب؛ فالجأ إلى رب الأسباب وَعَلَيْكَ، وهذا هو حظ الإنسان من اسم الرزاق، كما يقول الإمام الغزالي: ينبغي أن يكون للبعد حظ من كل اسم من أسماء الله تعالى حتى يتخلق بأخلاق الله، ويأخذ نصيبًا من هذا الاسم^(٢).

رزق الله للبر والفاجر:

وأنت لا يمكنك أن ترزق، ولكن يمكنك أن توصل الإحسان إلى الغير، كما يوصل الله إحسانه إلى كل عباده، يرزق البر والفاجر، ويحسن إلى المؤمن والكافر، الله سُبْحَانَهُ لا يكتفي برزق المؤمنين، وإنّما هو يرزق الجميع، الجميع يأكل من رزقه، يطلع شمسُه على المؤمن والكافر، ينزل مطره على البر والفاجر، كما قال سيّدنا إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ﴾ [البقرة: ١٢٦].

(١) انظر: إحياء علوم الدين (٦٢/٢).

(٢) المقصد الأسنى ص ٤٥.

فالرزق ليس مقصوراً على المؤمن دون الكافر، ومن للكافر إذن؟ هل هناك رازق غير الله يرزق الكفار؟ الله هو الذي يرزق الكفار والمؤمنين، والطالحين والصالحين، ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُئْسُ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]. فهو يرزق الجميع، ورزقه تعالى لكل حي.

صحيح أن أهل التقوى وأهل الإيمان يوسع الله عليهم، كما قال ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، وقال: ﴿وَالْوِاسْتِقَامَ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]. فتوسع الرزق بحسب الصلاح والاستقامة هو سنة الله مع خلقه.

المنهج الذي رسمه الله لآدم وذريته، حينما أنزلهم من الجنة التي كان فيها إلى هذه الأرض: هو كما قال تعالى: ﴿فَأِمَّا يَا أَيُّنَاكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]. لا يضل في أمر الدين، ولا يشقى في أمر الدنيا، فحتى في الدنيا إذا اتبع المنهج الإلهي سيسعد في الدارين، ومن أعرض عن ذكري ومنهجي وحاد عنه ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قال كذلك أنتك ءايتنا فنسينها وكذلك اليوم نسيني * [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

رزق في الدنيا ورزق في الآخرة:

الرزق من الله ﷻ في الدنيا وفي الآخرة، الناس في حاجة إلى رزق في الدنيا وإلى رزق في الآخرة، حتى الشهداء في المرحلة البرزخية يُرزقون،

كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]. يرزقون في هذه الحياة البرزخية، فإذا جاء يوم القيامة ضمن الله لهم رزقًا كريمًا لكل المؤمنين، ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]، رزق كريم لأنّه من رب كريم، ومن رزاق كريم، فهو رزق طيب، ورزق واسع، ورزق كريم، ورزق دائم، ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]، رزق لا ينقطع، ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، لا فناء له، فالإنسان المؤمن مرزوق في الدنيا، مرزوق في الآخرة، هذا ما ضمنه الله ﷻ لعباده.

حظ العبد المؤمن من اسم الله الرزاق:

يقول الإمام الغزالي: إن حظ المؤمن من اسم (الرزاق) أن يوصل خيره إلى الناس، اقتداء بالذي يرزق الصالحين والطالحين، ثم أمر آخر: أن يوقن أن رزق الله آتٍ إليه، وأن أحدًا لا يستطيع أن يأكل من رزقه لقمة، اللقمة التي له ستأتي إليه، لو لم تأت لها لأتتك^(١). كما قال الشاعر:

لا تَعْجَلَنَّ فليس الرزقُ بالعَجَلِ الرِّزْقُ فِي اللُّوحِ مَكْتُوبٌ مَعَ الأَجَلِ
فلو صَبَرْنَا لَكَانَ الرِّزْقُ يَطْلُبُنَا لَكِنَّهُ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلِ

الرزق سيأتيك حتمًا، وليس معنى هذا ألا تطلبه وفق الأسباب، اطلبه، ولكن ثق أن أحدًا لا يأخذ منك رزقًا.

وهذه الثقة بهذين الأمرين: الأرزاق والأعمار، لا يستطيع أحد أن ينقص من أجلك لحظة، ولا من رزقك فلسًا أو لقمة، كل ما لك من رزق سيأتيك، وكل ما لك من أجل ستستوفيه، وهذا يعطي المؤمنين قوّة، لا يخاف المؤمن أحدًا إلا الله، كما قال عليّ رضي الله عنه:

(١) المقصد الأسنى ص ٨٥.

أَيُّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرُ يَوْمٌ لَا يُقَدَرُ أَمْ يَوْمٌ قُدِرَ؟
يَوْمٌ لَا يُقَدَرُ لَا أَحْذَرُهُ ومن المَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْحَذِرُ^(١)

كان الصالحون يذهبون للجهاد في سبيل الله، ويقول لهم بعض الناس: كيف تذهب للجهاد وتترك أولادك؟ فيقول: لقد أمرنا بالجهاد وضمن لنا رزقنا، فعلينا أن نجاهد كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا^(٢).

ويأتي المثبطون إلى امرأته يقولون لها: يا أم فلان، كيف ترككم أبو فلان ولا مورد لكم ولا دخل، ومن أين تُرزقون؟ ومن أين تأكلون؟ فتقول لهم: منذ تزوجت أبا فلان عرفته أكّالاً وما عرفته رزاقاً، فلئن ذهب الأكّال لقد بقي الرزاق^(٣). هكذا كان المؤمنون والمؤمنات، فالمؤمن الحق يوقن علم اليقين أنّ رزق الله لن يضيع عليه أبداً، وأنّه سيأتيه في حينه، وفي مواعده، وفي مكانه، وفي أجله المسمى.

هذا هو حظ المؤمن من اسم الرزاق، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

اسم الله (الوهاب):

هناك اسم أقرب إلى معنى الرزاق أيضاً وهو اسم (الوهاب)، ولكن الرزق في لغة العرب يُطلق على ما تقوم به الحياة، من يقرأ القرآن تتضح له هذه الحقيقة تماماً، ويمكن أن يدخل الرزق على الأشياء المعنوية على سبيل المجاز فيسميها رزقاً معنوياً أو رزقاً روحياً، ولكن هذه

- (١) البيتان منسوبان لسيدنا علي بن أبي طالب، انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه (١٢٤/٦).
- (٢) الزهد الكبير للبيهقي (٦٨١)، تحقيق عامر أحمد حيدر، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.
- (٣) إحياء علوم الدين (٥٨/٢).

الأشياء أليق باسم (الوَهَّاب)، رأيت بعض الذين يتحدثون عن أسماء الله الحسنی يدخلون فيها الأرزاق المعنوية: الإيمان، والعلم، وكذا. ولكن الذي يليق بها في الحقيقة اسم (الوَهَّاب).

الذرية من الذكور والإناث والأزواج: هبة من الله وَعَجَّلِي، كما قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠].

كما قال سيِّدنا إبراهيم: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٠، ١٠١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢]. وجاء في دعاء عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]. وجاء في دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]. هذه كلها هبات من الله وَعَجَّلِي، أعطيات منه سبحانه.

والهبة هي ما يُعطى بغير عِوَضٍ، هناك أشياء تُعطى بعِوَضٍ أو بمقابل كالبيع، وهناك أشياء تُعطى بمقابل يرد مثله أو بدله كالقرض، أمَّا الهبة فهي عطية من الله بغير مقابل، وسواء طلبت أم لم تطلب، فهو الوَهَّاب، كما طلب منه سيِّدنا سليمان: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥]، وهكذا: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]، ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩].

الفرق بين الرزاق والوهاب:

الرَّزَاقُ والوَهَّابُ من أسماء الله وَعَزَّ وَجَلَّ، وهو يهب بغير حساب أيضًا، لكن الرزق في الأمور الماديَّة والحسيَّة التي تقوم بها الحياة، أمَّا الهبة فهي في كل شيء بعد ذلك، الله هو الذي وهب لك الوجود في الأساس، نعمة الخلق والوجود، ونعمة العقل، نعمة الذكاء، ونعمة البيان النطقي والخطي، ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤]، ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨، ٩]، هذه كلها هبات من الله وَعَزَّ وَجَلَّ.

وهناك نعمة الإيمان، وهي أعظم النعم في الوجود كلها، ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بِلِ اللَّهِ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

النعم تستحق الشكر:

الله وَعَزَّ وَجَلَّ صاحب النعم على عباده، ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨]، نعم من السماء، ونعم من الأرض، ونعم مادية، ونعم روحية، ونعم عقلية، ونعم إيمانية، كل هذه هبات من الله وَعَزَّ وَجَلَّ تستحق الشكر منا كما قال وَعَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَيُّهُمُ اللَّهُمُّ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣-٣٥]. هيأ الله لك هذه الأثمار من النخيل والأعنان والحبوب وغيرها، ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾، إنَّما عملته يد الله، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾؟ هذه النعم الغزيرة الوفيرة الكثيرة، التي لا تُعدُّ ولا تُحصى؛ ألا تستحقُّ الشكر؟!

كما قال في نفس هذه السورة، سورة يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مِنْفَعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس: ٧١ - ٧٣]. في الزرع يقول: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾. وهنا يقول: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾. في الأنعام، الجمل الذي يسخره الطفل الصغير، والبقرة، والثور، والجاموسة، وهذه الأشياء التي أحياناً تكون ركوبة لك، وأحياناً تأكلها، تخدمك وهي صحيحة وتأكلها وهي ذبيحة، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾؟ أفلا يشكرون الله على هذه النعم.

كل هذه النعم تستحق منا الشكر للرزاق الوهاب صاحب النعم، التي إن عُدَّتْ فلن تُحصى؛ كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ اللَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. على تقصيركم، وعلى تفريطكم في شكر هذه النعم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا أهلاً لشكر نعمه، وأن يرزقنا من حيث لا نحتسب، وأن يبارك لنا في أرزاقنا، فليس من المهم أن تُرزق، ولكن المهم أن يُبارك لك في رزقك، ولذلك كان النبي يدعو الله بالبركة دائماً في الأرزاق، وفي الأزواج، وفي الأولاد، فنسأل الله أن يرزقنا البركة، وأن يرزقنا شكر النعمة، إنه نعم المولى ونعم النصير.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لي في هذه الخطبة الثانية كلمتان:

زيارتي إلى جنوب إفريقيا:

الكلمة الأولى عن زيارتي للمسلمين في جمهورية جنوب إفريقيا، كان الإسلام لعدّة قرون هو دين القارة الإفريقيّة؛ بعد أن دخلها في عهد الصحابة رضوان الله عليهم ودخل مصر، ودخل ليبيا، ودخل تونس وهذه البلاد التي كانت في وقت من الأوقات نصرانيّة، تتبع دولة الروم البيزنطيّة، قصّ الإسلام أجنحة دولة الروم في آسيا وإفريقيا، وحصر هذه الدولة هناك في القسطنطينية وما حولها.

وتوسع الإسلام في إفريقيا عن طريق التجار والطرق الصوفية، لم يُعرف أن هناك جيوشًا فتحت هذه البلاد التي تراها في كثير من إفريقيا السوداء، هناك شمال إفريقيا، هناك مصر والسودان وما حولهما، وهناك الصومال، حتّى الحبشة أو أثيوبيا أغلبتها مسلمون. هذا أمر معروف، هناك في شرق إفريقيا شوافع، وفي غرب إفريقيا مالكية.

لكن في عهد الاستعمار حينما نام المسلمون نومتهم الشهيرة: نومة أهل الكهف، واختطف منهم الأوروبيون النهضة، وتركوا منهج أرسطو القياسي الصوري الذي لا يأتي بجديد، واتخذوا المنهج التجريبي الاستقرائي الذي به تقوم العلوم حقيقة: علوم الفيزياء والكيمياء، والفلك والطب.

في عهد الاستعمار قام التنصير يسمونه (التبشير)، وكان يسير جنبًا إلى جنب مع الاستعمار، حتّى إن بعض الباحثين يسمي الاستعمار (الاستعمار التبشيري)، أو يسمي التبشير (التبشير الاستعماري)، فقد صاروا جنبًا إلى جنب، وحاولوا أن ينصروا القارة السمراء، التي كانت إسلامية في وقت من الأوقات؛ إلا بعض البلاد الوثنية، التي كان الإسلام يزحف عليها شيئًا فشيئًا.

وفي عهد الاستعمار هذا: شاء الله أن يغزو الإسلام جنوب إفريقيا، هناك في أسفل الخريطة حينما يلتقي المحيطان: المحيط الأطلسي والمحيط الهندي، هناك منطقة اسمها (رأس الرجاء الصالح) كما عرفناها في كتب الجغرافيا والتاريخ، هناك توجد جنوب إفريقيا، لم يكن فيها مسلمون يُذكرون، ولكن شاء الله أن يدخل الإسلام على يد الاستعمار، الاستعمار الذي وقف بالمرصاد يحارب الإسلام: هو الذي تسبب في دخول الإسلام جنوب إفريقيا، كيف هذا؟!!

كان أول بلد أوروبي ذهب إلى جنوب إفريقيا هو هولندا، وكانت هولندا تستعمر أكبر بلد إسلامي في ذلك الوقت وهو إندونيسيا، كانت هولندا خمسة ملايين، وإندونيسيا خمسين مليونًا، أي ضعف هولندا عشر مرات، وكان هناك من المسلمين من يقاومون الاستعمار الهولندي خصوصًا من العلماء والدعاة، فكانت هولندا تأتي بهم من إندونيسيا إلى جنوب إفريقيا، مسافة هائلة، أصبح بينهم وبين بلادهم بلاد وبحار وجبال ووهاد.

وكان من أوائل من جاؤوا به الشيخ عبد الله عبد القادر ابن القاضي عبد السلام، ووضعوه في الجزيرة التي وُضع فيها نيلسون مانديلا بعد ذلك، وظل الشيخ فيها عشرات السنين حتّى أفرج عنه بعد ذلك فأنشأ

أول مسجد في جنوب إفريقيا؛ وقد أقيمت فيه محاضرة، ولا زال المسلمون يحتفظون به، حتى القبلة فيه ليست منضبطة تمامًا لأنه لم يكن هناك مهندسون من المسلمين حتى يعرفوا القبلة بالضبط تمامًا، فيه انحراف قليل، بنى الشيخ هذا المسجد، وبدأ الناس يدخلون في الإسلام.

وبعد ذلك جاء البريطانيون بأناس من ماليزيا، ومن الهند الكبرى؛ فقد كان البريطانيون يحكمونهما، ومعظم الذين جاؤوا من الهند استقروا في جوهانسبرج، ولذلك هم أحناف، والذين في كيب تاون شافعية، ولكن الجميع في الحقيقة متفاهمون بعضهم بعض، ومستمسكون بالإسلام، ورأيت عندهم حرصًا على الاتصال بإخوانهم المسلمين في هذه البلاد.

والذي دعاني لزيارة جنوب إفريقيا هو مجلس القضاء الإسلامي، وهو بمثابة المجلس الأعلى للمسلمين، وهناك جمعية العلماء، وهم أعضاء معنا في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ومعنا في مؤسسة القدس الدولية، ومهتمون بقضية القدس يتحدثون عنها باستمرار، وقضية فلسطين حيّة في رؤوسهم وفي قلوبهم وفي ضمائرهم.

كانت هذه الزيارة لهؤلاء الإخوة إحياء لهم وربطًا لهم بقلب العالم الإسلامي، وهذه أول زيارة لي إلى جنوب إفريقيا في الحقيقة، ووجدت في زيارة هذه البلاد نفعًا كبيرًا، حيث يكون في هذه الزيارات إنعاش لهم، وإيقاظ لهممهم ولعقولهم، وربط بعضهم ببعض، حتى النصح لهم في بعض القضايا.

من ذلك أنني وجدت الإخوة في جوهانسبرج لا يسمحون للنساء بدخول المساجد، وهذه مشكلة في مذهب أبي حنيفة، وبعض المذاهب الأخرى، لكن مذهب أبي حنيفة يشدد في هذا الأمر، خصوصًا إخواننا

في الهند، ما ذهبت إلى الهند أو باكستان أو بنجلاديش أو أفغانستان، ووجدت امرأة تحضر محاضرة في المسجد أبداً، أو تصلي فيه!

وأنا شددت عليهم في هذه القضية، وقلت لهم: إنَّ المرأة تذهب إلى السوق، وتذهب إلى المدرسة، وإلى الجامعة، وتركب الطائرة وتسافر إلى بلاد العالم، فكيف يكون الشيء الوحيد المحرم عليها هو المسجد؟

وقلت لهم: إنَّ الفقهاء يقولون: المرأة يجب على أبيها أن يفقهها، وعلى زوجها أن يعلمها. فهل أنتم أيُّها الآباء تفقهون بناتكم؟ وهل أنتم أيُّها الأزواج تعلمون زوجاتكم؟ قالوا: لا. قلت: حرام إذن تركهن بلا تعليم، ائذنوا لهن أن يأتين يسمعن.

وقلت لهم: لو كان أبو حنيفة موجوداً، ورأى هذه الظواهر لغير رأيه، فأبو حنيفة الذي سمح للمرأة أن تكون قاضية في غير الجنائيات: في الأحوال الشخصية، والمعاملات المدنية والتجارية، وكل هذه الأشياء: أباح لها أن تكون قاضية، وهو الذي أجاز للمرأة أن تزوج نفسها من غير ولي؛ إذا زوجت نفسها من كُفء. فالقول بأن أبا حنيفة يقف ضد المرأة هو قول غير صحيح، هذه قضية تكلمت معهم فيها.

وهناك أيضاً قضية تكلمت معهم فيها هي قضية التصوير، وجدت أنهم لا يسمحون بتصوير محاضراتي عندهم، فقط يسجلونها بالكاسيت. قلت لهم: يا جماعة نحن في عصر الفضائيات، وعصر الإنترنت، أين أنتم من هذا؟ قلت لهم: الناس في السعودية كانوا أشدَّ الناس منعاً للتصوير؛ فأصبحوا كلِّما ذهبت إليهم: وجدت هذا يريد أن يتصور معي، وهذا بجانبه وهذا كذا، فقلت لهم: إلى متى تظنون أنتم على منع التصوير؟!

ولذلك أنا أرى أن هذه الزيارات مهمة لإيقاظ هؤلاء الإخوة من غفلتهم، أو من بُعدهم عما يجري في العالم من حولهم، أعتقد أن هذه الزيارة كانت زيارة نافعة، ومن حق هؤلاء المسلمين - والأقليات بالذات - أن يُزاروا من العلماء ومن الدعاة، وأن يُهيأ هذا الأمر لكل من عنده قدرة، وأرى أن على أثرياء المسلمين وأغنيائهم وتجارهم: أن يساعدوا في ذلك، بتهيئة عدد من العلماء لزيارة هذه البلاد، حتى لا يفترسهم المنصرون وغيرهم.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يأخذ بأيدي هؤلاء الإخوة في جنوب إفريقيا، وأن يهيئ لهم من أمرهم رشداً، وأن يجعل يومهم خيراً من أمسهم، وغدهم خيراً من يومهم، وأن يزيدهم فضلاً على فضلهم، بحمد الله متماسكون مترابطون فيما بينهم، ومستمسكون بالإسلام، بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم.

دخان بركان آيسلندا:

أمّا كلمتي الثانية أيها الإخوة فهي تعليق على هذا الحدث العالمي في آيسلندا، والذي عطل الطيران في أوروبا عدّة أيام، انظروا إلى قدرة الله، ليست هناك أحداث سبتمبر ولا من ضرب الطائرات، ولا من ضرب الأبراج، وإنما القدر الإلهي أقعد هؤلاء الناس في بيوتهم رغماً عنهم، وحبس أناساً في بلاد لا يريدون أن يُحبسوا فيها، يريدون أن يعودوا إلى ديارهم، فجاء هذا البركان وما أثاره من غبار بركاني عطل الطيران لعدّة أيام، وخسر الطيران آلاف الملايين، لو أراد الله أن يزيد في الأمر شيئاً أو يجعل البركان أكثر ممّا كان؛ ماذا كان يجري على العالم؟ ستفلس شركات الطيران، ويصبح العالم معزولاً بعضه عن بعض، ويدخل الناس في كارثة.

القدر الأعلى هو الذي بيده هذه الأمور، الله وَعَجَلِك يستطيع أن يثير من البراكين، أو من الزلازل أو من الفيضانات: ما يجعل البشر عاجزين تمامًا، البشر الذين صعدوا إلى الأجواء كالصقور، وغاصوا في البحر كالحياتان، وصنعوا الكمبيوتر، وصنعوا الإنسان الآلي والإنترنت، وهذه الأشياء كلها: يقف هذا الإنسان عاجزًا أمام قدرة الله وَعَجَلِك.

بعضهم يسمي البركان (غضب الطبيعة)! والطبيعة عمياء، لا تغضب ولا ترضى، هناك مَنْ يُسَيِّر الطبيعة، مَنْ يُسَخِّر هذا الكون، مَنْ يستطيع أن يقلب هذه الدنيا وهذا العالم: رأسًا على عقب بقوله: كُنْ. أمره بين الكاف والنون، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، إذا أراد شيئًا فعله، ولا حرج على قدرته وَعَجَلِك، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقْوًا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا مَنْ لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم.

* * *



السميع البصير (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً عن أسماء الله الحسنى، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، نتحدث في خطبة اليوم عن اسمين كريمين من أسمائه تعالى، وهما اسما (السميع والبصير).

السميع: هو من لا يعزب عنه شيء ممّا يُسمع وإن خفي، فهو وَعَلَيْكَ يستوي عنده القريب والبعيد، يستوي عنده مَنْ أَسْرَّ وَمَنْ أَعْلَنَ، كما قال تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ١٠].

الفرق بين سمع الله وسمعنا:

ويستوي عنده أن يكون المتكلم مفردًا، أو أن يكون المتكلم جمعًا، فهذا ليس له تأثير بالنسبة لله تبارك وتعالى، فرق بين سمع الله تعالى وسمعنا، فنحن لا نكاد نسمع المتكلم كلما كان خافت الصوت، وما زال صوته يشتد خفته حتى يغيب عنا تمامًا، ولكن الله ﷻ ليس كذلك.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٤ مايو ٢٠١٠م.

الناس يتفاوتون في قوّة السمع وضعفه، ولكن على مسافة معينة لا يسمع الجميع، ولكن الله ﷻ يسمع من فوق سبع سماوات، ومن فوق العرش ما يُقال وما يُتحدّث به على هذه الأرض، ونحن إذا تكلم جمع من الناس تحدث ضوضاء ولا يكاد المرء يسمع شيئاً ممّا يُقال، كذلك لو حدث دوي أو نحو ذلك لا نستطيع في وسط هذا الدوي أن نستمع إلى شيء أو ندركه.

ولكن هذه الأشياء كلها لا تؤثر في سماع الله ﷻ، إنّه كما قال ﷻ: ﴿وَأِنْ تَجَهَّرَ بِأَقْوَالٍ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]. يعلم ما تسر به ولا يكاد يسمعه أحد، ويعلم ما هو أخفى من هذا، ما تخبّؤه في نفسك من هواجس ووسوسات لا يعلم بها أحد، قد تفكر في إيذاء جارك، وشارك لا يعلم شيئاً، ولكن الله يسمع حركة الهواجس والخواطر، ولا يخفى عليه شيء من ذلك كله.

كان المشركون في مكّة يتحدثون فيما بينهم عن رسول الله ﷺ، فينزل الوحي، يكشف أمرهم، ويهتك سترهم، ويُعلم رسول الله بما فعلوه أو بما ينوونه ويدبرونه، فقال بعضهم لبعض: إذا جلستم لتتحدثوا عن محمد؛ فلا تجهروا بصوتكم، إنّ إله محمد يسمع هذا ويخبره بما نمكر به، وما نتأمر به عليه؛ فأسروا قولكم بهذا. فنزل قول الله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * [الملك: ١٣، ١٤]. نعم يعلم مَنْ خَلَقَ، ويسمع أصواتهم، ويدرك أسرارهم، ويكشف أستارهم، هذا هو الله ﷻ (السميع).

وهذا الاسم من صفات الكمال لله ﷻ كما قلنا، إنّها صفة كمال تزيد عن صفة العلم، ربّما يقول البعض: أليست صفة العلم كافية؟ لكن هذه

صفة زائدة، فهو يعلم عن طريق هذا الاسم (السميع) ما لا يعلمه عن طريق اسم (العليم) الذي تحدثنا عنه في الأسبوع الماضي.

اسم (السميع) يتعلّق بالأصوات وما يُسمع، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعلم هذا، ولو لم يكن سميعاً لكان أصمّ، والصمم صفة نقص تستحيل على الله تبارك وتعالى، كما أنّه البصير إذا لم يكن بصيراً كان أعمى، والعمى صفة نقص تستحيل على الله تبارك وتعالى أيضاً، فهو (السميع البصير).

اقتران اسم السميع بالبصير والعليم والقريب:

يقترن هذا الاسم الكريم (السميع) في القرآن باسمين أو ثلاثة، فقد تكرّر في القرآن ما يقرب من أربعين مرّة اسماً (السميع والبصير)، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، فهو يسمع ويبصر، يسمع ويرى.

كما تكرّر في القرآن كثيراً اسماً (السميع والعليم)، ﴿وَمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦]، وحين كان سيّدنا إبراهيم يرفع القواعد من البيت هو وابنه إسماعيل كانا يقولان: ﴿رَبَّنَا نَقَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. أنت تسمع أقوالنا وتعلم نيّاتنا، فلكي يتقبّل الله منك العمل فلا بد أن تبدأه بداية حسنة باسم الله والحمد لله، وأن تكون نيتك لله وَجَلَّ، لا تشرك به شيئاً، لا ترائي به الناس، لا تطلب المَحْمَدة والشهرة عند الناس فيحبط عملك.

وحينما حملت امرأة عمران في مريم كانت تظن أنّ في بطنها ذكراً

فندرتة للمعبد لكي يخدمه، قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ [آل عمران: ٣٥]. أي خالصًا لك، لا شركة فيه لأحد غيرك، ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي أَنَا أَنَا السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران: ٣٥]، فولدت أنثى، وكانت مريم، ﴿فَنَقَّبَلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ [آل عمران: ٣٧]. هكذا تكرر اسما (السميع العليم).

كما ورد أيضًا اسما (السميع القريب)، ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: ٥٠]، ولذلك يجيب الدعاء، لأنه يسمع ويستجيب، ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

استجابة الله للدعاء:

الله تعالى يستجيب الدعاء، ليس كالأصنام التي لا تسمع، ولو سمعت ما استجابت، ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، هذه أصنام صنعها الإنسان بيديه، وزعم أنها تضر وتنفع، وتخفض وترفع، وتعطي وتمنع، وهي لا تملك شيئًا!

ولذلك يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣]. كان العرب يصنعون أصنامًا من التمر أو من العجوة، يصورونها ويتخذونها إلهًا يعبدونه، فإذا تكاثر الذباب على هذا الإله؛ فهل يستطيع أن يدفع عنه هذا الذباب؟ لا يستطيع، وإن أخذ الذباب في أرجله ما أخذ من هذا الإله من العجوة لا يستطيع أن يسترده منه، إنه إله ضعيف عاجز، لا يسمع ولا يبصر، ولا يتحرك ولا يعقل، وأنى له ذلك؟!!

ضلال من يعبد أصناما لا تبصر ولا تسمع:

ولذلك حينما كان سيدنا إبراهيم يعظ أباه قال له: ﴿يَتَّابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]. لماذا تعبد إلهًا لا يسمع ولا يرى، أصم أبكم عاجزًا عن كل حركة؟

والقرآن يخاطب المشركين ويحاجهم ويفحمهم فيقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَلِدِينَ تَعْبُدُونَهُمْ وَتَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ ﴿عِبَادُ أَمَثَلِكُمْ﴾ مخلوقات مثلكم، ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، إن كانوا يستطيعون، وكيف تستطيع هذه الآلهة المزعومة أن تستجيب لهم؛ وعابدوها أقوى منها؟ عابدوها لهم أعضاء وجوارح، وأيدي وأرجل وأسماع وأبصار، أمّا هؤلاء فكما قال عنهم: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٩٥]، ليس لهم أرجل ولا أيدي ولا أعين ولا آذان، فهي أعجز وأضعف.

الله ﷻ هو السميع البصير الذي لا يخفى عليه شيء ممّا يُسمع، مهما بعد ومهما خفت، مهما حالت الحوائل، وحجبت الحجب، ثم إن سمع الله ﷻ لا يتغير، سمعنا نحن المخلوقين يتغير، قد تصيب آذنا آفة؛ فنفقد بعض السمع أو نفقد السمع كله، والله ﷻ لا يسمع بجارحة، لا يسمع بأذن وصماخ، وكذا ممّا يفصله علماء وظائف الأعضاء، الله لا يحتاج إلى هذه الجارحة، لكننا نحن نحتاج إليها، نصاب في آذاننا، ونشيخ ونكبر؛ فيقل سمعنا شيئًا فشيئًا، وربما ينتهي بالكلية، كما قال الشاعر:

إِنَّ الثَّمَانِينَ - وَبُلَّغَتْهَا -
قد أحوجت سمعي إلى تَرْجُمَانٍ^(١)

(١) من شعر عبد الله بن طاهر، كما في أمالي القالي (٥٠/١)، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢،

يقول له: يا بني، هذه الثمانون سنة التي بلغتها - بلغك الله إياها - قد أحوجت سمعي إلى من يقرب لي الأصوات. لكن الله لا يتغير عليه شيء، يستحيل أن يتغير أو يتبدل سُبْحَانَ اللَّهِ.

حظ المؤمن من اسم السميع:

هذا الاسم (السميع)، ما حظنا منه؟ ماذا نتعلم من هذا الاسم الكريم؟ نتعلم منه أن نحسن السمع لما ينبغي أن يُسمع، الله تعالى ذمّ قوماً فقال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ *﴾ [الأنفال: ٢٢، ٢٣]. هم لا يحسنون سمعاً، ولا يُحسنون كلاماً، ولا يحسنون فهماً، فهم صم بكم لا يعقلون؛ والعياذ بالله! لكن الإنسان المؤمن ينبغي أن يُحسن السمع، ويُحسن الرؤية، ويُحسن الفهم، يأخذ من الله سُبْحَانَ اللَّهِ اسم (السميع).

كذلك لا ينبغي أن يسمع الإنسان إلا ما فيه الخير لأن الله يسمعك، فلا تسمع أغاني سيئة خليعة، أو الغيبة والنميمة، حتى اللغو، الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *﴾ [المؤمنون: ٣]. فالإعراض عن اللغو من صفات المؤمنين وعباد الرحمن، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا *﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ *﴾ [القصص: ٥٥].

إن كل ما تسمعه مكتوب عند الله مُسَجَّلٌ لك أو عليك، يقول عَبْدُ اللَّهِ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ *﴾ [الزخرف: ٨٠]. الرسل: أي الملائكة تكتب وتسجّل وتحفظ، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كُنُيُنَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ *﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ *﴾ [ق: ١٦ - ١٨]، فحاسب نفسك

واحذر أن تملأ صحائفك بما تسمع من هراء ومن أباطيل، ومن آثام ومن محرّمات، إذا كان اللغو وهو ما لا فائدة فيه ينبغي أن يبتعد الإنسان عنه؛ فما بالك بالكذب والغيبة والنميمة، والخوض في الأعراض، وهذه الأشياء المحرمة؟! ينبغي للمسلم أن ينزه سمعه عن ذلك.

ولهذا حذر العلماء ممّا سمّوه (آفات اللسان)، ذكرها الإمام الغزالي في ربع المهلكات من إحيائه، وبلغ بها عشرين آفة، وفصل فيها العلامة عبد الغني النابلسي أحد العلماء المتأخرين حتى أوصلها إلى سبعين آفة، فاحذر من لسانك، واعلم أنّ الله يسمعك، ويسمع من يُحدّثك؛ فابتعد عن هذه الآفات.

عدم مشاركة أهل الباطل ولو بالسمع:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]، لا تجلس في مجالس السوء، فإذا أنت لم تتكلم فانت تسمع، والسامع شريك المتكلم، ولذلك يقول القرآن: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]. الآية الأخرى تقول: ﴿وَمَا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]. إذا غفلت عن نفسك ووجدت نفسك بين جماعة تخوض في السوء، ثم انتبهت؛ اسحب نفسك بسرعة، واخرج من هذا المجلس؛ حتى لا تكون مثلهم، ما داموا لم يخوضوا في حديث غيره.

مراقبة الله السميع في كل قول:

أيضًا من الأشياء المهمة: أن تراقب الله تبارك وتعالى في كل أقوالك، اعلم أن الله ﷻ معك، ولن يتخلى عنك، فتوكل على الله ﷻ، ما دام أن الله يسمع ويرى توكل عليه، كما أرسل الله موسى وهارون إلى فرعون المتأله الجبار الطاغية، ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿[طه: ٤٥، ٤٦]. اطمئنا فانا أسمع كل شيء وأراه، فاطمان موسى وهارون إلى معية الله ﷻ، الذي يسمع ويرى.

ولذلك حينما خرج سيّدنا موسى بقومه فأرا من مصر؛ بسبب طغيان فرعون وملئه، ووصل إلى البحر، وفرعون بجنوده وجيوشه وراءهم، ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، سيدركنا القوم، البحر أمامنا، والعدو من خلفنا، ولا نجاة لنا، ماذا قال موسى؟ لا يزال موسى يتذكر قول الله: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥]. فقال لأصحابه: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. وقد هداه الله، ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. ونجا موسى وقومه، وغرق فرعون ومن معه أجمعون.

اسم الله البصير:

هذا اسم (السميع)، واسم (البصير) هو مُكْمَل لهذا الاسم، فهو ﷻ يشاهد ويرى كل ما في هذا الكون: ما في السماوات وما في الأرض، وما بينهما وما تحت الثرى، الله ﷻ لا تخفى عليه خافية، كما لا يغيب عنه سرٌّ ولا علانية، سيّدنا إبراهيم قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. فهو يعلمه عن طريق العلم العام، وعن طريق اسم (البصير)، كما علمه عن طريق اسم (العليم).

وبصر الله ﷻ ليس كبصرنا، نحن أيضاً لا نستطيع أن نرى الشيء البعيد، مهما كانت قوة الإبصار عند الإنسان؛ فله مدى معين ينتهي عنده إبصاره، ولا يستطيع أن يبصر ما وراء الحواجز، ولا يستطيع أن يرى في الظلمة؛ لأنه مهما كان بصرك حديداً لا بد أن يكون هناك ضوء يساعد على الرؤية، وبدون الضوء لا تستطيع أن ترى.

والله ﷻ لا يتقيّد بهذه القيود التي يتقيّد بها الإنسان في الإبصار، يستوي عند الله القريب والبعيد، يستوي عنده الليل والنهار، يستوي عنده وجود الحواجز وعدم وجودها.

ولذلك ينبغي أن يحسب الإنسان حساب هذا البصر الإلهي، كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ جَبْوَىٰ ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

المعِيَّةُ الْعَامَّةُ:

الله هو ثالث كل اثنين، ورابع كل ثلاثة، وخامس كل أربعة، وسادس كل خمسة، وهكذا، هو معهم بعلمه، ومعهم بإحاطته، هذه معية عامة للخلق جميعاً.

المعِيَّةُ الْخَاصَّةُ:

هناك معية خاصة للمؤمنين والصابرين والمتقين والمحسنين، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

ولكن هناك معية عامة لجميع الخلق، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤]، يعلم أحوالكم، ويسمع ويبصر.

وكما أنّ الله تعالى بكل شيء عليم فهو تعالى بكل شيء بصير، كما قال **وَعَجَلٌ**: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]. يبصر ما يحدث في الكون.

مراقبة الله **وَعَجَلٌ**:

ولهذا ينبغي للإنسان أن يتعلم من هذا الاسم مراقبة الله **وَعَجَلٌ**، ما دام أنّ الله يبصرك وأنت تعمل؛ فراقب الله **وَعَجَلٌ** في عملك، إذا كنت تعمل عملاً صالحاً فإن الله يراك؛ فأحسن في عملك، كما جاء في حديث جبريل حينما سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١). فأنت تراقب الله **وَعَجَلٌ** في عملك الصالح لتتقنه وتُحسنه، «إنّ الله يحبُّ من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»^(٢)، «إنّ الله كتب الإحسان - أي الإتيان والإحكام - على كلِّ شيء»^(٣). العبادات والمعاملات، عمل الدين وعمل الدنيا، لا بدّ أن تحسنه؛ لأنّ هذا الإحسان فريضة، كما كتب عليك الصيام والفرائض، كتب عليك الإحسان والإتيان، فراقب الله في عملك الصالح.

وراقب الله أيضاً بالألّا تعمل عملاً سيئاً؛ فهو مطلع عليك، وما ستر

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو يعلى (٤٣٨٦)، والطبراني في الأوسط (٨٩٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٤)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١١١٣)، عن عائشة.

(٣) رواه مسلم في الصيد والذبائح (١٩٥٥)، وأحمد (١٧١١٣)، عن شداد بن أوس.

في هذه الدنيا سيكشف يوم القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]، ومن لم يرَ اليوم سينكشف له الغطاء غداً، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [مريم: ٣٨]، أي: ما أسمعهم وما أبصرهم في هذا اليوم، فلا بد أن تراقب الله وعبادته، وأن تفتش عن قلبك، فالله سبحانه ينظر إلى القلوب، هو بصير بكل شيء، ولكنه يبصر ما في القلوب، ويعنى بما في القلوب قبل الأجسام والظواهر، فالقلب أهم منها كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا أَجْسَامِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»^(١).

القلب السليم والقلب المنيب:

المهم هو القلب السليم، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، لا نجاة إلا بقلب سليم: سليم من الشرك، سليم من النفاق، سليم من الكبر، سليم من الرياء، سليم من الأحقاد، هذا هو القلب الذي ينجو به الإنسان.

والمهم هو القلب المنيب، ﴿وَأَزَلِفَتْ أَلْحَنَةُ لِلْمُنَّاقِبِينَ * غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَن خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ * ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ [ق: ٣١-٣٤]، القلب المنيب إلى الله، كثير الرجوع إلى الله، المبتهل إلى الله، هو القلب الذي يدخل به الإنسان الجنة.

لا بد أن نتعلم من اسمي (السميع البصير)، السميع الذي يسمع كل شيء، يسمع الحسن، ويسمع القبيح، يسمع دعاء الداعين، وذكر الذاكرين،

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤)، وأحمد (٧٨٢٧)، عن أبي هريرة.

وتلاوة التَّالِينَ، وتكبير المكبرين، كما قال النبي ﷺ للصحابة، وقد رفعوا أصواتهم في سفرة من الأسفار، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، وَإِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(١). وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا مَا نُوسِسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. في العنق.

الله تعالى لا يخفى عليه الخبيث ولا الطيب:

فالله تعالى يسمع الدعاء والطيب من القول، كما يسمع الكلام السيئ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]. هذه مقولة اليهود الذين أساءوا إلى الله، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]، فاليهود من كفرهم وإساءتهم إلى الله قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾. لماذا؟ قالوا: لأنه يقول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]. يقولون: المستقرض فقير، ونحن نقرض الله، فنحن الأغنياء وهو الفقير. هذا من سوء أدبهم لعنة الله عليهم، سمع الله قولهم هذا وقال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨١، ١٨٢]. فالله يسمع الكلام السيئ، كما يسمع كل كلام.

خولة بنت حكيم، المجادلة في زوجها:

يسمع شكوى الناس بعضهم إلى بعض، كما سمع الله ﷻ قول المرأة التي جادلت رسول الله في زوجها، امرأة من نساء الصحابة اسمها خولة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٩٢)، ومسلم في الذكر (٢٧٠٤)، عن أبي موسى الأشعري.

بنت حكيم: جاءت إلى النبي ﷺ تشكو أنّ زوجها ظاهر منها، اعتاد أهل الجاهلية أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي. يُحرّمها بذلك على نفسه، وكان الجاهليّون يعتبرون هذا طلاقاً، وكأنّه طلاق لا رجعة فيه، لو كان فيه رجعة لم تكن هناك مشكلة، ولكنّهم يعتبرونه طلاق بينونة كبرى.

فجاءت المرأة تشكو زوجها أوس بن الصامت وتقول: يا رسول الله، عشتُ معه شابّة، فلما كبرت سنّي وذهب شبابي، ظاهر مني. فالنبي ﷺ قال لها: «ما أراك إلاّ حرمتِ عليه». لم يأتِه وحي، ولكنّه يقول بما هو سائد حتّى يأتي نسخ له، فتقول: يا رسول الله، إنّي كذا، وإنّي كذا. فيقول: «ما أراك إلاّ حرمتِ عليه». فتقول: أشتكى إلى الله حاجتي وسنّي وأولادي، إن تركتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، أشكو إلى الله، وما زالت هكذا، حتّى نزل الوحي على رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] (١).

سُمّيت السورة (المجادلة) بكسر الدال، أي المرأة التي جادلت واشتكت، أو (المجادلة) بفتح الدال، أي السورة التي حدثت فيها هذه المجادلة وهذا الحوار. قالت السيدة عائشة: سبحان مَنْ وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، كانت المرأة تُحدّث رسول الله في ركن من البيت، وإنّه يخفى عليّ بعض كلامها، وقد سمع الله ذلك من فوق سبع سماوات (٢).

(١) رواه البيهقي في الظهار (٣٨٤/٧).

(٢) علقه البخاري بصيغة الجزم في التوحيد (١١٧/٩)، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، ووصله أحمد (٢٤١٩٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي في الطلاق (٣٤٦٠)، وابن ماجه في المقدمة (١٨٨)، عن عائشة.



نتوكل على من يسمع ويرى:

هذان الاسمان (السميع البصير) يجعلاننا أيها الإخوة نعتمد على الله **وَعَلَى**، ونتوكل على الله؛ لأننا نتوكل على من يسمع ويرى، ونحسن عملنا ونخلصه لله، نُجَرِّده من كل رغبة من رغبات الدُّنيا، من التعلق بزينة الحياة وزخارفها، أن نجعله لله وأن نتقنه إتقاناً حتى يتقبل منا، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

قال بعض الصالحين: المراقبة: علم العبد بقرب الرب. أن الله قريب، بل الله معك، الله يراك ويسمعك، فلا بد أن تحسن عملك، ولا بد أن تخاف ربك، ولا بد أن تذكر خاتمتك، حتى يجعلنا الله جميعاً من المقبولين ومن الصالحين، اللهم آمين

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

الذكرى (٦٢) لقيام دولة بني صهيون:

لنا كلمة اليوم في موضوع واحد، هذا الموضوع هو الذكرى الثانية والستون لقيام دولة العدو الكيان الصهيوني المسمّاة (إسرائيل)، غدًا في هذه الذكرى تكون هذه إسرائيل قد أتمت اثنين وستين عامًا.

هذه هي الذكرى المؤلمة، التي لا يجوز أبدًا أن تُنسى أو أن تُحذف من ذاكرة أي مسلم أو أي عربي، إنّها النكبة الكبرى، النكبة الأولى، النكبة التي شرّدت الفلسطينيين من ديارهم، وما كانوا يدرون أنّهم سيقون هذه المدة مُشرّدين مطرودين.

وبعضهم خرج من داره يحمل مفتاح الدار في جيبه؛ يظن أنّه سيعود إليها بعد شهر أو شهرين، وما ظنّ أنّ الأمر سيطول، وقد طال الأمر وطال، وسيطول ويطول؛ ما دامت حالنا نحن العرب والمسلمين على ما هي عليه.

ما كان يظن فلسطيني، وما كان يظن عربي، وما كان يظن مسلم، وما كان يظن إنسان حر ذو ضمير أنّ الفلسطينيين سيذهبون إلى غير رجعة؛ إلا أن يشاء الله، أن يذهبوا ستين عامًا فأكثر ولا يعودوا إلى ديارهم.

ما الذي حدث أيُّها الإخوة؟ لا يعرف بعض الناس أنّه قبل اثنين وستين عامًا لم تكن هناك دولة اسمها (إسرائيل)، بعض الناس يناقشوننا مستغربين أنّ إسرائيل كيان وليد، يظنون أنّ إسرائيل هذه التي تحارب

العرب وتهزّمهم، وتضرب الجبهات المختلفة عن يمين وعن شمال: أنّها دولة قديمة عريقة! وإسرائيل سنة ١٩٤٧م. لم تكن موجودة، حتّى ١٥ مايو ١٩٤٨م. لم تكن هذه الدولة موجودة، يبحثون في التاريخ والجغرافيا؛ فلا يجدون لها أثرًا ولا ذكرًا؛ فيذهل هؤلاء الناس من هذا الواقع الغريب.

في أوّل القرن العشرين لم يكن هناك يهود يُذكرون، وحينما فتح عمر بن الخطاب القدس، وكانت تسمى (إيلياء) في ذلك الوقت، وتسلم مفتاح المدينة من صفرنيوس بطريك المدينة، وعقد لهم العهد العمري المعروف، وكان من شروط أهل هذه المدينة من النصارى: ألا يساكنهم فيها يهود. ووفّى لهم المسلمون بهذا، ولكن في الزمن الأخير تساهل الناس فدخلت بضعة آلاف من اليهود من هنا ومن هناك.

ثم حينما قامت الحركة الصهيونيّة بقيادة هرتزل؛ صنعت واقعا جديداً، أبدعوا الهجرات الجماعية من دول أوروبا المختلفة، ثمّ من أمريكا، ثمّ من بلاد الشرق، جمعوا شُذّاذ الآفاق من هنا وهناك؛ ليدخلوا فلسطين فيحتلوا أرضاً غير أرضهم، وبلداً غير بلدهم، ويطردوا أهل البلد منها.

استعمار إحلالي:

هناك أنواع من الاستعمار، منها الاستعمار الاستيطاني كما كان الاستعمار الفرنسي حينما احتلّ الجزائر واستوطنها، الأصل في الاستعمار: أنّه يأتي يحتل البلد عشرين سنة أو خمسين سنة، أو مائة سنة ثمّ يرحل، ولكن الاستعمار الفرنسي جاء ليستوطن الجزائر، يقيم فيها إقامة دائمة، ويزاحم أهلها، واعتبر الجزائر قطعة من فرنسا، أنّ الجزائر فرنسية، فكان الجزائريون يحملون الجنسية الفرنسية.

ولذلك حينما قامت حرب التحرير الجزائرية كان الفرنسيون يقولون: الحرب بين الفرنسيين والمسلمين. لأنهم يعتبرون الجزائريين فرنسيين، فالاستعمار الفرنسي للجزائر استعمار استيطاني.

أمّا الاستعمار الصهيوني فهو استعمار استيطاني إحلالي، ما معنى إحلالي؟ أي يستوطن الأرض، ويطرد أهلها منها، ويحل محلهم، أرايتم أقسى من هذا؟ أنّ الديار التي بنيتها وبنّاها أبي وجدي، وورثتها من أجيال عن أجيال، يأتي هؤلاء ليأخذوها عفوًا صفوًا ويطردوني منها، وأصبح أنا الغريب المُشرد، ويصبحوا هم أصحاب الدار!

هذه هي المصيبة الكبرى التي حدثت، أقام اليهود دولتهم في غفلة من المسلمين والعرب، وهكذا دائمًا لا ينتصر علينا الأعداء إلا إذا غفلنا نحن، نسينا أنفسنا، ونسينا الله فأنسانا أنفسنا، وتفرقنا بعد تجمّع، وتخاذلنا بعد تناصر، وأصبح بأسنا بيننا، قال القرآن عن اليهود قديمًا: ﴿بِأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]. نحن أخذنا هذه الصفات منهم، وأصبح بأسنا بيننا شديدًا، فاستطاع اليهود - والحال هكذا - أن يدخلوا بلدًا غير بلدهم، وأن يتمكنوا منها، وأن يطردوا أهلها منها.

ومع هذا أقول: إنّ العرب الذين فوجئوا بقيام هذه الدولة: حاولوا أن يحاربوا هذه الدولة، ودخلت جيوش العرب السبعة، كانت الجامعة العربية مكوّنة من سبع دول، دخلت جيوشها كلها تحارب من أجل استرداد فلسطين، كان هذا والجامعة العربية حديثة النشأة، أنشئت سنة ١٩٤٥م. أي صار لها ثلاث سنوات، كانت طفلة تحبو، دخلت هذه الجيوش، وبعضهم حارب، وبعضهم قُتل، وبعضهم أُسر، مثل بعض

الضباط والجنود المصريين الرسميين والمتطوعين، ولكن لمؤامرات هذه الدولة استسلم العرب في نهاية المطاف.

هدنة رودس:

كان يمكن للعرب أن ينتصروا لو لم يقبلوا الهدنة المعروفة بهدنة رودس، ولكن للأسف قبل بعض العرب بضغط الإنجليز والأمريكان والفرنسيين عليهم، فكانت الهدنة هي حبل النجاة، وطوق النجاة لإسرائيل، استطاعت أن تتدارك نفسها؛ فأتتها بعض اليهود من الضباط والجنود، الذين كانوا يحاربون في صفوف الحلفاء، ومعهم خبرة خمس سنوات من هذه الحرب، واستطاعوا أن يحشدوا أسلحة، وهكذا قامت إسرائيل.

إسرائيل المزعومة:

وظللنا نحن العرب فترة من الزمن نقول عن إسرائيل: دويلة إسرائيل. وفي الإذاعات نقول: إسرائيل المزعومة. وفي الصحف نكتب: إسرائيل (المزعومة) بين قوسين. ظللنا عدة سنوات نقول: إسرائيل المزعومة. ثم خجلنا من أنفسنا، لأن هذه المزعومة كانت تضرب الجبهات العربيّة: تصفع هذه الجبهة، وتركل هذه الجبهة، وتهزم هذه الجبهة، ونحن نشجب ونستنكر، ونبعث إلى مجلس الأمن نستغيث به، وإسرائيل لا تبالي بهذا كله، بعد ذلك استحيينا من أنفسنا أن نقول: إسرائيل المزعومة. بعد أن أوشكنا أن نكون نحن المزعومين! وصرنا نحن المزعومين فعلاً! لأننا نقوم على الكلام، وهم يقومون على الفعل، نقوم على الشجب والاستنكار، وهم يقومون على الحديد والنار!

ثم جاءت حرب ١٩٦٧م. التي سميتها (النكبة الثانية)، فالنكبة الأولى هي نكبة سنة ١٩٤٨م. التي قامت على أساسها الدولة المزعومة، وفي نكبة (٦٧) أخذوا ما بقي من فلسطين، ومن يومها لم نسترد ما أخذته إسرائيل؛ إلا سيناء مع ما بها من شروط، منها: ألا يُسمح فيها بسلاح إلا بقدرٍ محدودٍ معيّن، فمصر لا تملك كلَّ الحُرِّيَّة في شأن سيناء، فهي حُرِّيَّة مُقيّدة.

ثم للأسف بدأت بعض البلاد العربيَّة تقيم علاقات دبلوماسية، وتتعقد اتفاقيات مع إسرائيل، ومن لم يعقد علناً عقد سرّاً، ومن لم تكن له علاقات علنيَّة له علاقات سرِّيَّة، وأصبحنا الآن نترك الفلسطينيين يتحمّلون وحدهم عبء المعركة.

حينما كنا سبع دول قليلة السلاح، مهيضة الجناح دخلنا لنشدّ أزر إخواننا في فلسطين، وحينما صرنا اثنتين وعشرين دولة؛ باثنين وعشرين جيشاً: تركنا الفلسطينيين وحدهم! أهذا منطوق؟! ماذا نقول أيُّها الإخوة؟ بل ماذا نفعل؟

قبل حرب ١٩٦٧م. كانت سياسة العرب، وفلسفة العرب، وإجماع العرب: أن إسرائيل كيان باطل قام على باطل، وما بُني على الباطل فهو باطل، وما كان باطلاً يجب أن يُزال. فكانت السياسة العامَّة المتَّفَق عليها بين العرب - ثوريين، وإصلاحيين، ومحافظين - أن إسرائيل يجب أن تزول، لأنّها قامت على الظلم والاعتصاب، والاعتصاب لا يعطي صاحبه حقّاً وإن طال المدى، ولكن أن نعترف نحن العرب بهذا الآن فهذه مشكلة.

بعد حرب ١٩٦٧م. أصبحت سياسة العرب وفلسفتهم: إزالة آثار العدوان! ليس إزالة الكيان الغاصب الظالم الباغي الطاغوي، لا، وإنما

إزالة آثار عدوان (٦٧)، كأنَّ عدوان (٦٧) أضفى الشرعية على عدوان ١٩٤٨م. النكبة الثانية غطت على النكبة الأولى، فما عدنا نطالب بحقنا في بلدنا وفي أرضنا، وفي ديارنا وفي مقدّساتنا، أصبح همنا إزالة آثار العدوان، وليتنا وصلنا إليه، حتّى إزالة آثار العدوان والعودة إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧م. لم يحدث للأسف، لا نزال (محلّك سرّ).

كنا نقول: سنقاوم ونقاوم ونكافح، ونناضل ونجاهد حتّى نسترد حقنا؛ لأن ما أخذ بالقوّة لا يُستردُّ إلاّ بالقوّة، وما أخذه السيف لا يرده القلم ولا يرده الكلام. ولكننا للأسف تركنا هذا، ومشينا فيما سموه (طريق السلام، أو الحل السلمي)، وتنازلنا وتنازلنا وتنازلنا.

يقولون: الحل السلمي. فماذا قدّمته أو سلّو من حل، وعلّام اتفقوا فيها؟ لا أدري، القدس مؤجّلة إلى المحادثات النهائية، وعودة اللاجئين مؤجّلة، والحدود مؤجّلة، وكذا وكذا، فماذا أنهيتهم إذن؟!

هذا للأسف ما حدث، ولا زال فريق منا يلهث ويلهث وراء سراب السلام أو سلام السراب، ماذا أخذنا من هذه المسيرة الطويلة، من المفاوضات التي تفشل، ثمّ تعود وتفشل، ثمّ تعود تحت أسماء: مفاوضات غير مباشرة، مفاوضات مباشرة، مفاوضات بواسطة، مفاوضات من غير واسطة، حل الدولتين، خريطة الطريق، قُل ما شئت، كلها عبث في عبث!

لا يمكن أن نأخذ حقنا إلاّ بالمقاومة، لا بدّ أن تستمر المقاومة، لا بدّ أن نؤيد المقاومة، لا بدّ أن نشدّ أزر المقاومة، لا بدّ أن نكون مع المقاومة، إذا لم نكن نستطيع أن نكون معها ومنها؛ فعلى الأقل نشد أزرها بما يمكن أن نوصله إليها، من مال ومن سلاح، ومن عتاد ومن

دعاء، حتَّى الدعاء، وبالمقاطعة لإسرائيل وأنصار إسرائيل، للأمرىكان ومن لفَّ لفَّهم، هذا ما يجب على الأمة.

لا يجوز للأمة أن تنسى فلسطين، وكيف نساها؟! وفي كل يوم نرى ما نرى، الآن بعد حرب غزّة، ولا زالت غزّة تُهدّد، ولا زالت غزّة تُحاصر وتُجوّع، ولا تزال غزّة مُهدمة البيوت، ولم يصل إليها شيء ممّا زعموا أنّهم جمعوه لغزّة، ما وصل إلى غزّة شيء.

الآن التهديد للأقصى، التهديد للمسجد الذي بارك الله حوله، التهديد للقدس الشريف، التهديد بكل ما يخيف، وبكل ما يروع، بحيث يمكن أن يُهدّم في أي وقت، لا نعرف متى وقت اليهود هدم المسجد الأقصى، أنا أعتقد أنّهم سينتهزون مصيبة تنزل بالعالم فينشغل بها، ويقومون هم بهدم هذا المسجد، هم يقومون بتهويد القدس، تهجير أهلها، لا يعطونهم حقّ بناء سكن، الأسرة التي كانت من مائة سنة أربعة أشخاص أو ستة أشخاص، الآن صارت خمسين شخصًا؛ فكيف يعيش هؤلاء دون بناء يسعهم؟ يحاولون أن يبنوا على أملاكهم، ولكن اليهود لا يعطونهم أملاكهم، لا يرخصون لهم في البناء، يستولون على هذه الأراضي بوسيلة وبأخرى، وبحجة وبأخرى، ولا حجة سوى أن هذا حكم القوي في الضعيف.

تكلّم السيفُ فاسكتْ أيُّها القلمُ تحكّم الذئبُ فاخضعْ أيُّها الحملُ
أصبحنا حملانًا، وباتوا هم ذئابًا.

نحن في خطر شديد، على الأمة أن تدرك هذا الخطر وتعيه، سمحت إسرائيل لليهود ببناء اثني عشر ألف وحدة سكنية في القدس، وسمحوا للمقدسيين الأصليين بمائتي وحدة فقط، يريدون أن يجبروهم على

الهجرة، وقد هاجر الكثيرون مسلمون ومسيحيون، حتّى المسيحيون العرب يريدون أن يغروهم، وهناك إخوة لنا مؤمنون صادقون يصرون على البقاء ولو ماتوا جوعاً، ولو جلسوا في العراق، ونحن يجب أن نشدّ أزرهم، ونقوي ظهرهم، ونقف من ورائهم بكل ما نستطيع.

الأمر جد خطير أيّها الإخوة، لا بدّ لنا أن نقف مع إخواننا المجاهدين، وأن ننادي بالجهاد، ننادي إخواننا في فتح وفي حماس وفي كل الفصائل: الجهاد، والجبهة الشعبية، والديمقراطية، وغيرهم، نناديهم أن يقفوا كتلة واحدة، لا مجال لاختلاف، لا مجال لتفرق، يمكن أن يختلف الناس ويتفرّقوا إذا كانوا في عافية، إذا كانوا منتصرين، إذا كانوا في رخاء، أمّا إذا كانوا في محنة، إذا كانوا في بلاء، إذا كانوا في هذه الحال؛ فكيف يختلفون، وكيف يتفرقون؟

الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بَيْنَ مَرَّصُوصٍ﴾ [الصف: ٤]. ونحن نقاتل، نحن في معركة، في معركة من كل ناحية، معركة عسكريّة، ومعركة اقتصاديّة، ومعركة سياسيّة، ومعركة ثقافيّة، ومعركة دينيّة، فلا بدّ أن نقف في هذه المعركة صفاً واحداً؛ كأننا بنيان مرصوص.

يا أيّها الإخوة الفلسطينيين، تجمّعوا وتكتّلوا، وقولوا: لا بدّ لنا من وقفة، ولا بدّ لنا من جهاد، ولا بدّ لنا أن نعلن أننا لن نتنازل عن حقنا بحال من الأحوال.

ويا أيّها العرب، ويا أيّها المسلمون في المشرق والمغرب، وفي الشمال والجنوب، حرام عليكم أن تختلفوا ولا تتفقوا، وأن تتباعدوا ولا تتقاربوا، وأن تخذلوا إخوانكم، بل أن تخذلوا أنفسكم!

أنا أقول: إنَّ قضية فلسطين ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، أرض
النبوات أرض الإسراء والمعراج ملك لجميع المسلمين. لا يجوز لنا أن
نقول: إنَّها أرض الفلسطينيين ولا شأن لنا بها. فالمسجد الأقصى ليس
للفلسطينيين وحدهم، كل المسلمين لهم حق، يجب أن ندافع عن
المسجد الأقصى، عن أرض الإسلام، يا عرب ويا مسلمون، قفوا مع
إخوانكم، وانصروا الله ينصركم، ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يؤيِّدنا بروح من عنده، وأن يمدِّنا بملأ من
جنده، وأن يحرس إخواننا بعينه التي لا تنام، وأن يكلائهم في كنفه الذي
لا يُضام ولا يُرام، اللهم افتح لهم فتحاً مبيناً، واهدهم صراطاً مستقيماً،
وانصرهم نصراً عزيزاً، وأتمِّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك،
وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام،
اللهم عليك بالصهاينة الطاغين الباغين، اللهم عليك بأعدائهم من
الصلبيين الكائدين، اللهم عليك بجميع أعدائك أعداء الدين، اللهم رُدِّ
عنا كيدهم، وفلِّ حدهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يُرد عن القوم
المجرمين، ربنا اغفر لنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في
قلوبنا غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنَّك رؤوف رحيم.

* * *



القَهَّارُ (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً عن أسماء الله الحسنى، ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، حديثنا اليوم عن اسم من أسماء الله تعالى هو اسم (القَهَّار).

معنى اسم الله القَهَّار:

كلمة (قَهَّار) صيغة مبالغة من القهر، فهو يقهر ولا يُقهر، وقد ورد اسم (القَهَّار) في القرآن ست مرّات مقروناً باسم (الواحد)، ما ذكر القهّار في القرآن إلّا مقترناً بهذا الاسم (الواحد القهّار)، كأنّما يشعرنا: أن هذا القهّار ليس له شريك ولا منازع ولا وليّ، ولا والد ولا ولد، فهو واحد متفرد بالربوبية، متفرد بالألوهية، متفرد بالقهر.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]. لا يوجد إله إلّا كان واحداً وقهّاراً يُنفذ أمره في خلقه: شاؤوا أم أبوا، أحبّوا أم

(١) ألقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٤ يونيو ٢٠١٠م.

كرهوا، رضوا أم سخطوا، فأمر الله نافذ فيهم، ليس هناك مَنْ يستعصي على قضاء الله الذي لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقَّب لحكمه. يجري على الملوك ويجري على السَّوقة، يجري على الأغنياء وعلى الفقراء، على الأقوياء وعلى الضعفاء، على الذين ادعوا الربوبية وزعموا لأنفسهم الألوهية، مثلما ادعى نمرود الذي حاجه إبراهيم في ربه، ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، كيف تحيي وتميت يا هذا؟ جاء برجلين من عرض الطريق وحكم عليهما بالإعدام، أمَّا أحدهما فأمر السيِّف بقتله ظلماً وعدواناً، وأمَّا الآخر فعفا عنه، وقال النمرود: ها أنذا قد أمتُّ وأحييت. فترك إبراهيم جداله وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ضعف الذين يتجبرون في الدنيا:

هؤلاء الذين يزعمون الربوبية لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم أي شيء ينزل بهم، لا يستطيع أن يدفع عن نفسه المرض، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه الشيخوخة، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه الموت؛ بل إنَّ الموت حاكم على الجميع، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، فهذا دليل على قهاريَّة الله تعالى.

كل الذين يدعون الجبروت في الدنيا ويستقون على الضعفاء، هؤلاء أمام قدر الله وَعَجَلٌ وأمام حكمه لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً، فرعون الذي قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]. لم يستطع أن يقاوم الغرق؛ حينما جاءه الغرق، وأنفذ الله أمره، حينما واجه موسى البحر.

كان أصحاب موسى يقولون: البحر من أمامكم، والعدو من خلفكم، فرعون بجيشه وقومه وملئه وقواته المسلحة: يركضون وراء موسى وجماعته، حتى وجدوا البحر، ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، أدركنا فرعون ومن معه، وهنا قال موسى بإيمانه بربه؛ الذي قال له ولأخيه، حينما قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٥، ٤٦]. فرسخت في قلب موسى هذه الكلمة: ﴿إِنِّي مَعَكُمَا﴾.

فلما قال له أصحابه: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾. أدركنا فرعون ولحقنا، ولا نجاة منه! قال: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. الله لن يتركني ولن يتخلى عني، ولكن ماذا يعمل والبحر أمامه، والعدو من خلفه؟ هنا ظهرت قهاريّة الله و﴿جَلَّ وَأَوْحَى﴾ إلى موسى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ [الشعراء: ٦٣]. ماذا تفعل العصا بالبحر؟ ولكن موسى نفذ الأمر وضرب البحر، ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

انفرت المياه فرقتين كل فرقة كالجبل العظيم، وأصبح بينهما طريق يبس جاف، ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمُ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]، وذهب موسى، وشقّ البحر، ونجا هو وقومه، ثم وقع فرعون في الفخ، ظنّ أنّ البحر ما دام قد انفلق لموسى سينفلق له أيضًا؛ فسار وراءه، ثمّ أطبق عليه البحر ومن معه، ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

نجا موسى، وغرق فرعون! موسى الذي كان يسخر منه فرعون، ويقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف: ٥١، ٥٢]. موسى الضعيف المحترق،

هذا الذي لا يكاد يبين، لأن موسى كانت لديه لثغة في لسانه، ثم يقول القرآن: ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا اُنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ اَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥].
فالله هو الواحد القهار.

القهار الحق هو الله:

حينما كان سيّدنا يوسف في السجن، دخل معه السجن فتيان: أحدهما ساقى الملك، الذي يسقيه الخمر، والآخر خبّاز للملك، أتتهما في قضية: أحدهما بريء، والآخر متورط فيها. ورأى كل منهما رؤيا؛ فطلبا من يوسف أن يؤولها لهما، ولكن يوسف - قبل أن يفسرها أو يُعبرها لهما - دعاهما إلى الله، وقال: ﴿ يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَازْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ اَمِ اللّٰهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [يوسف: ٣٩]. تعبد إلهًا واحدًا فتعرف مرضيه من مسأخطه، تعرف ما يحبه ممّا يكرهه، أم تعبد آلهة شتى، واحد يُشْرَق بك وآخر يُغْرَب، واحد يأمرك وآخر ينهاك، واحد يحلل وآخر يُحرّم، فلا تعرف مَنْ تطيع ومَنْ ترضي! ﴿ ءَازْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ اَمِ اللّٰهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾، ست مرّات جاء هذان الاسمان مقترنين (الواحد القهار).

وفي عهد فرعون أيضًا قال له الملائمة من قومه: ﴿ اَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ؕ قَالَ سَنْقِيلُ اَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَجِيءُ نِسَاءَهُمْ وَاِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. سنعيد الكرة التي كنا قد بدأناها من أربعين سنة أو أكثر؛ حينما وُلد موسى، سنعيد عليهم هذه القصة من جديد، قال: ﴿ سَنْقِيلُ اَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَجِيءُ نِسَاءَهُمْ وَاِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾.

وكذب فرعون فيما قال، فالقاهر هو الله، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ؕ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ؕ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ [الأنعام: ٦١]، ليس فرعون بقاهر فوق العباد، وإن ظنّ أن له القدرة وأن له السطوة، فإنّ

هناك مَنْ تخضع الجبابرة لسلطوته، هناك مَنْ يقمع المتكبرين في الأرض، الذين يزعمون أنهم قاهرون فوق العباد، وما هم بقاهرين؛ بل هم المقهورون.

الملك يوم القيامة لله الواحد القهار:

جاء في سورة إبراهيم: أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْرَزُونَ وَيُنْكَشَفُونَ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ، تَنْكَشَفُ الْحَقَائِقُ كُلُّهَا، لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مُسْتَوْرٌ، ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِيهِ، رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ * يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿ [إبراهيم: ٤٧، ٤٨]، في هذا اليوم يبرز كل شيء، وينكشف كل شيء، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿ [مريم: ٣٧، ٣٨]، ﴿وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿ [غافر: ١٨، ٢٠].

الجميع يوم القيامة بارزون منكشفون، ما عاد أحد يستطيع الاختباء، إذا كانوا في الدنيا يُموهون ويُزورون ويكذبون، ويظهرون على غير حقيقتهم، ويستطيعون أن يخدعوا البشر وأن يغشوهم، وأن يُزوروا الحقائق، فلن يستطيعوا أن يفعلوا هذا يوم القيامة، ﴿يَوْمَ النَّالِقِ﴾ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ﴿ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿ [غافر: ١٥، ١٦]، الملك في هذا اليوم ليس لأمریکا ولا لإسرائيل ولا للجبابرة المستكبرين في الأرض، مَنْ يملكون السلاح النووي، ومَنْ يملكون أسلحة الدمار الشامل، كل هؤلاء لم يعودوا يملكون شيئاً، بل هؤلاء المتكبرون أنفسهم يصبحون مثل الذرِّ، مثل النمل، يطأهم الناس

بأقدامهم، ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾؟ هل هناك ملك أو جبار في الأرض يقول: لي الملك؟ لا يوجد، والذي يرد هو الله وحده، ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾. الله هو الواحد القهَّار، لا قهَّار غيره، ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]، ليس في حاجة إلى والد ولا ولد، لو كان في حاجة لم يكن قهَّارًا، ولكن لأنه لم يلد ولم يولد: هو القهَّار وحده، هو الخالق القادر المتصرف، ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٥]

الله تعالى هو قاهر الجبابرة:

الله **عَجَلٌ** هو الذي يقهر الجبابرة، هو الذي أخذهم أخذ عزيز مقتدر، عاد وثمود، وفرعون وهامان، وكل المتكبرين أخذهم الله؛ فلم يُبقِ لهم من باقية، ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ * ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ﴾ * ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٣-٤٥]، كل هؤلاء مهزومون، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ * ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ * ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ * و﴿ثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٦-٩]، نحتوا بيوتًا في الجبال، واتخذوا من الجبال قصورًا، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ﴾ [الفجر: ١٠]، بعضهم يفسر الأوتاد بالأهرام التي تُعتبر كأنها جبال، وقد جعل الله الجبال أوتادًا، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ﴾ * ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ * ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ * ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ * ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٠-١٤]، الله يرصد كل شيء، ويرقب كل شيء، فمن أسمائه (الرقيب) الذي لا يغيب عن علمه شيء، ولا عن عينه شيء. هي عين لا تنام، هي عين ناظرة إلى كل ما يجري في الكون، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

هذا هو شأن الله وَعَجَبٌ مع هذه الأمم التي طغت في الأرض؛ مثل عاد، ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، كما تزعم دولة العدو الصهيوني: أنها هي القوّة التي لا تُقهر، والشوكة التي لا تُكسر! ولكن الله سيكسر شوكتها، ويدبل دولتها إن شاء الله.

الذي أدال دولة الفراعنة والقياصرة والأكاسرة، وكل الجبابرة في الأرض: سيدبل هذه الدولة؛ لأنها قامت على الطغيان والفساد، ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾، ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥، ١٦]، الله ﷻ بالمرصاد لهؤلاء.

فكلاً أخذنا بذنبه:

تحدّث الله ﷻ في سورة العنكبوت عن الظالمين، من قوم نوح وإبراهيم، ولوط وشعيب، وعن عاد وثمود، وعن قارون وفرعون وهامان، أولئك الذين استكبروا في الأرض وما كانوا سابقين، ثمّ قال: ﴿فَكَلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾، مثل قوم هود، ومثل قوم لوط، الذين أنزل الله عليهم حجارة من سجيل، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىٰهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنْ سِجِيلٍ مَّنصُودٍ * مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾، مثل ثمود، ومثل قوم شعيب، ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِمِينَ * كَانُوا لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودٌ﴾ [هود: ٩٤، ٩٥]، بَعْدًا لهؤلاء، تكرر ت كلمة (بَعْدًا)، ﴿إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ [هود: ٦٠]، ﴿أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدًا لَثَمُودٍ﴾ [هود: ٦٨]، ﴿أَلَا بَعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودٌ﴾ [هود: ٩٥]، بَعْدًا لهم، ليذهبوا إلى الجحيم، الله لا يبالي بهم، ولذلك قال النبي ﷺ: «شَيَّبْتَنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»^(١). لَأَنَّ مَنْ يَعْصِي اللَّهَ، وَيُكذِّبُ رَسُلَهُ، وَيَتَمَرَّدُ عَلَى رَبِّهِ يَأْخُذُهُ اللَّهُ أَخْذًا أَلِيمًا شَدِيدًا.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾، قارون، ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾، قوم نوح، وفرعون وهامان وجنودهما، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ:

إِنَّ اللَّهَ يَمْلِي لِلظَّالِمِ، يمهله، يستدرجه حتى يظن المغرور أن الله وَجَلَّ غير قادر عليه، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]، ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنََّّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ وَعَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، هذا إملاء الله، إمهال الله وَجَلَّ، حتى عوام الناس يقولون: (يمهل ولا يهمل).

كل شيء عند الله بأجلٍ مسمًى، لا تظن أن الله غافل عما يعمل الظالمون، لا تظن الله قد نسي أمرهم، ولن يأتيهم حسابه، لا، سيأتيهم

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٧)، وقال: حسن غريب. والحاكم (٣٤٣/٢)، وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، كلاهما في التفسير، عن ابن عباس.

حساب الله، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ وَجَّكَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢] (١).

حينما قصَّ القرآن في سورة هود، قصَّة هؤلاء الكفرة الطغاة الظالمين، الَّذِينَ تَمَرَّدُوا عَلَى اللَّهِ وَعَلَىٰ رِسَالِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ: لَمْ يَتْرَكْهُمْ اللَّهُ وَجَّكَ، بَلْ أَمَلَهُمْ فِتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ثُمَّ أَخَذَهُمْ، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠١، ١٠٢].

تعلق المستضعفين باسم الله القهار:

الله هو القهار، الواحد القهار، الَّذِي يَقْهَرُ وَلَا يُقْهَرُ، مَا قَهَرَهُ شَيْءٌ، إِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْزِلَ عِقُوبَتَهُ بِالْمَجْرَمِينَ الْمُتَأَلِّهِينَ، وَيُرِيهِمْ قَدْرَ أَنفُسِهِمْ، وَهَوَانِهِمْ عَلَى اللَّهِ، وَأَنَّهَمْ لَا يَزْنُونَ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَا أَقْلَ مِنْ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ، إِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا بِأَرْضِهَا وَسَمَائِهَا، وَبِحَارِهَا وَجِبَالِهَا وَأَفْلَاقِهَا: لَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ؛ فَمَا قِيَمَةُ هَذَا الْإِنْسَانِ الْمُتَكَبِّرِ الْمُتَجَبِّرِ الْمُسْتَعْلِي عَلَى خَلْقِ اللَّهِ، مِنْ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ؟!

اللَّهُ وَجَّكَ يُرِي هَؤُلَاءِ النَّاسِ ضَعْفَهُمْ وَهَوَانَهُمْ وَخَسَّتَهُمْ عِنْدَهُ؛ حِينَمَا تَنْزِلُ بِهِمْ نَقْمَتُهُ وَجَّكَ، ﴿فَأَنقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، هَكَذَا حِينَمَا يُنْزِلُ نَقْمَتَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَهُوَ لَا يُنْزِلُ نَقْمَتَهُ إِلَّا عَدْلًا وَقِسْطًا، اللَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]،

(١) سبق تخريجه ص ١٥٩.

إذا أخذ الناس؛ فإنما يأخذهم بظلمهم، وهو لا يأخذهم بكل ما ظلموا، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل: ٦١]، إذا قرّر الله ﷻ وتعلّقت مشيئته بإنزال نقمته على الظالمين؛ لأنّهم بغوا وطمعوا وعاثوا في الأرض فسادًا، حينها سيرهم قيمة أنفسهم.

الله ﷻ هو الجبّار القوي ذو القوّة المتين، وهو الحكم العدل، لا يأخذ أحدًا بغير ذنب، ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

اغترار المجرمين بحلم الله وإمهاله:

الذي يغرّ الناس هو صبر الله ﷻ، ومن أسمائه (الصبور)، هو حلم الله ﷻ، يجترئ عليه الطغاة والمفترون، وهو يحلم عنهم، فهذا جرّأهم، وغرّهم بالله الغرور، كما غرّتهم أنفسهم وغرّتهم الأمانى، حتّى تنزل بهم نعمة الله ﷻ.

وكثيرًا ما يُنزل عليهم نعمه، وهم يرتكبون المعاصي، ويقترفون المظالم، ومع هذا رزق الله ينزل عليهم، والقوّة تواتيهم، كما نرى (إسرائيل) هذه الدويلة - كما كُنّا نسمّيها - تجترئ على عباد الله، وتجترئ على المؤمنين، وتجترئ على الله ﷻ، ولا ترقب في مؤمن إلاّ ولا ذمّة، ولا ترعى لأحد عهدًا ولا حرمة، وهذا استدراج من الله لهم؛ حتّى يأتي وعد الله، وإنّ وعد الله لا يرب فيه.

سنرى اسم الجبار، وسنرى اسم الواحد القهّار، وسنرى المنتقم الذي يقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]،

﴿فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ وَأَكَّاتُ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ لَصَادِقٌ، وَإِنَّ عَذَابَهُ لَوَاقِعٌ، وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مَسْمُومٍ.

اللَّهُ لَا يَغْفُلُ عَنِ الظَّالِمِينَ:

إِيَّاكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَالْأَخْوَاتُ أَنْ تِيَّاسُوا، إِيَّاكُمْ أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَلَ عَنِ هَؤُلَاءِ، وَاللَّهُ إِنَّ لَهُمْ يَوْمًا آتِيًّا لَا رَيْبَ فِيهِ، وَأَنَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ قَدْ دَنَا، وَقَدْ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ وَجَّكَ يُنْزِلُ نَقْمَتَهُ حِينَمَا يَشْتَدُّ ظَلَمُ الظَّالِمِينَ، وَحِينَمَا يَسْتَيْسُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَيَسْتَبْعِدُونَ النِّصْرَ وَهُمْ لَهُ يَعْمَلُونَ، هُنَا يَأْتِي النِّصْرُ، ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ﴿حَتَّى إِذَا أُسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّى مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِهِؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، اللَّهُمَّ أَدِلْ دَوْلَتَهُمْ، وَأَذْهَبْ عَنِ أَرْضِكَ سُلْطَانَهُمْ، وَلَا تَدْعَ لَهُمْ سَبِيلًا عَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ يَا مُنْزِلَ الْكِتَابِ، وَيَا مُجْرِيَ السَّحَابِ، وَيَا سَرِيعَ الْحِسَابِ، وَيَا هَازِمَ الْأَحْزَابِ، أَهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ، اللَّهُمَّ أَهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ، اللَّهُمَّ أَدِرْ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِمْ، وَسُقِ الْوَبَالَ إِلَيْهِمْ، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، اللَّهُمَّ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، ادْعُوا رَبَّكُمْ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

اعتداء اليهود على أسطول الحرية:

لا شكَّ أنّ هناك موضوعًا واحدًا سنتحدث عنه في هذه الخطبة الثانية، إنّه موضوع يفرض نفسه، إنّه موضوع هذه الطغمة الباغية الطاغية المتجبرة في الأرض، المستكبرة بغير الحق، المتمردة على الله وعلى رسله وعلى كتبه، إنّه موضوع هؤلاء الصهاينة الظلمة.

إنَّ لي عدة كلمات في هذا الموضوع:

الكلمة الأولى: أوَّجَّهها إلى هؤلاء الصهاينة المفسدين في الأرض.

الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ تُغَيِّنَا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

هؤلاء هم مشعلو نار الحروب دائماً، وهم السّاعون في الأرض بالفساد، والله لا يحب المفسدين، ولا بد أن يأخذهم الله بفسادهم وطغيانهم، هؤلاء لم يقفوا عند حد، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «مِمَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(١). فهؤلاء الناس لا يخافون ولا يستحون، لا يخافون خالقاً، ولا يرحمون مخلوقاً، لا يخافون ولا يستحون من أحد، ولا من الله نفسه، غرَّتهم

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨٣)، عن أبي مسعود الأنصاري.

أنفسهم، وغرّتهم الأمانى، وغرّهم بالله الغرور، وغرّتهم أمريكا: القوّة العظمى في الأرض، غرّهم المال الأمريكي، وغرّهم السلاح الأمريكي، وغرّهم العلم الأمريكي، وغرّهم (الفيديو) الأمريكي، فعاثوا في الأرض فسادًا، ما عادوا يستحون من أيّ شيء!

وما كنّا نظن أن يبلغ بهم الطغيان وقلة الحياء إلى هذا الحد، ظننا أنّهم حينما قالوا: هذه السفن لن تأتي. أنّ هذا مجرد تهديد، وأنّهم لن يجرؤوا أن يقفوا في وجه سفينة لا تحمل قبلة، ولا تحمل بندقية، ولا تحمل مسدسًا، إنّما تحمل أناسًا متطوعين جاؤوا من أنحاء العالم، وتحمل مواد إغاثية وغذائية وطبيّة!

من كان يظن أن هناك دولة تجترئ أن تصدّ هؤلاء، وتصدّهم بالرصاص، رأيتم مثل هذا؟ ما كان أحد يظن أن يبلغ العتو بهؤلاء الناس إلى الاجترار على هؤلاء المدنيين الأحرار الشرفاء، الذين جاؤوا من خمس وستين دولة.

ما كنا نظن أن يبلغ بهم الأمر مثل هذا المبلغ، ولكنّهم فعلوها، وما فعلوها إلّا لأننا نحن العرب بصفة خاصّة، ونحن المسلمين بصفة عامّة جرّأناهم علينا، لو كانوا يعلمون أنّ في الزوايا خبايا، وأنّ في الميدان رجالًا، وأنّ هناك أمة ستغضب لهذا الأمر، وستقف وقفة رجوليّة: ما كانوا يفعلون شيئًا، ولكنّهم جرّبوا قبل ذلك، وفعلوا بنا ما فعلوا، ولم نفعل شيئًا.

كنا في الزمن الماضي نشجب ونستنكر ونحتج، ونبعث إلى هيئة الأمم أو مجلس الأمن، حتّى هذا الشجب والاستنكار لم يعد يحدث، أمة ماتت، لا أقول: أمة نامت.

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجْرَحِ بِمَيِّتٍ إِيْلَامٌ^(١)

(١) ديوان المتنبي ص ١٦٤.

حُقَّ لليهود أن يفعلوا ما فعلوا؛ لأنَّ أُمَّةَ العرب المسؤولة أولاً عن هذه القضية: لم تعد تغضب لقضيتها.

قُدِّمت مبادرة عربية، وحدثت أشياء كثيرة كانت تستدعي أن تقول: سحبتنا هذه المبادرة، فما عاد لها معنى، إسرائيل لم تعد تبالي بنا ولا بمبادرتنا. للأسف ما فعلنا ذلك! جزى الله (البرلمان) الكويتي خيراً، والحكومة الكويتية التي قرَّرت بالإجماع الانسحاب من هذه المبادرة العربية.

نقول لهذه الدولة الظالمة الباغية: إنَّه قد اقترب أجلها، إنَّ للظالم يوماً، الله ﷻ لا يغيب عنه ظلم الظالمين، وإنَّما يمهلهم ولا يمهلهم، يؤخِّرهم ليوم لا ريب فيه. الناس يقولون: (يا ظالم لك يوم). ويوم الظالمين قد دنا واقترب، أن لله تعالى أن يغضب، وإذا غضب الله على هؤلاء؛ سينتقم منهم الانتقام الذي يذلهم، كما قال ﷻ عن قوم فرعون: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

ونعتقد أن هؤلاء قد آسفوا الله، قد أغضبوه بما فعلوه في النساء والصبيان، والشيوخ والجوعى، والمحاصرين والفقراء، الذين طال بهم وطال عليهم الحصار، وطال عليهم العذاب، أن لله ﷻ أن يغضب من هؤلاء، ويا ويلهم، ثمَّ يا ويلهم، ثمَّ يا ويلهم؛ إذا غضب الله عليهم.

وهم مغضوب عليهم من قديم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبَأُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]. الأمة الغضبية المغضوب عليها.

لا عجب أن يعتدي هؤلاء على المدنيين الأحرار الذين جاؤوا يمدون الجوعى بالغذاء، والمرضى بالدواء، يمدونهم بالمساعدات والإمدادات الإنسانية، فأبى هؤلاء إلا أن يقابلوهم بالرصاص والنار والدمار.

هؤلاء هم القتلة، ولا عجب؛ فقد قتلوا أنبياء الله من قبل، ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١]، ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، هكذا قتلوا الأنبياء بغير حق، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَغْيًا حَقًّا وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من نصيرين] [آل عمران: ٢١، ٢٢]، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا غَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بَغْيًا حَقًّا ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

الكلمة الثانية: أوجهها لإخواننا العرب.

ماذا نقول لقومنا؟ ماذا نقول لأمتنا؟ ماذا نقول لثلاث مليار من العرب، يسكنون أرض العرب، ويتكلمون لغة العرب، ويتحدثون عن أمجاد العرب وعن شهامة العرب، أين شهامة العرب؟ أين نجدة العرب؟ كان العربي إذا استنجد به رجل من قبيلة أخرى ينجده؛ ولو على حساب قومه، يقول: أنجدته، أجرته، لا مجال لأن تعتدوا عليه، هو في جوارى.

أين أخلاق العرب هذه؟ حتى أخلاق الجاهلية لم نعد نحسنها، فما بالك بأخلاق الإسلام؟ لقد خذل العرب إخوانهم.

والعجيب أن إسرائيل حينما قامت في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨م. غضب العرب ودخلوا فلسطين ليحرروها من الدولة الصهيونية، ويساعدوا

إخوانهم الفلسطينيين، كانت الجيوش العربيّة حينذاك تتكوّن من سبع دول، وكانت الجامعة العربيّة طفلة صغيرة، ولدت من ثلاث سنوات سنة ١٩٤٥م. دخلت الجيوش العربيّة، وبعضها أبلى بلاء حسنًا، وأُسر من الضباط والجنود مَنْ أُسر.

وقد أبلى المتطوّعون أيضًا بلاء حسنًا، حتّى حكى أحد الضباط المصريين الذين أسرهم اليهود أنّهم قالوا له: نحن لا نخشى من الجيوش العربيّة السبعة. قال: وماذا تخشون؟ قالوا: نخشى شيئًا واحدًا، نخشى جماعة (الله أكبر). قال: وماذا يخيفكم منهم؟ إنّ أسلحتهم بسيطة وخفيفة، وتدريبهم قليل. قالوا: ما تخيفنا أسلحتهم ولا يخيفنا تدريبهم، إنّما يخيفنا أنّنا اجتمعنا من بلاد وهاجرنا وجئنا إلى هذا المكان لنعيش، وأمّا هؤلاء فهاجروا من أوطانهم وجاؤوا هنا ليموتوا، فكيف يقاتل مَنْ يريد العيش مَنْ يريد الموت في سبيل الله؟!!

دخل العرب فلسطين سنة ١٩٤٨م. ليقاوموا، ولولا خيانات السياسيين لفشل المشروع الصهيوني، كاد المشروع الصهيوني يفشل؛ لولا أنّ الإنجليز وغيرهم ضغطوا على الحكام ليقبلوا هدنة رودس، وكانت هذه الهدنة إنقاذًا لإسرائيل.

العرب الذين دخلوا إسرائيل سنة ١٩٤٨م. تركوا إسرائيل الآن تعبت وتستبيح كل شيء، بعد أن ملكت أسلحة الدمار، وملكّت الأسلحة النوويّة، وأصبحت أقوى من جميع العرب في الشرق الأوسط، ولعلها أقوى من جميع المسلمين أيضًا، استطاعت إسرائيل أن تفعل ما تشاء، ولم يقف العرب وقفة بموجب الدفاع المشترك، أين الجامعة العربيّة؟ وأين الدفاع المشترك؟ وأين الهمة والشهامة القوميّة؟ لم نجد لذلك أثرًا للأسف.

ماذا نقول لقومنا؟ إننا لا نستطيع أن نصف العرب جميعًا بالتخاذل، هناك من وقف مواقف مشرفة، وإن كانوا هم الأقلين الذين وقفوا مع الفلسطينيين، ووقفوا مع المقاومة الفلسطينية، ووقفوا مع الحق الفلسطيني، ومنهم دولة قطر وأميرها، الذي وقف في المؤتمر الذي عُقد في الدوحة من عدة أيام وهاجم إسرائيل، وهاجم القرصنة الإسرائيلية، ووقف بقوة مع أهل غزة، وحيًا الأتراك، وذهب من هنا إلى الطيب أردوغان ليشد على يديه، ويقف من ورائه، ويشد أزره، وقالت دولة قطر: إنها ستتكفل بكل ما تحتاجه ملاحقة إسرائيل على المستوى القانوني، والمستوى الإعلامي، والمستوى الدولي.

الكلمة الثالثة: أوجهها لإخواننا الأتراك:

وينبغي أن نحیی أيها الإخوة الجمهورية التركية، نحیی هؤلاء الأبطال، نحیی الشهداء الذين سقطوا وخطوا على الأرض بدمائهم عزة الإيمان، وعزة الإسلام، كل الشهداء الذين سقطوا في أسطول الحرية كانوا من إخواننا الأتراك، نسل الفاتحين مُحَمَّد الفاتح، وإخوانه وآبائه العظام.

معروف أن الأتراك الأوائل كانوا يجاهدون في سبيل الله، كانت روحهم إسلامية، لم يكن فتحًا قوميًا أو قتالًا قوميًا؛ بل كان كل ما يريدونه نشر الإسلام في العالم، فهؤلاء الشهداء من نسل هؤلاء الأبطال، فنحن نترحم عليهم، وإنهم إن شاء الله لفي الفردوس الأعلى، لأنهم خرجوا في سبيل الله، وتصدوا بصدورهم المكشوفة لأسلحة إسرائيل المجرمة، التي لا تستحي من مخلوق، ولا تخاف من خالق.

نحیی إخواننا الأتراك على موقفهم، وهذا موقف من المواقف، أصبحت مواقف الأتراك المشرفة أكثر من أن تُحصى، ووقفوا مواقف ماذا



نقول عنها؛ إلا أنها تخجلنا نحن العرب، نحن أصحاب القضية الأولون، وهؤلاء المُكْتَفُونَ والمُكْتَفِدُونَ باتفاقيات وأشياء، وبجيش علماني يحمي العلمانيّة، وبمحكمة دستوريّة ترعى العلمانيّة، وبأشياء كثيرة، ولكن هذه الحكومة المباركة، وهذا الحزب الميمون (حزب العدالة والتنمية)، وهذا الشعب البطل، الذي يظهر إيمانه وبطولته في كل حين، ما بين الحين والحين يخرج من أجل فلسطين في مسيرات، وفي مظاهرات، وفي احتجاجات، ولا يبالي بما يصيبه في سبيل الله.

نحيي إخوتنا الأتراك أيّها الإخوة، ونحن موقنون أنّ الإسلام لا يمكن أن يضيع أبداً، ظنّ الناس الظنون أنّ الإسلام قد انتهى في تركيا وطوي بساطه وغربت شمسُه، فقد حكمتها العلمانية حوالي سبعين سنة، ولا زال لها أثرها إلى اليوم، ولكن هيهات، الإسلام باقٍ أيّها الإخوة في تركيا، ولا زال يُحرِّك الشعب من أعماقه، لا زال نبض الشعب التركي نبضاً إسلامياً، لا زال يحامي عن الإسلام، ما دام فيه عرق ينبض، وعين تطرف، فنحمد الله وَعَلَىٰ أن في المسلمين مَنْ يغار على الإسلام، ومَنْ يبذل نفسه لله، ومن يضع رأسه على كفه، وروحه في يده؛ من أجل نصرّة الإسلام وقضيّة الإسلام.

الكلمة الرابعة: تحية لمن ساهم في أسطول الحرية.

إننا أيّها الإخوة نحيي أسطول الحرية، وكل مَنْ ساهم في أسطول الحرية: من الأوروبيين، وحتى من الأمريكان، ومن الآسيويين، ومن الأفريقيين، ومن العرب ومن غير العرب، وإن كان الأتراك هم الذين يستحقون القمّة، لكننا لا نبخس حقّ مَنْ ساهم في هذه المسيرة الخيرة (أسطول الحرية)، ولعنة الله على أعداء الحرية وأعداء الإنسانيّة الصهانية الظالمين، حيّا الله رجال الحرية وأنصار الحرية.

وقد مثل قطر، ومثل الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أحد علمائنا المسلمين الذين يعملون في قطر من سنين طويلة، وهو الأخ العالم الداعية أكرم كساب، وقد عاد بحمد الله، وهو بيننا في هذا اليوم، ولعلنا نسمع منه كلمة في المهرجان الذي يُقام بعد الصلاة.

إننا نحیی كل مَنْ ساهم في هذه القافلة، نحیی الشهداء، ونحیی الجرحى، ونحیی العائدين بسلامة الله، ولعل أسطولاً آخر يقوم إن شاء الله، وينتقم لهذا الأسطول، وما ذلك على بعزیز.

نحن أصحاب الحق، والحق لن يهزمه الباطل:

إننا أيها الإخوة أصحاب حق، وحقنا لن يهزمه باطل الصهاينة أبداً، إنَّ للباطل ساعة، وأمَّا الحق فهو دائم إلى قيام الساعة، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

إنَّ أمةً تبلغ ألفاً وخمسمائة وثمانين مليوناً، حوالي مليار وثلثي مليار حسب أحدث الإحصاءات، هذه الأمة الكبرى لا يمكن أن ينتصر عليها اليهود، لا بدَّ أن تستفيق هذه الأمة، ولا بد أن تستعيد ثقافتها بنفسها، ولا بد أن تضع يدها في يد ربِّها، والله وَعَلَيْكَ لَنْ يَخْذَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَبَدًا، ولن يتخلى عن أتباعه وأنصاره، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١]، ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ [الصافات: ١٧٢، ١٧٣].

الغلبة لنا وإن طال الزمن، ولكننا لن نياس أبداً، لن نقنط من رحمة الله، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

إِنَّا أَصْحَابُ الْحَقِّ، وَالْحَقُّ لَا بَدَّ مُنْتَصِرًا، لِأَنَّ هَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ، ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ هُوَ نَاصِرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ فَلَنْ يُغْلَبَ كَمَا قَالَ وَعَجَلٌ: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

آن لنا أن نتخلى عن لغة المبادرات:

كلمتي إلى الأمة العربية أن تتخلى عما سمّوه المبادرات، وكلمتي إلى السلطة الفلسطينية أن تنفض يدها من هذه المبادرات المباشرة وغير المباشرة، فما كسبنا منها شيئاً، ما كسبنا من هذه المبادرات، ودعاوى المبادرات، ومسيرة السلام، وما هي إلا استسلام، نريد من السلطة الفلسطينية أن تعلن كلمتها أنها رفضت يدها من هذه الأكاذيب، التي لم تنل منها شيئاً، ولن تنال منها شيئاً.

أرجو أن يكون هذا الذي حدث درساً نتعلم منه، تأتي علينا الدروس درساً بعد درس ولا نتعلم منها؛ فمتى نتعلم؟ هنا ينبغي أن يقف الجميع صفاً واحداً، السلطة والمقاومة، حماس والجهاد، وفتح والجبهة، وكل هؤلاء الفصائل: يجب أن يقفوا صفاً واحداً لمواجهة هذا العدو الطاغية المستكبر، المفسد في الأرض.

لم يعد يُقبل أبداً أن تقف جماعة مع إسرائيل، وجماعة ضد إسرائيل، مَنْ يقبل أن يضع يده في يد هؤلاء القتلة السفاحين، الذين يستبيحون الدماء؟ مَنْ يقبل أن يقف مع هؤلاء بعد اليوم؟ إننا ننادي الفلسطينيين جميعاً: أن يصطفوا في جبهة واحدة، أن يكونوا كالبنيان المرصوص،

يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ
بُيُوتُهُمْ مَرَّضُوهُمْ﴾ [الصف: ٤].

أَسْأَلُ اللَّهَ وَجَّكَ أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَ هَذِهِ الْأُمَّةِ خَيْرًا مِنْ أَمْسِهَا، وَأَنْ يَجْعَلَ
غَدَهَا خَيْرًا مِنْ يَوْمِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ إِخْوَانَنَا فِي غَزَاةٍ، وَيَفْتَحَ لَهُمْ فَتْحًا مَبِينًا،
وَيَهْدِيَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَيَنْصُرَهُمْ نَصْرًا عَزِيزًا، اللَّهُمَّ أْتَمِّمْ عَلَيْهِمْ
نِعْمَتَكَ، وَأَنْزِلْ فِي قُلُوبِهِمْ سَكِينَتَكَ، وَأَنْشُرْ عَلَيْهِمْ فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ،
وَأَطْعِمِهِمْ مِنْ جُوعٍ، وَأَمِّنْهُمْ مِنْ خَوْفٍ، وَأَنْصُرْهُمْ عَلَى عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ،
اللَّهُمَّ اجْعَلْ كَيْدَ الظَّالِمِينَ فِي نَحْوَرِهِمْ، وَأَعِدْ سَهَامَهُمُ الْمَسْمُومَةَ إِلَى
صُدُورِهِمْ، اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِالصَّهَابَةِ الْمَجْرُمِينَ، وَعَلَيْكَ بِأَعْوَانِهِمْ مِنْ
الصَّلِيبِيِّينَ الْحَاقِدِينَ، وَمِنَ الْمُتَجَبِّرِينَ الْبَاغِينَ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ بِأَسْكَ
الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمَجْرُمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْصُرْ إِخْوَتَنَا الْمَجَاهِدِينَ فِي
فِلَسْطِينَ، وَإِخْوَتَنَا الصَّامِدِينَ فِي غَزَاةٍ، اللَّهُمَّ افْكِكْ بِقُوَّتِكَ أَسْرَهُمْ، وَاجْبِرْ
بِرَحْمَتِكَ كَسْرَهُمْ، وَتَوَلَّ بِعِنَايَتِكَ أَمْرَهُمْ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ
فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا،
وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا، وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا،
وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ نُغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا، رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا
بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا؛ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ.



العظيم (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نُتَحَدَّثُ الْيَوْمَ عَنْ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لَمْ نَتَحَدَّثْ عَنْهُ فِيمَا مَضَى، هُوَ اسْمُ (الْعَظِيمِ)، فَمِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى: (الْعَظِيمِ)، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَاسْمُ (الْعَظِيمِ) هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الْجَلَالِ، مَعْرُوفٌ أَنَّ أَسْمَاءَهُ تَعَالَى تَتَعَلَّقُ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ: إِمَّا بِالْجَمَالِ، أَوْ بِالْجَلَالِ، أَوْ بِالْكَمَالِ، مِنْهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَمَالِ مِثْلَ الْأَسْمَاءِ: الْمَحْسَنِ، الْمَعْطِيِّ، الْمَنْعَمِ، الْجَمِيلِ. وَهَنَّاكَ أَسْمَاءُ الْجَلَالِ مِثْلَ: الْعَظِيمِ، الْجَلِيلِ، الْقَدِيرِ، الْقَوِي، الْمَتِينِ، ذِي الْجَلَالِ، الْأَسْمَاءِ الَّتِي تُوْحِي بِعِظَمَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبِالْخَشْيَةِ مِنْهُ. وَهَنَّاكَ أَسْمَاءَ الْكَمَالِ مِثْلَ الْأَسْمَاءِ: اللَّهُ، الْخَالِقُ، الْبَارِي، الْمُصَوِّرُ.

معنى اسم الله العظيم:

اسْمُ (الْعَظِيمِ) مِنْ أَسْمَاءِ الْجَلَالِ، يُوْحِي بِالْجَلَالِ، فَمِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالذُّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٢٨ أَوْتُوبِرِ ٢٠١١ م.

(ذو الجلال)، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]. فاسم (الجليل) كاسم (العظيم) من الأسماء التي تتقارب معانيها، فهو عظيم جليل في ذاته وأفعاله.

الله ﷻ هو العظيم، وليس هناك مَنْ هو أعظم منه، بل هو أعظم من كل خلقه، هذا أمر طبيعي، لا يمكن أن يكون الخلق في عظمة الخالق، فالمخلوق دائماً أدنى من خالقه، الله هو الخالق، وكل ما في هذا الكون هو خلق الله: الإنس والجنّ والملائكة، والحيوانات والحشرات، والأسماك والأحياء المائية، والنباتات والجمادات، والسموات والأرض والعرش، كل شيء هو مخلوق لله، فالله هو العظيم، وما عداه بالنسبة إليه حقير، حين نقارن بين مخلوقٍ وخالق!

صحيح أن الله وصف بعض المخلوقات بأنها عظيمة، كما قال عن العرش: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: ٢٦]. فهو عظيم لأنه هو الذي عظّمه، وهو الذي خلقه أعظم من غيره من المخلوقات، وقال عن الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال عن السماوات: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر: ٥٧].

الله ذو الفضل العظيم:

هناك مخلوقات عظيمة، ولذلك حينما نراها ونفكر فيها: نُسَبِّحُ اللهَ وَنُحَمِّدُهُ، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤]، علّمنا الله أن نقول في الركوع: سبحان ربي العظيم.

الله تعالى هو العظيم في ملكه، العظيم في سلطانه، العظيم في فضله، فضل الله على عباده عظيم، لا يستطيع أن يصفه أحد، ولا أن يحدّده أحد، ولا أن يمسكه عن خلقه أحد، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد: ٢٩]،

والله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. ففضلُ الله عظيمٌ على خلقه، وعظيمٌ على أنبيائه ورسله، وعظيمٌ على كثير من عباده الصالحين، فالله ذو الفضل العظيم.

والله تعالى ذو الأجر العظيم، يعطي الناس أجورًا عظيمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، لا يظلم أحدًا، لا يضيع على أحد مثقال ذرة من حسناته أو من ثوابه، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا﴾، كما في الحديث: «الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف»^(١)، وإلى أكثر كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. هذا كله من فضل الله، ﴿يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، هذا كله من عظمة الله وَجَلَّ.

ولذلك بدأ الإمام البخاري جامعه بالحديث الذي رواه سيّدنا عمر: «إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دُنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(٢). كل إنسان ونيته. وختم جامعه بهذا الحديث الذي رواه سيّدنا أبو هريرة: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(٣). حاول أن ترطب لسانك بهاتين الكلمتين.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) (١٦٤)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٦٣)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٤)، عن

أبي هريرة.

لا يفخر أحد على أحد:

وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَلَّا يَفْخِرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(١). لا يدعي أحد أنه أعظم من غيره، أو أفضل من غيره، أو أكرم من غيره، لا، فالناس كلهم مخلوقون لله، وخلقهم متساوين، كما قال سيّدنا عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً^(٢)؟

ولدت الأمّات الجميع أحراراً متساويين، والإنسان بعد ذلك بإيمانه، بعلمه، بعمله، بجهاده وجهوده في سبيل الخير، بما يقدم من صالحات، وما يقدم من أعمال طيبة، وما يبتكر للناس في مجاله، الناس بهذا يتقدم بعضهم على بعض، ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]، ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿ [فاطر: ١٩ - ٢٢].

لا عبرة عند الله بقوة الأجساد وضخامتها:

وهكذا يعلمنا النبي ﷺ أن الناس سواسية كأسنان المشط الواحد، إنّما يتفاوتون بالعلم والعمل والجهاد، ولذلك قال النبي: «يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة؛ فلا يزن عند الله جناح بعوضة»^(٣). واحد ضخّم الجثة، طويل القامة، عريض المنكبين، كما قال تعالى:

(١) رواه مسلم في صفة الجنة (٢٨٦٥)، وأبو داود في الأدب (٤٨٩٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٧٩)، عن عياض بن حمار.

(٢) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم (١٩٥)، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٩)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]. من حيث الجسم قوي ومتين وضخم، ولكن ليست العبرة بالأجسام؛ كما قال حسان بن ثابت:

لا بأس بالقوم من طولٍ ومن قصرٍ
جِسْمُ الْبِغَالِ وَأَخْلَامُ الْعَصَافِيرِ^(١)

أجسامٌ كأجسام البغال، وعقولٌ كعقول العصافير، ما قيمة جسم ليس وراءه عقل، وليس وراءه قلب، وليس وراءه ضمير؟ إنَّما يُقاس الإنسان بعقله الذي يعي، وبضميره الذي يحس، بهذا يتفاوت الناس، ولذلك قال: «يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة، واقروا إن شئتم قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»^(٢).

لا يُقام للذين كفروا وزنٌ عند الله يوم القيامة، حينما يُعرضون على الميزان لا يساؤون شيئاً، سيئاتهم كثيرة في الميزان، وليس لهم من الأعمال الصالحة ما ينفعهم؛ فلا يكون لهم وزن عند الله وَجَلَّ.

المكانة عند الله بالإيمان والعمل الصالح:

إذا أردت أن يكون لك وزن؛ فليكن لك وزن بإيمانك، بعلمك، بعملك، باجتهدك، بإخلاصك، بتفانيك في طاعة الله وَجَلَّ، باحتسابك ما عند الله، بخدمة الناس، قدّم للناس الخير ما استطعت: من كلمة طيبة، من عمل صالح، وإن كان قليلاً، القليل على القليل كثير، والقليل قد يكون كثيراً بحُسن النية. إذا لم يكن عندك أكثر من هذا؛ فحسبك أنك قدّمت ما عندك، ولم تبخل به عن غيرك، هكذا تكون العظمة.

المشركون قدّروا عظمة الناس بما يملكون من أموال ومن أولاد وهكذا، ولذلك قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَاتِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

(١) انظر: ديوان حسان بن ثابت ص ١٢٩، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

(٢) سبق تخريجه ص ٣٤٠.

يقصدون بالقريتين مكّة، الطائف، مثل الوليد بن المغيرة المخزومي من قريش في مكّة، كان عظيماً؛ لأنّه كانت عنده أموال كثيرة، وعنده أولاد، ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ [المدثر: ١٢، ١٣]، لماذا لم ينزل القرآن على رجل مثل هذا؟ أو على عروة بن مسعود الثقفي من الطائف؟ اعتبروا محمداً ﷺ رجلاً غير عظيم؛ لأنّه نشأ يتيماً فقيراً، ليس له مال، وليس له ما عند الناس الآخرين، فلذلك لم يحسبوه في العظماء!

ومحمد ﷺ هو في الحقيقة أعظم الرجال الذين خلقهم الله ﷻ؛ فالعظمة بالأخلاق، ولذلك قال الله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. هذه هي الرجولة، وهذا هو الإيمان، وهذه هي المكارم التي بها يتفاضل الناس بحق، ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ * وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

الله تعالى العظيم في خلقه:

الله ﷻ هو (العظيم)، إذا قيل: العظيم. فهو الله، ليس هناك عظيم مثله، هو العظيم في خلقه، هو الذي خلق هذا الكون من عدم، لم يكن شيئاً مذكوراً، لم يكن هناك أرض ولا سماء، ولا بحار ولا جبال، ولا نبات ولا حيوان ولا إنسان؛ مَنْ الذي خلق هذا كله؟ هو الله ﷻ، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦]، لم يخلقوا أنفسهم، ولم يخلقوا الكون من حولهم.

الله هو الخالق العظيم، هو الذي خلق هذا الكون العظيم، بأرضه، بسماواته، بعرشه، بملائكته، بما عُرف وما لم يُعرف، وما أبصر وما لم يُبصر، كما قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الحاقة: ٣٨، ٣٩]. نحن نبصر من هذا الكون ثلاثة في المائة (٣٪) فقط، وهناك سبعة

وتسعون في المائة (٩٧٪) لا نبصرها، يسمونها (الأعماق السوداء)، لا نعرف عنها شيئاً.

لا ينازعه أحد في عظمته:

هذا الكون العظيم خلقه ربُّ أعظم منه من غير شك، هو صاحب العلم الواسع، والعلم المحيط، والقدرة الشاملة، والإرادة النافذة، هو ربُّ كلِّ شيء، وإله كلِّ شيء، ومملك كلِّ شيء، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاحة: ٢]، هو العظيم حقاً، لا يوجد عظيم غيره، هو عظيم في ذاته، عظيم في خلقه، عظيم في ملكه، عظيم في سلطانه، لا يستطيع أحد أن ينازعه في ذلك، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «العظمة إزارى، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عذبتُه»^(١).

صاحب السلطان المتفرد بالعظمة:

الله هو العظيم، هو صاحب العزّة، وصاحب العظمة، وصاحب الجلالة، وصاحب السلطان المتفرد في هذا الكون، لا يستطيع أحد أن ينازعه في هذا الملك، مَنْ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنَازِعَ اللَّهَ وَجَبَلٌ وَكُلُّ النَّاسِ خَلْقُهُ؟! كلهم في يده، يعيشون أعماراً تنتهي بإرادته وَجَبَلٌ، وليس بإرادتهم، الله هو الَّذِي يُحْيِيهِمْ، وهو الَّذِي يُمِيتُهُمْ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، العظيم حقاً هو الله تبارك وتعالى.

الله هو العظيم، هو الَّذِي يُدْعَى فَيُجِيبُ، هو الَّذِي يُسْأَلُ فَيُعْطِي،

(١) رواه مسلم في البر والصلة والآداب (٢٦٢٠)، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري.

لا يملك أحد أن يُعطي مَنْ يشاء، كما يشاء، وكيف يشاء، ومتى يشاء: إلا الله، فأئني عظمة مثل عظمة الله ﷻ؟ إنه هو العظيم حقًا، هو الجليل حقًا، هو ذو الجلال والإكرام.

من أدعية كشف الكربات:

ولذلك وردت في السُّنَّة النبويَّة أدعية تُسمَّى (أدعية الكرب)، عندما تنزل بالناس الكروب والأضرار، عندما يخشى الناس على أنفسهم أن تنزل بهم المصائب، ويخافون ويضطربون مخافة من هذه المصائب هناك أدعية يدعو الناس بها، مثل أن يقرؤوا المعوذات: (قل هو الله أحد)، و(قل أعوذ برب الفلق)، و(قل أعوذ برب الناس)، وآية الكرسي، آيات وسور في القرآن، وأحاديث من أحاديث النبي ﷺ، منها أن النبي ﷺ كان يقول في الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرش الكريم، لا إله إلا الله ربُّ السماوات وربُّ الأرض وربُّ العرش العظيم»^(١). هذا من الأدعية التي ندعو الله بها عندما تنزل بنا الكروب، وعندما توجل القلوب، وعندما تكثر الذنوب، ندعو الله بمثل هذا الدعاء، دعاء يشعرنا بعظمة الله ﷻ، بجلال الله ﷻ، بربوبيته لهذا الكون كله، فليس هناك رب سواه، ولا ملك سواه، ولا إله سواه.

إذا سألت فاسأل الله العظيم:

العظيم اسم من أسماء الله الحسنى، يقول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]. ادعُ الله بأسمائه الحسنى، لا تدعُ بشرًا، ولا تدعو حجرًا، ولا تدعُ فلکًا، ولا تدعُ وليًا، ولا تدعُ نبيًا، ولا تدعُ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٦)، ومسلم في الذكر (٢٧٣٠)، عن ابن عباس.

رسولاً، ولا تدعُ ملائكة، ولا تدعُ جنًا، كل هؤلاء مخلوقون مثلك، هم في حاجة إلى ربهم، فبدل أن تدعو المخلوق ادعُ الخالق، بدل أن تدعو شحاذًا مثلك ادعُ الله الغني، اسأل الله **وَعَجَلًا**، «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١).

هذا ما يُعلِّمه الإسلام للمسلم، إذا دعا يدعو ربه **وَعَجَلًا**، لا تدعُ مخلوقًا مثلك، لأنَّه في حاجة ربه كما أنك في حاجة إلى ربك، لماذا يدعو الإنسان إنسانًا ضعيفًا مثله؟ مهما كان عنده من الذهب والفضة والجواهر، مهما كان عنده من الأنعام والحرث، من الأرض والزرع، مهما كان عنده من متاع الدنيا ما عنده؛ فكلها لا تساوي شيئًا، لأنَّها في لحظة واحدة يمكن أن تذهب عنه، تنزل مصيبة من السماء تحرقها، ينزل بلاء من الأرض يضيعها، ولذلك إذا سأل الإنسان فليسأل مالك الملك، وخالق الخلق، وذا الجلال والإكرام، يسأل ربه الذي يعطي ولا يخشى الفاقة، ولا يخاف فقرًا ولا عيلة؛ بل هو غنيٌّ مغنٍ، يُعطي مَنْ يشاء، ويُعزُّ مَنْ يشاء، ويُذلُّ مَنْ يشاء، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِ يَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

فَعَالٌ لَمَا يَرِيدُ:

هذا هو الملك الأعظم، هذا هو العظيم، بل هو الأعظم، فليس هناك أعظم منه ولا أكبر منه، ولذلك من أسماء الله (الكبير والأكبر)، (والعظيم والأعظم)، هو الأعظم في كل شيء، في الغنى هو الغني المغني، في

(١) سبق تخريجه ص ١٧.

القدرة هو القادر الذي لا يعجز، ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [العنكبوت: ٢٢]، القوي الذي لا يضعف، العليم الذي لا يجهل، المرید الذي لا تتخلف إرادته أبداً، ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود: ١٠٧]، أمره بين الكاف والنون، ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، لا يعجز الله عن شيء.

ولذلك إذا أراد أن ينصر بعض عباده؛ فإنه يستطيع أن ينصرهم بما شاء، يستطيع أن ينصرهم بجند من السماء، يستطيع أن ينصرهم بجند من الأرض، يستطيع أن يسخر لهم السنين، يستطيع أن يبعث بما شاء من هذه الكائنات، من الرياح والأمطار وأسباب الكون، يستطيع أن يفعل ما يشاء.

يستطيع أن يقوي الضعفاء حتى يقفوا أمام الأقوياء، كما رأينا في اليمن، وفي سوريا، وقبل ذلك في ليبيا، وقبل ذلك في مصر، وقبل ذلك في تونس، رأينا الضعفاء والمهتمشين والمستضعفين من الناس: يقفون أمام الجبابرة المتسلطين في الأرض، الممسكين بالسلاح، الذين ورائهم الجيوش الجرارة، ووراءهم أسلحة في البر وفي البحر وفي الجو، وقف المستضعفون في الأرض أمام هؤلاء، ونصر الله المستضعفين على المتجبرين، ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: ٥، ٦]، إنهم جنود العظيم، الذي لا توجد هناك عظمة تقارب عظمته، هذا الإله هو العظيم الأعظم.

نحن مع هذا العظيم، نحن مستمسكون بحباله، نحن واقفون على عتبته، نحن داعون له، سائلون إياه دائماً، لا يمكن أن نئس من فضل الله أبداً، لأنه لا يئس من روح الله إلا القوم الكافرون، ولا يقنط من رحمة



ربه إلا الضالون، ونحن غير قانطين وغير يائسين، الله معنا دائماً وسينصرنا، وسينصر إخواننا، كما نصر الإخوة في ليبيا، ونصر الإخوة في مصر، ونصر الإخوة في تونس؛ سينصر الإخوة في اليمن، وسينصر الإخوة في سوريا إن شاء الله، هؤلاء منصورون، ثقوا واطمئنوا، ثقوا بما عند الله **وَعَلَى اللَّهِ**، كما أنا واثق أن الله سينصر إخواننا في اليمن، وإخواننا في سوريا إن شاء الله، الله ناصرهم ولن يخذلهم الله أبداً، **﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾** [إبراهيم: ٤٢]، **﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾** [إبراهيم: ٤٧].

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعفُ عنا، وانصر إخواننا المجاهدين في سبيلك، الثائرين على الباطل، المرئدين للحق، اللهم افتح لهم فتحاً مبيناً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً عزيزاً، وأتمم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، يا أرحم الراحمين. ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعدُ، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

متابعة لثورة تونس:

انتصرت ثلاث ثورات عربية: ثورة تونس، وثورة مصر، وثورة ليبيا. قامت أولى هذه الثورات: ثورة تونس، التي بدأها شاب أُغلق في وجهه باب العمل، وطُرد من كل مكان؛ فلم يجد إلا أن يقتل نفسه، نسأل الله أن يمنَّ عليه برحمته: مُحَمَّدُ بوعزيزي، ادعوا الله أن يرحمه؛ لأنَّه هو الَّذي تسبَّب موته في إيقاظ الأمة.

قامت الأمة في تونس واستيقظت بعد سبات، وتجمعت بعد شتات، وحيث بعد موات، قام قائموها في كل المدن، وبكل الطبقات ضد الطغيان والظلم والفساد، ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١١ - ١٤]، قام الإخوة في تونس وانتصروا على هذا الذي زعم كذباً أنه وريث المجد والملك.

انتصرت تونس، وقامت تونس بإجراء أوّل انتخابات شفافة حقيقية عادلة، ليس هناك إلا أشياء بسيطة، لكنها في مجملها انتخابات صادقة تُعبّر عن الأمة، ولا عجب أن انتصر فيها أوّل مَنْ انتصر جماعة النهضة، الشيخ راشد الغنوشي وإخوانه، الَّذِينَ طالما ظلموا، وطالما سُلِّط عليهم العذاب، وطالما دخلوا السجون، وطالما تحمّلوا، وطالما مات منهم من مات، وسقط منهم من سقط، وذهب منهم من ذهب في أقاصي الأرض، ظل هؤلاء الأبطال سنوات وسنوات وهم يعانون.

والحقيقة أن تونس منذ استقلت لم يُهيأ لها حكم رشيد أبداً، بورقية رَحَّمَ اللهُ عَلَى ما كان منه فعل ما فعل، ولم يكتفِ بذلك، بل سلَّط على البلاد زين العابدين بعده، فظلت البلاد يحكمها حكم لا رشد فيه، ولا خير فيه، ولا حقَّ فيه، إلى أن قامت هذه الثورة بحمد الله.

الآن تولى أهل تونس الزمام، الحكم الإسلامي العاقل، الراشد البصير المعتدل، الَّذِي يَعْرِفُ لِكُلِّ أَمْرٍ حَقَّهُ، يَعْرِفُ مَا لَهُ مِنْ حَقٍّ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبٍ، وَيَنْظُرُ إِلَى الْأُمُورِ بِاعْتِدَالٍ وَبِتَوَازُنٍ، ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿ [الرحمن: ٨، ٩]، هكذا ينظر المؤمنون الحقيقيون.

انتصر هذا الحكم ومعه مؤيدون من الأحزاب التونسية، فهم الَّذِينَ سَيَمْسُكُونَ بِالْحُكْمِ، سَيَتَوَلَّوْنَ رِئَاسَةَ الْبَلَدِ، وَرِئَاسَةَ الْوِزَارَةِ، يُمْكِنُ أَنْ يُمْسِكَ مِنْصِفَ الْمَرْزُوقِي رِئَاسَةَ الْوِزَارَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُمْسِكَهَا الْأَخُ الْجِبَالِي مِنْ حِزْبِ النُّهْضَةِ، وَتَسِيرُ الْبَلَدُ تَبْنِي مِنْ جَدِيدٍ بِنَاءٍ صَحِيحًا عَلَى حَقٍّ، عَلَى خَيْرٍ، عَلَى بَصِيرَةٍ، عَلَى نُورٍ؛ بَحِيثٌ لَا يَكُونُ هُنَاكَ تَمْيِيزٌ بَيْنَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ وَبَعْضٌ: بِالْهَوَىِّ بِالْبَاطِلِ.

الجميع إخوة، والجميع أبناء بلد واحد، ولذلك نرجو لتونس في المرحلة القادمة أن تكون على خير، نسأل الله أن يهديهم إلى كل خير، ويبيدهم عن كل شر، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، وإلى الحق البعيد عن الباطل، والخير البعيد عن الشر، هذا ما نسأل الله تعالى لتونس، ونسأله بعد ذلك لمصر، ثم لليبيا، ثم لكل بلاد أمتنا.

متابعة لثورة اليمن:

كما نسأل الله للبلدين القائمين بالحق الآن، اليمن وسوريا، وكلاهما يجاهد بالحق، ويجاهد للحق، ويعمل في سبيل الله، رأينا اليمن ثمانية

أشهر، والبلد كلها قائمة تبيت في الشوارع، ماذا يُراد من الناس أكثر من هذا، أنت معك ناس! وكل واحد معه ناس، يكفي أن يقول هؤلاء لك: لا. يكفي هذا.

هؤلاء الملايين في أنحاء اليمن يقولون لعلي عبد الله صالح: لا، ارحل، لا نريدك. ماذا يريد الإنسان أكثر من هذا؟ يريد أن يتشبَّث بالحكم رغم أنف الناس؟ يقتل الناس يوميًا بما معه من أبنائه وأقاربه، وأصهاره وأنصاره، والمستفيدين من حكمه، هذا لا يمكن أن ينتصر أبدًا، وقد أُنذره مجلس الأمن، وعرب الخليج أُنذروه من قديم؛ قبل أن تسوء الحال أكثر فأكثر، فليس له إلا أن يُسَلِّم، ولا بد أن يُسَلِّم، نعتقد أن الإخوة في اليمن منتصرون، هم منتصرون إن شاء الله، الحق دائماً منتصر، الله ناصرهم، والأمة ناصرتهم، والعرب ناصروهم، والمسلمون ناصروهم.

وإن كنا للأسف لا نسمع للعرب صوتًا، العرب يغمغمون، ويتكلمون بين بعضهم وبعض، ولا يتكلمون بصوت جهير، بصوت قوي، لماذا لا تنصفون اليمنيين؟ أتريدون أن يظل هذا الشعب في الشوارع أبد الدهر؟ حرام عليكم يا عرب، يا أهل الخليج، يا أهل المشرق، يا أهل المغرب، يا مسلمون، يا أحرار العالم، أيّدوا هؤلاء المجاهدين في سبيل الله، في سبيل الحق، في سبيل الخير، في سبيل الشعوب، في سبيل أن تنهض الأمة، أيّدوهم، شدوا أزرهم، كونوا وراءهم.

متابعة لثورة سوريا:

ومثل إخواننا في اليمن إخواننا في سوريا، نقول لبشار الأسد: انتهى دورك يا بشار، لم يعد لك مكان، ارجع إلى عيادتك الطبية، افتح

لك عيادة طبيب عيون، عالج عيون الناس أفضل لك من أن تعيش على دماء الناس.

الناس في سوريا يُقتلون يوميًا بالعشرين والثلاثين، يوميًا يُقتل الناس عن طريق الأسلحة، وعن طريق الجنود، وعن طريق (الشيّحة) أو البلطجيّة، وهؤلاء الإخوة في سوريا لم يحملوا قطعة سلاح قط، الآخرون يكذبون عليهم، ولكن نحن نراهم، ترونهم في (الجزيرة) في كلّ مكان، في إدلب، في حماة، في حمص، في درعا، في نواحي دمشق، في كل أنحاء سوريا؛ ليس معهم قطعة سلاح واحدة أبدًا، أيديهم خالية، هم الذين يقتلونهم عن طريق الجنود، أحيانًا يضربونهم بالدبابات، وأحيانًا بالطائرات، ضربوهم في اللاذقية من كل الطرق: بحرًا، وبرًا، وجوًّا.

ولكن هؤلاء لم يستسلموا، أقاموا مجلسهم الوطني في الخارج: يعبر عنهم، ويتحدث عنهم، وهم منتصرون إن شاء الله. **اللَّهُمَّ لا يَنْصُرُ الباطل أبَدًا، الباطل لا يُنصر، كيف تنتصر أسرة - ومعها عدّة أسر - على شعب كامل؟ كيف تنتصر أسرة الأسد على الشعب السوري؟ كيف تنتصر أسرة عبد الله صالح على الشعب اليمني؟ كيف تنتصر أسرة القذافي على الشعب الليبي؟ كيف تنتصر أسرة مبارك على الشعب المصري؟ كيف تنتصر أسرة زين العابدين على الشعب التونسي؟! هذا مستحيل في سنن الله **وَعَلَيْكُمْ**، سنّة الله أن تنتصر الشعوب، من يتحدث عن الشعب وباسم الشعب هو المنتصر، هذا ما نوقن به كل اليقين، ونطمئن إليه كل الاطمئنان، ونبشّر به إخواننا المجاهدين في كل هذه البلاد؛ بأنّ الله معهم، وأنّ الحقّ معهم، وأنهم منتصرون.**

كل ما في الأمر أنّهم بحاجة إلى نوع من الصبر، وإن شاء الله هذا

الصبر معه الفرج، ومعه النصر، اعلم أنّ النصر مع الصبر، الله تعالى ينصر الصابرين، والله مع الصابرين، إنّ الله سيؤيد هؤلاء بروح من عنده، وسيمدّهم بجند من جنده، ويقويهم على أعدائهم، سينزل بأعدائهم نقمته، سيسلب عنهم حلمه وإمهاله، وقد أعطاهم بعض الحلم والإمهال، ولكنهم لم يستفيدوا من ذلك، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣].

ثقوا أيها الإخوة المسلمون المجاهدون في سوريا وفي اليمن: أن هؤلاء الطغاة ذاهبون، سيقطع الله دابرهم، ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [الأنعام: ٤٤، ٤٥]، يُحمد الله على إزالة الظالمين، فهي نعمة عظيمة، ورحمة من الله ﷻ.

ثقوا أنّ كل هؤلاء الظالمين زائلون إن شاء الله، أبشركم بذلك، اثبتوا على ما أنتم عليه، والله ﷻ ناصركم ولن يخذلكم، معزكم ولن يذلكم أبداً، ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * [آل عمران: ١٦٠].

أدعو إخواننا في سوريا أن يستمروا، وأدعو الإخوة جنود الجيش السوري: أن يتركوا الجيش، فلا يقتلوا إخوانهم ولا أبناءهم أبداً، لا يقتل الإنسان أخاه، وهو يعلم أنّه لم يقدم شيئاً يستحق القتل، كيف يقتل الإنسان أخاه وجاره، وابن عمه وابن وطنه؛ وهو يعلم أنّه بريء؟ لا يستطيع أن يفعل ذلك إنسان مسلم يخشى الله ﷻ، ويخشى الدار الآخرة، ويعلم أنّه ميت بعد الحياة، وأنّ بعد الموت بعثاً، وأنّ الله سيسأله، وأنّ هناك حساباً وعقاباً، وهناك جنةً وناراً؟!!

لا يمكن أن يفعل ذلك مؤمن يخشى الله وَعَجَبٌ، فأنا أقول لهؤلاء المؤمنين: تخلوا عن هذا الجيش، وانضموا إلى إخوانكم في الجيش الحر، انضموا بعشرات الآلاف إلى هذا الجيش، كونوا له قوّة، كونوا له مددًا، وسيستسلم الآخرون لا محالة، إن شاء الله.

أسأل الله وَعَجَبٌ أن يمنح إخواننا في سوريا وفي اليمن رحمةً من عنده، ونصرًا من عنده، اللهم افتح لإخواننا الحاملين للحق، المؤيدين للحق، المصاحبين للحق: فتحًا مبينًا، واهداهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتمّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، اللهم خذ الظالمين أخذًا أليمًا شديدًا، اللهم أنزل عليهم عذابك يا رب العالمين، اللهم يا منزل الكتاب، ويا مُجري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب: اهزمهم وانصرنا عليهم. اللهم اهزم الظالمين وانصرنا عليهم، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا؛ ربنا إنك رؤوف رحيم، اللهم اجعل هذا البلد آمنًا مطمئنًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين، اللهم اكتب العافية للحجاج والمسافرين، ربنا هبّ لنا من أمرنا رشداً، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عينٍ ولا أقل من ذلك؛ إنك أرحم الراحمين، وأكرم الأكرمين.



١٩

العليم

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زال حديثنا موصولاً بأسماء الله تعالى الحسنى، ونحن اليوم نتحدّث عن اسم من هذه الأسماء الحسنى، طالما تكرر في القرآن الكريم، وفي السنة المشرّفة، وهو اسم (العليم)، الله وَجَبَّ (عليم)، هو (العليم)، وهو (عالم الغيب)، وهو (عالم الغيب والشهادة) وهو (عَلَامُ الْغُيُوبِ)، هذه هي الأسماء التي جاءت في القرآن من ناحية وصف الله تعالى بالعلم.

معنى اسم الله العليم:

الله ﷻ (عليم)، وهذه كما يقول النَّحْوِيُّونَ صيغة مبالغة، هناك عالم، وهناك (عليم) و(عَلَام)، هذه صيغ المبالغة، وهي تدل على المبالغة إمَّا في الكَمِّ، وإمَّا في الكيف، فالله ﷻ (عليم)، من ناحية الكَمِّ واسع العلم، علمه واسع، كما قال سيّدنا شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]، وكما قالت الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

فرحمة الله تسع كل شيء، وعلمه يسع كل شيء، علمٌ واسع يشمل

ما في الأرض وما في السماء، عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم البحار، وعالم الجبال، وعالم الأحياء المائية والزواحف والحشرات، كل هذه الأشياء يعلمها الله، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]، ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩، ٦٠]، ﴿وَمَا يَعْرِزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

يعلم ظواهر الأشياء وبواطنها:

الله ﷻ يعلم كل الكائنات، وما يجري عليها، ويعلم الظاهر والباطن، نحن إذا علمنا نعلم ظواهر الأشياء، ولا نعلم بواطنها، ولكن الله عليم بذات الصدور، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]، ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قد تجلس مع الإنسان، وربما يتودد إليك، ويظهر البشاشة في وجهك وهو يضمرك لك شرًا، ويدبر لك أمرًا وأنت لا تعلم؛ لأن علمك محدود بالظواهر! نحن نحكم بالظواهر والله يتولّى البواطن، حتى إن النبي ﷺ يقول: «إنكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء، فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو ليَدعها»^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٨٠)، ومسلم في الحدود (١٧١٣)، عن أم سلمة.

حتى النبي ﷺ يحكم بالظاهر، ولا يعلم الغيوب، ولا يعلم ما في القلوب إلا إذا أعلمه الله ﷻ؛ فقد يُعلمه بما يفعله المنافقون، وما يكيدون له، وما يتآمرون عليه. هذا بإعلام الله له ﷻ، إنَّما الخلق من حيث طبيعتهم لا يعلمون ما في البواطن، ولا يعلمون ما يُكنه ضمير الغيب.

عالم الغيب والشهادة:

فالغيب لا يعلمه إلا الله، ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣]، ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]، ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٨]، ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [آل عمران: ١٨]، ﴿إِلَّا مَنْ أَرْضَى مِنَ رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]، من ارتضى الله ﷻ من رسله يعلمه ببعض الغيب؛ لا بكل الغيب، ولذلك قال النبي ﷺ: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْرَثْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال ﷺ: ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وهو رسول الله ﷻ لا يعلم الغيب، وسيدنا نوح عليه السلام قال: ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [هود: ٣١].

لا يعلم الغيب إلا الله ﷻ، ولذلك الذين يدعون أنهم يعلمون الغيوب، ويعرفون أسرار القلوب، وعندهم من خزائن الغيب ما ليس عند غيرهم، هؤلاء العرَّافون والكهنة، والذين يضربون الرمل، ويفتحون الكتاب، ويعرفون النجوم (المنجمون)، الناس من قديم قالوا: (كذب المنجمون ولو صدقوا).

هؤلاء يضحكون على الناس، يملؤون أذهان الناس بهذه الأباطيل والخرافات، إنَّ الَّذِي يَعْلَمُ الْغَيْبَ هُوَ اللَّهُ وَجَلَّ وَجْهَهُ، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]،
الله تعالى عليم بالغيب، عليم بالمستقبل، كما قال زهير بن أبي سلمى:

وأعلمُ علمَ اليومِ والأمسِ قبلَهُ ولكنني عن علم ما في غدٍ عم^(١)

أنا أعمى عن قراءة المستقبل، لا أعرف ما يأتيني غداً، أنت تخرج من بيتك ولا تدري أعود إليه سليماً أم سقيماً؟ حياً أو ميتاً؟ لا تعرف، أنت تلبس ثيابك ولا تدري أنت الذي ستزعهها، أم تنزعها عنك يد الغاسل، في المستشفى، أو في البيت، أو في أي مكان؟ الغيب لا يعلمه إلا الله، سرٌّ لا يخترقه أحد، الله وحده هو الذي يعلم الغيب. ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

يعلم الماضي والحاضر والمستقبل:

الله وَجَلَّ وَجْهَهُ هو الذي يعلم الماضي، ويعلم الحاضر، ويعلم المستقبل، الماضي الذي ليس لنا دليل على معرفته يعلمه الله تعالى، كما سأل فرعون موسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ * قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ * [طه: ٤٩ - ٥٢]، أخبار القرون الأولى لا نعرفها، ﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾، ما قبل التاريخ هذا لا يعرفه الناس، ممكن بعض الناس يدعي معرفة بعض الأشياء عن طريق الخرز والتخمين، ولكن ليس هناك يقين.

(١) انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٧٠، من معلقته، اعتناء حمدو طماس، نشر دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

لكن علم الله واسع يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، يعلم الله - كما يقول علماء الكلام - الواجبات والجائزات والمستحيلات، حتى يعلم أن هذا الأمر لا يكون، لا يمكن أن يحدث، الله يعلم هذا، وهذا يمكن أن يحدث، وهذا يجب أن يحدث، كل هذا في علم الله.

سعة العلم من خصائص العلم الإلهي، السعة المطلقة، كيف يعلم الله؟ (كيف) هذه لا نسأل عنها، كيف مجهول، نحن نعلم بواسطة، عن طريق السمع، عن طريق الرؤية، عن طريق الملاحظة والتجربة، عن طريق علم الرياضيات، هناك وسائل شتى عندنا، ولكن الله تعالى لا يعلم بوسائل ولا بوسائط، هو يعلم بذاته، علمه وَعَجَّلَ ليس كعلمنا نحن.

الله عَلَّمَ الإنسان ما لم يعلم، انظر الآيات الأولى التي نزلت على النبي ﷺ: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣ - ٥]، الإنسان تعلّم بتعليم الله ﷻ ما لم يكن يعلم، ومن الأشياء التي تعلّمها الإنسان صناعة (الكمبيوتر)، (الحاسوب أو الحسّابة أو المحساب)، سمّه ما تُسمّه، الغربيون اخترعوه، ونحن حتّى لم نتفق على اسم له، هذا الشيء الذي يأتي بمعلومات هائلة.

كان أوّل ما ظهر (الكمبيوتر) يملأ حجرة أو نحو ذلك، الآن بعض الكمبيوترات تحملها في يدك ومثلها مثل الساعة، الإنسان اخترع هذه الأشياء ليتعلّم منها، ما بالك بعلم الله ﷻ؟ علم الله واسع، ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

علم دقيق:

وعلم الله يمتاز أيضاً بأنه علم دقيق، علم محيط، علم مستوعب، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]. علم البشر علم محدود،

تنظر إلى الشيء من زاوية وتُغفل زاويةً أخرى، حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء، إنّما الذي ينظر إلى الشيء من جميع جوانبه وبكل أبعاده وظواهره وخوافيه هو الله وَعَجَّلَ، فعلم الله علم دقيق جداً، يعلم تفاصيل الأشياء، وأعماق الأشياء، وما قبل الأشياء، وما بعد الأشياء، فلا يوجد علمٌ مثل علم الله تبارك وتعالى.

علم لا يعتريه نسيان:

ومن خصائص علم الله وَعَجَّلَ: أنّه علم لا يعتريه النسيان، آفة العلم عندنا نحن البشر هو النسيان، كما قالوا: (آفة العلم النسيان)، الواحد منا يحفظ وينسى، ويتعلم الشيء وبعد مدة يضيع منه، ولذلك قالوا: (حياة العلم مذاكرته)، حياة العلم أن تذاكر ما تعلمته، تقرأه مرّة أخرى، تتحدّث مع زميلك عنه، بحيث أنّك تكون على ذكر منه، أمّا إذا أغفلته مدةً طويلة ضاع منك، هذا شأن الذاكرة الإنسانيّة، إنّما ربنا وَعَجَّلَ لا ينسى، ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، كلُّ البشر يَنْسُونَ، وكما قال الشاعر:

وما سُمِّيَ الإنسانُ إلاّ لنسيهِ وما القلبُ إلاّ أنّه يتقلَّبُ^(١)
ويقول الشاعر:

فإنَّ أوَّلَ ناسٍ أوَّلُ الناسِ^(٢)

(١) ذكره من غير نسبة الزبيدي في مقدمة تاج العروس (١/١٢٤)، نشر دار الهداية.

(٢) هو أبو الفتح البستي، كما في الدر الفريد للمستعصمي (٤/٣٥٤)، تحقيق د. كامل سلمان

الجبوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م. وتتمة البيت:

أنسيت وعدك والنسيان مغتفر فاغفر فأولُ ناسٍ أولُ الناسِ

أول مَنْ نسي من الناس هو أول الناس آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، كل الناس ينسون، الفتى الذي كان مع سيّدنا موسى قال له: ﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنَسِنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف: ٦٣]، النَّاسُ كُلُّهُمْ يَنْسَوْنَ، وهذا من ضعف البشر، ومن طبيعة البشر، ولذلك علّمنا الله أن نقول: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ لأنّ هذا من طبيعتنا، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنِ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»^(١). كل الناس ينسون، ولكن الله تعالى لا ينسى.

علم لا يعتريه تغير:

ثم إنّ علم الله تعالى يمتاز أيضًا بأنه علم لا يعتريه تغير. علمنا نحن البشر يعتريه تغير، كم من أشياء كنّا نحسبها صوابًا فإذا بنا نراها خطأً، أشياء نعتقد أنّها حقٌّ، ثمّ يظهر لنا أنّها باطل، حكم نظنُّ أنّه حلال ثمّ يتبيّن أنّه حرام، ولهذا غير الأئمة اجتهاداتهم، وخالفهم أصحابهم، الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ كان له مذهب قبل أن يستقرّ في مصر، وبعد أن استقرّ في مصر غير مذهب، تغير علم الإنسان، الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تروى عنه في الواقعة الواحدة عشر روايات أو أكثر، هذا دليل على تغير علم الإنسان، إنّما علم الله لا يتغير.

كان الفلاسفة قديما كابن سينا والفارابي والكندي وغيرهم، يقولون: الكون يقوم على عناصر أربعة: الماء، والتراب، والهواء، والنار. ثمّ

(١) رواه ابن ماجه في الطلاق (٢٠٤٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري. والطبراني في الأوسط (٢١٣٧)، والحاكم في الطلاق (١٩٨/٢): وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٦٤)، عن ابن عباس.

كشَف العلم الحديث أنَّ هذه خرافة، وأنَّ العناصر أكثر من مائة، وأنَّ الماء ليس عنصرًا، بل هو مركَّب من الأوكسجين والنيتروجين، وأنَّ التراب عناصر عدَّة كثيرة جدًّا، وأنَّ هذه الأشياء التي كانوا يظنونها عناصر بسيطة هي مركبات، هناك أشياء كثيرة الآن، العلم يتغيَّر، وكم من نظريات علمية اعتقد الناس صوابها، جاءت نظريات أخرى أبطلت الكثير منها، نظريَّة النسبية غيَّرت من نظريات كان الناس يعتقدون أنَّها حقائق، علم الإنسان يتغيَّر، ولكن علم الله **عَلَّمَ** لا يتغيَّر.

ربما يسأل بعض الناس هنا: إذا كان علم الله لا يتغيَّر فما معنى قوله تعالى: ﴿وَلَنَبَلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلُوْنَا أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]؟ ما معنى الابتلاء ليعلم الله الصادق من الكاذب؟ ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]؟ ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٦، ١٦٧]، هل الله لم يكن يعلم فهو يمتحنهم ليعلم؟

المقصود أن يعلم علم ظهور وتحقُّق، حتَّى يحاسبهم على ما وقع منهم، وليس على ما علم منهم، لا يقول: أحاسبكم لأنني علمت أنكم ستفعلون كذا، لا، علمه لا يلزمنا، فنحن لا نعرف هذا العلم، ولذلك الإنسان مسؤول عن عمله، وليس عن علم الله في شأنه، هذا هو العلم.

علم لا جهل قبله:

من خصائص العلم الإلهي كذلك أنه ليس قبله جهل، علمنا نحن البشر قبله جهل، كما قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، أعطاكم الأدوات والأجهزة التي تعرفون وتحصلون بها العلم، عن طريق

السمع، عن طريق ما يُنقل، العلوم السمعية مثل علوم الشرع، وعلوم التاريخ، وعلوم اللغة، وعن طريق البصر، هناك أشياء تقوم على الملاحظة والتجربة، العلوم الطبيعية كلها تقوم على هذا، وعن طريق الفؤاد وهو العقل، هناك العلوم العقلية، فالإنسان في أول أمره لم يكن يعلم شيئاً، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾.

كما قال الشاعر العربي:

تَعْلَمُ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا وليس أخو علمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلٌ^(١)

لذلك على الإنسان أن يتعلم إذا كان للإنسان حظ من هذا الاسم (العليم) و(علام الغيوب)، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ الْهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ، فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨]، ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨]، الذي يعلم الغيوب هو الله وحده.

على الإنسان أن يتعلم:

الإنسان عليه أن يتعلم؛ لأن الإنسان قليل العلم، ومحدود العلم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، مهما كان الشخص علامة في فنه، نابغة عبقرية، إلا أن علمه محدود، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾،

(١) ذكره الجاحظ ولم ينسبه في البيان والتبيين (١/١٨٦)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت،

بعض علماء الكون بعد ما درس ما درس، وهو (ألكسيس كاريل) أحد الحاصلين على جائزة نوبل في العلوم، ألف كتاباً سمّاه: «الإنسان ذلك المجهول»، الإنسان هذا يقول نحن نجهل الإنسان، نحن أصبحنا نعرف المادّة وخصائصها، ونحلّلها ونركّبها، إنّما لا نعرف حقيقة الإنسان، فالإنسان مجهول بالنسبة لنا، إذا كان الإنسان يجهل نفسه، الإنسان الذي وصل إلى ما وصل إليه من العلوم: علم الفيزياء وعلم الكيمياء، وعلم الفلك، وعلم الذرّة، وهذه الأشياء، لم يعرف حقيقة نفسه.

فعليه إذن أن يتعلم، ويطلب العلم، ويعرف أنّه قليل العلم، الله تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وهو ﷺ أعلم الناس، أعلم الأوّلين والآخرين بما لله ﷻ من حقوق، ويعلم شرع الله، ويعلم من الحكّم، ويعلم من دين الله ما لا يعلمه غيره، ومع ذلك قال الله تعالى له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

ولهذا كان السلف يطلبون العلم من المهد إلى اللحد، من الميلاد إلى الوفاة، منذ أن يدرك الإنسان الأشياء ويقدر على التعلّم، يبدأ بالتعلّم إلى أن يموت، لا يزال الإنسان عالماً ما طلب العلم، فإذا ظنّ أنّه علم فقد جهل، إذا قال الشخص: أنا وصلت إلى مرتبة من العلم لم أعد في حاجة إلى العلم، قد عرفت كل شيء، إذا قال هذا فهذا هو الجهل بعينه.

الإمام الشافعي يقول:

كَلَّمَا أَدْبَنِي الدَّهْرُ أَرَانِي نَقْصَ عَقْلِي
وَإِذَا مَا أزددتُ عِلْمًا زَادَنِي عِلْمًا بِجَهْلِي^(١)

(١) انظر: ديوان الشافعي ص ٩٠، تحقيق مجاهد مصطفى بهجت، نشر دار القلم، دمشق،

كلّما أزداد علماً أعلم أكثر أنّي أجهل الكثير، علينا أن نتعلّم من اسم (العليم) و(علام الغيوب)، أن نطلب العلم، ونزداد علماً، نوّسع علمنا، ونعمّق علمنا أيضاً، ليس المهم أن تعرف العلم الكثير، وإنّما المهم أن تُحقّق علمك وتعمّقه، أن تعرف حقائق الأشياء، تعرف اللبّاب لا القشور، المقاصد لا الظواهر، بعض الناس يتعلّمون في الإسلام فلا يتعلّمون إلّا قشوراً، ولا يتعلّمون إلّا ظواهر الألفاظ، لكن حقائق العلم ليست عندهم.

خُذ العلم من أهله:

من أراد أن يتعلّم من اسم (العليم) يحاول أن يتعلّم حقائق العلم، ويبحث عن أهله، يأخذ العلم من أهله، لأنّ للعلم أهلاً، لا تأخذ العلم من جاهل، إنّما خُذ العلم من أهل العلم، إنّ ممّا حذر منه النبي ﷺ أن في وقت من الأوقات يذهب أهل العلم ويتخذ الناس رؤوساً جهّالاً فيسألونهم فيفتون بغير علم فيضلّون ويضلّون، قال ﷺ: «إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتّى إذا لم يُبق عالماً، اتّخذ الناس رؤوساً جهّالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا»^(١).

علم الغيب علم إلهي:

تعمّق في العلم وتوسّع فيه، لا تُقحم نفسك فيما لا تعلمه، لا تحاول أن تتعلّم الغيب، الغيب عليه سورٌ حصين لا يُخترق، والله ﷻ أمرنا وفرض علينا الإيمان بالغيب، لماذا تؤمن به ولا تطلبه؟ حتّى تريح نفسك، حتّى لا تطلب ما لا يُطلب، حتّى لا تضيع جهودك في شيء

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، كلاهما في العلم، عن عبد الله بن عمرو.

لا يمكن أن تصل إليه، كأن تحاول أن تعرف حقيقة الذات الإلهية، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، «العجز عن درك الإدراك إدراك».

ولذلك السلف في آخر مشوارهم العلمي: سلّموا ولم يبحثوا في أشياء كثيرة أضاعوا أوقاتهم فيها ولم يُحصّلوا شيئاً، كما قال الإمام الرازي:
نهاية إدراك العقول عقلاً وغاية سعي العالمين ضلال^(١)!

لا تدع معرفة كل شيء:

قف عند حدك، إذا كنت لا تعلم قل: لا أعلم، لا تدع معرفة كل شيء، قل ما تعرفه، والذي لا تعرفه قل: لا أدري. ومن قال: «لا أدري» فقد أجاب، ومن أخطأ قول: «لا أدري» أصيبت مقاتله! كما يقول عبد الله ابن عباس رضي الله عنه^(٢). الذي لا يتعلم كلمة «لا أدري» فيما لا يدري يُصاب في مقتل، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم سُئل عن بعض الأشياء، فلم يجب عنها حتى نزل عليه الوحي، فلا تدع أنت أنك تعرف كل شيء. هذا هو الذي نتعلمه من اسم (العليم) و(علام الغيوب) و(عالم الغيب والشهادة)، من أسماء الله عز وجل.

ذكر اسم (العليم) في القرآن (١٤٠) مرّة، مرفوعاً أو مجروراً، وذكر في حالة النصب (عليماً) (٢٢) مرّة، (١٤٠) و(٢٢)، ولكن في مرّات قليلة جاء اسم (عليم) بالنسبة للإنسان، كما في قصّة سيّدنا يوسف: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]، وكما قال فرعون وملؤه عن سيّدنا موسى:

(١) رسالة ذم لذات الدنيا لفخر الدين الرازي ص ٢٦٢، نشر دار برابيل، لندن، ٢٠٠٦م.

(٢) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥٨١)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٨١٣).

﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الشعراء: ٣٤]، ﴿ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٣٧]،
 ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتُتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴾ [يونس: ٧٩]، وكما في قول الملائكة لسيِّدنا
 إبراهيم عليه السلام: ﴿ قَالُوا لَا نُوَجِّلُ إِنَّآ بُشِّرَكَ بِعَلْمٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر: ٥٣].

هذه مرّات معدودة، ولكن كل المرّات الأخرى وردت عن الله وَجَلَّ،
 ﴿ إِيَّاكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦]،
 ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٥]، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٣]،
 ﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٥].

نسأل الله تعالى أن يجعل لنا نصيباً من اسمه (العليم)، وأن نكون من
 العالمين، كما قال الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا
 يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، نسأل الله أن نكون من هؤلاء
 العالمين، وأن يبعدنا عن الجاهلين، الذين يفسدون أكثر ممّا يحسنون،
 اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً، وهذه كلمة
 الملائكة بعد أن علّم الله آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة،
 ﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ قَالُوا سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا
 مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢]، ونحن نقتدي بالملائكة
 ونقول: ﴿ سُبْحٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور
 الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيها الإخوة المسلمون:

قانون منع النقاب في بلجيكا:

كلمتي أيها الإخوة في هذه الخطبة الثانية عن أمر واحد: وهو ما يجري في أوروبا من حديث، بل ما صدر من قوانين في بعض البلاد عن منع النقاب بالنسبة للمرأة المسلمة، أصدرت بلجيكا قانوناً يمنع المسلمات من لبس النقاب، وفرنسا تفكر وتناقش هذا الأمر، وتوشك أن تصدر شيئاً يمنع النقاب مثلما منعوا الحجاب.

وأنا أحب أن أقول: أنا شخصياً لا أرى النقاب واجباً، وإنما أرى الحجاب، وهو لبس الخمار على الرأس أراه واجباً بنص القرآن: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، وليس عندي نص صحيح الثبوت، صريح الدلالة يوجب لبس النقاب، ولكنني أخالف كل المخالفة في منع المسلمة أن ترتدي النقاب إذا اقتنعت به، فلست أنا كل علماء العالم، هناك علماء يرون النقاب واجباً وفرضاً دينياً، في المملكة السعودية، في الهند، في باكستان، في بنجلاديش، في أفغانستان، في هذه البلاد آلاف العلماء، وملايين النساء يرتدين النقاب، فكيف أُلزم هؤلاء بخلع النقاب؟!

هذا يخالف حريتين أساسيتين من الحريات الإنسانية: الحرية الشخصية، والحرية الدينية، وهما من الحريات الأساسية في مواثيق حقوق الإنسان والمواثيق الدولية، الحرية الشخصية أن كل إنسان حرّ فيما يلبس: يلبس (دشداشة)، يلبس عمامة، تكون رأسه عارية، كل أحد

يلبس كما يشاء، أحدهم يلبس بدلة، وآخر يرتدي (جلابية)، وهكذا، لماذا يجبرون المرأة على خلع النقاب؟

المرأة التي تلبس كاسية عارية، نصف جسمها أو أكثر عريان، حتى النصف المغطى: تلبس ما يشف وما يصف، هل قال لها أحد شيئاً؟ يقولون لك: هي حرّة. يا أخي، لماذا هذه لها حرّيتها، والمسلمة التي تريد أن تحتشم وتلبس النقاب تُمنع من ذلك؟! هذا أراه ضد الحرّية الشخصية وضد الحرّية الدينيّة.

كل الدساتير، وكل المواثيق تقول: إنّ الحرّية الدينيّة حرّية أساسيّة، ما معنى الحرّية الدينيّة؟ ألا يجبرك أحد على ترك عقيدتك، أو على ممارسة عبادتك، أو على ترك واجب ديني، أو على فعل محرّم ديني.

المسلم أو المسلمة يرى أنّ المرأة تلبس الخمار، وبعض المسلمين والمسلمات يرون أنّ المرأة تلبس النقاب، هذا فرضٌ عليها من ربها، فإذا كان ربنا أمرني بهذا؛ فهل أطيع ربنا أم أطيع قانونك؟! تضعني في مأزق إذا، هذا لا يتفق مع الحرّية الدينيّة، إذا كان الله يقول من تفعل هذا تكون آثمة، فهل تريدني أن أدخل النار؟!!

لا يجوز أن تُجبر المسلمة على شيء يخالف ما تعتقد، إذا اعتقدت المسلمة - بقراءتها، أو بحضور دروس العلماء، أو بالاستماع منهم ما أقنعها - أنّ النقاب فرضٌ عليها فهي حرّة يا أخي!

وأنا في الأيام التي أصدرت فيها فرنسا قانون الحجاب أرسلت رسالة إلى الرئيس الفرنسي (شيراك) في ذلك الوقت، وقلتُ له: إنكم تخالفون مبادئ الثورة الفرنسيّة، ومبادئ الجمهورية الفرنسيّة؛ وهي الحرّية



والإخاء والمساواة، أين الحرية وأنتم قد ألغيتم الحرية الشخصية والحرية الدينية؟ أين الحرّيات وفرنسا أم الحريات، إذا كنتم تقفون ضد الحرية الشخصية، وضد الحرية الدينية للمرأة المسلمة؟

وأين الإخاء وأنتم الآن تعملون على أن يكره الناس بعضهم بعضًا، المسلمة حين ترى أنها هي المضطهدة، وهي التي تعامل معاملة خاصّة دون العالمين، ستكره الفرنسيين، وتكره الغربيين.

وأين المساواة؟ إذا كانت غير المسلمة لها حقٌّ أن تلبس ما تشاء، والمسلمة ليس لها حقٌّ! أين المساواة؟ تخصُّون المسلمة باضطهاد وحدها؟! وهذا ليس من المساواة في شيء.

وما تقولون من أنّ النقاب والحجاب وهذه الأشياء رموز دينية تميّز الناس بسبب الدين، هذا ليس بصحيح، مثل ما يلبس النصراني الصليب، أو يلبس السيخي العمامة، السيخي له عمامة خاصّة، فهم لا يحلقون ولا يقصرون شعر اللحية، فهي رمز ديني عندهم.

فأنا قلتُ لهم: حتّى الرمز الديني لم تمنعوا النصراني من لبس الصليب، ولم تمنعوا السيخ من لبس العمامة، ومع هذا الحجاب ليس رمزًا دينيًا؛ لأنّ الرمز الديني ليس له وظيفة إلّا الرمز إلى دين الشخص، ولكن الحجاب له وظيفة السّتر، ولذلك المسلمة تلبس حجابها أمام الرجال الأجانب، وتخلعه أمام المحارم، وتخلعه أمام النساء، الرمز الديني هل يُخلع أمام النساء؟ لو كان الحجاب رمزًا دينيًا للبسته المرأة أمام الجميع، إنّما هذا دليل على أن فيه سترًا معيّنًا مطلوبًا، صيغة معيّنة، المسلم ليس سائبًا، إنّما ينظم حياته قانونٌ إلهيٌّ يقول له: هذا حلال، وهذا حرام، هذا يجوز وهذا لا يجوز، هذا مستحبٌ وهذا مكروه،

وهكذا. فالكلام بأنّ الحجاب رمز ديني غير صحيح، الحجاب ليس رمزاً دينياً، ولكن هذا منشؤه أنّ هناك ثقافة معيّنة لشعب معيّن يريد أن يفرضها على كل الناس، وهذا خطأ.

السفير الفرنسي في زيارتي:

كان السفير الفرنسي يزورني بالأمس في منزلي بالدوحة، وقلتُ له معظم هذا الكلام الذي قلته، وقلتُ له: أرجو أن تبليّغ الناس أنّ العالم الإسلامي كلّهُ لا يقبل هذا، وينكر عليكم هذا، ونحن المسلمون نؤمن أنّ البشريّة كلّها عائلةٌ واحدة، أسرةٌ واحدة، تنتمي من جهة الخلق إلى ربٍّ واحد، وتنتمي من جهة النسب إلى أبٍ واحد، هو آدم عليه السلام، وهذا ما قاله النبي صلى الله عليه وآله: «إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ»^(١).

نحن نؤمن بالمساواة البشريّة، البشريّة عائلةٌ واحدة، ولكن نؤمن أيضاً بخصوصيّات الأمم والأقوام، كل أمة لها خصوصيّاتها العقديّة والثقافيّة، لا تفرض عليّ ثقافة معيّنة.

قلتُ له: لماذا تكرهون الناس الذين يلبسون ما تفرضه عليهم ديانتهم؟ أنت تلبس ما شئت، وأنا ألبس ما شئت، لماذا تفرض عليّ ثقافتك؟ أنت ثقافتك العُري أنت حر، ولكن ثقافتني تمنعني من ذلك، أنا لستُ حرّاً، أنا مقيّد بقانوني الإلهي، مع أنّ الثقافة المسيحيّة والمسيح عليه السلام لا يقبل هذا، هؤلاء يزعمون أنّهم مسيحيّون، المسيح لا يقبل هذا، المسيح عليه السلام يقول: «لقد كان من قبلكم يقولون: لا تزن.

(١) سبق تخريجه ص ١٢٧.

وأنا أقول لكم: مَنْ نظر بعينه فقد زَنَى»^(١). النظر بشهوة اعتبره زنى وليس العُري! هذا العُري لم تأت به نبوة ولا رسالة.

أنتم أحرار، ونحن أيضًا أحرار، لا بدّ أن نراعي الخصوصيّات في الأقوام، كل قوم لهم خصوصيّاتهم، حتّى سألني (السفير) قال لي: الخصوصيّات مثل ماذا؟ قلتُ له: مثلاً نحن المسلمين حكمنا الهند حوالي أكثر من ثمانية قرون، كنّا حكام الهند، الهند فيها أوّثان تُعبد، لم نُغلق معابد الأوّثان، ولم نقل لهم: لا تعبدوا الأوّثان، تركنا الناس يذهبون إلى معابدهم، ويعبدون الأصنام ويحتفلون بأعيادهم فيها، وهكذا.

في الهند يقدّسون البقرة، ونحن نذبح البقرة خصوصًا في عيد الأضحى، فلم نقل لهم: امنعوا عبادة البقر، وإلاّ نذبح بقركم، لم نقل هذا، وإنّما تركناهم أحرارًا في دينهم.

الإنسان في الهند حينما يموت يُحرقونه، ويأخذون ترابه ويذرونه في الهواء، أو يضعونه في مقبرة، هم أحرار في دينهم، تركهم المسلمون، هناك اختلاف في الثقافات، واختلاف في العقائد، لا بدّ أن تحترم خصوصيّات كل أمة غيرها، إنّما أنتم أيّها الغربيّون تريدون أن تفرضوا علينا ثقافتكم؟! ونحن من الممكن أن نفرض عليكم أيضًا ثقافتنا، نستطيع أن نقول: أيّها المسلمون، أيّها العرب، أيّها الشرقيّون عليكم أن تفرضوا على كل فرنسي، وعلى كل بلجيكي، أو على كل امرأة غربية أن تحتشم عندما تدخل بلاد الإسلام، ليس ضروريًا أن نلبسها النقاب، أو حتّى الحجاب، إنّما لا بدّ أن تلبس ملابس محتشمة من الرقبة إلى القدمين، ممكن فرض عليكم هذا وننكد عليكم عيشتكم، فقطاعني

(١) إنجيل متّى (٥/٢٨، ٢٩).

(السفير) قائلاً: أرجوك لا تفعلوا هذا. قلت: لماذا ترجوني؟ إذا فعلتم أنتم هذا لا بد أن نقابل هذا بمثله، في إيران يفرضون على كل امرأة تدخل إيران أن تلبس الحجاب، وأن هذه تقاليدنا وهذه أحكام ديننا فالتزموا بهذا، والناس استجابوا لهذا وأذعنوا له.

فنحن ننادي فرنسا، وننادي أوروبا كلها، خصوصاً المتعصبين منهم، هناك بلاد كثيرة لا ترى في هذا شيئاً، اختلاف أزياء الناس باختلاف العقائد، واختلاف الثقافات، خصوصاً إذا كان الزي منبثقاً عن عقيدة، زي المرأة المسلمة ليس بالهوى والشهوة، وليس بمجرد تقليد، هناك قرآن، وهناك سنة، وهناك إجماع المذاهب والمدارس الإسلامية، إجماع يقيني، إجماع نظري ارتبط بالعمل طوال هذه القرون.

فنحن ندعو الغربيين أن يحترموا أمة الإسلام، وعقائد أمة الإسلام، وشرائع أمة الإسلام، وقيم أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة مُحَمَّد ﷺ.

اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغْتَالَ من تحتنا.

اللهمَّ لا تُهْلِكْنَا بما فعل السفهاء منا، ولا تُسَلِّطْ علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

اللهمَّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم أيدهم بملاً من جنك، وأمدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يُضام، اللهم عليك باليهود الغادرين، وعليك بالشيوعيين الملحدين، وعليك بالصليبيين المستعمرين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم رد عن المسلمين كيدهم، وفلّ حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





الغفور

الخطبة الأولى

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زال حديثنا موصولاً مع أسماء الله الحسنى، ونحن اليوم نعيش في رحاب اسم من أسماء الله وَعَلَيْكَ، ما أحوجنا إليه في زماننا هذا، هو اسم (الغفور)، الذي تكرر في القرآن مرفوعاً ومنصوباً إحدى وتسعين مرّة، معظمها تكرر مع الرحمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٣]، وفي مرّات قليلة جاء اسم (الغفور) مقرونا باسم آخر غير الرحمة، كما في قوله وَعَلَيْكَ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، جاء الحلم موضع الرحمة هنا، أو (غفور شكور)، كما قال وَعَلَيْكَ على لسان أهل الجنّة: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ * الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ * [فاطر: ٣٤، ٣٥].

فهو غفور شكور، (غفور) يغفر الإساءة والذنب وإن كان عظيمًا، و(شكور) يقبل منك العمل الصالح وإن كان قليلاً، على خلاف ما جاء في بعض الأحاديث: «ثلاثة من الفواقر: - أي المصائب التي تكسر فقار

الظهر - إمام إذا أحسنت لم يشكر، وإذا أسأت لم يغفر، وجارٌ سوءٍ إن رأى خيراً دفنه، وإن رأى شراً أذاعه، وامرأةٌ إن حضرت آذتك وإن غبت عنها خانتك^(١). ولكن الله تعالى حينما تحسن الإحسان القليل - بتوفيقه وفضله - يشكر لك، وتسيء فيغفر لك، فهو (الغفور الشكور).

الفرق بين العفو والغفور:

وهناك (العَفْوُ الغفور)، فهو يعفو ويغفر، والغفران هو الستر، مادّة (غفر) في اللغة تعني الستر، ومنه (المَغْفِر) الذي كانوا يلبسونه في الحروب جُنَّةً تستر الرأس، كان النبي ﷺ يلبس هذا (المَغْفِر)، فالغفران هو السّتر، ولكن (العَفْو) أكثر من الستر، فهو المحو، وعفت الريح آثار الأشياء أي محتها.

وكان لي بعض التحفُّظ على هذا، فأنا أرى أن (العَفْو) يتعلّق أكثر ما يتعلّق بترك المأمور، والغفران يتعلّق أكثر ما يتعلّق بترك المحظور، ولذلك القرآن يقول في التيمم: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]، في ترك الوضوء والغسل والطهارة بالماء وهي الأصل، فهنا يعفو الله ﷻ إذا تساهل الناس واستعملوا التراب بدل الماء، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.

وفي نفس السورة سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيهِمْ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

(١) رواه الطبراني (٣١٨/١٨)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٣): رواه الطبراني بإسناد لا بأس به. وقال الهيثمي في المجمع (١٣٥٦٠): فيه محمد بن عصام بن يزيد، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يُجرّحه ولم يُوثِّقه، وبقية رجاله وثقوا. عن فضالة بن عبيد.

لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَافِيًا عَافِيًا ﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩]، ربّما تساهلوا ولم يحفزوا أنفسهم على الهجرة من أرض الظلم والكفر والطغيان، فيطمعهم الله في العفو ويقول: ﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَافِيًا عَافِيًا ﴾.

وفي القرآن الكريم في خواتيم سورة البقرة التي علم الله المؤمنين فيها كيف يدعون: ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فالعفو أولا، والمغفرة هي أبلغ، ثم الرحمة الأعم والأوسع، ﴿ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾، وفي الحديث الصحيح أن عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم: لو وافقت ليلة القدر ماذا أقول يا رسول الله؟ فقال لها: «قولي: اللهم إِنَّكَ عَفْوٌ تُحِبُّ العفو فاعفُ عني»^(١). العفو والرحمة والمغفرة مطلوبة لكل إنسان.

حاجتنا إلى المغفرة:

أنا أقول: ما أحوجنا في عصرنا إلى اسم (الغفور)، واسم (الغفار)، جاء هذا الاسم في صيغ عدة، صيغة (الغفور)، وهي أكثر الصيغ، وصيغة (الغفار)، ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]، وجاءت أيضا مع (العزير الغفار)، ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [ص: ٦٦]، ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [الزمر: ٥]، ﴿ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴾ [غافر: ٤٢].

(الغفار) - كما يقول علماء اللغة - صيغة مبالغة، و(الغفور) أيضا صيغة مبالغة، المبالغة أحيانا تكون على صيغة (فعول)، وأحيانا على صيغة

(١) سبق تخريجه ص ٢٦٣.

(فَعَال)، فالله غفور، والله غَفَّار، ولماذا هذه المبالغة؟ لَأَنَّهُ وَعَجَلٌ أَكْثَرُ الْغَافِرِينَ غَفْرَانًا، ليس هنا من يغفر مثله، ولا قريبًا منه، ولا قريب من قريب؛ لَأَنَّهُ يَغْفِرُ لِلْمُذْنِبِينَ جَمِيعًا، وما أَكْثَرُ الْمُذْنِبِينَ، «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١)، كل بني آدم خطاؤون بحكم التكوين البشري، بحكم العنصر الطيني الذي خلق الله منه الإنسان مع العنصر الروحي.

إذا لم يعصِ الإنسان فلِمَن يغفر الله؟

لو أراد الله أن يخلق الناس كلهم مطيعين لخلقهم كالملائكة، أو لاكتفى بالملائكة، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، ولكن الله ﷻ أراد أن يخلق خلقًا قابلاً للتقصير في طاعته، ولا ارتكاب محظوراته، ليشملهم بأسمائه (الغفور والعفو والتوَّاب)، كلُّ هذه أسماء تحتاج إلى أناس يعصون الله فيعفو عنهم، ويغفر لهم، ويتوب عليهم، لتعمل هذه الأسماء عملها، وتقوم بدورها، ولذلك جاء في الحديث: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لو لم تَذْنِبُوا، لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذنبون، فيستغفرون الله، فيغفر لهم»^(٢)، فهو سبحانه يحب أن يغفر، يحب أن يعفو، يحب أن يتوب، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

العنصر الأرضي والعنصر السماوي في الإنسان:

لهذا خلق الإنسان من هذين العنصرين: عنصر أرضي، وعنصر سماوي، ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٨]، من هذه المادَّة السُّفْلِيَّة، وميَّزه بهذا الذي قاله:

(١) رواه أحمد (١٣٠٤٩)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٩٩)، وقال:

حديث غريب. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في المشكاة (٢٣٤١)، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٤٩)، وأحمد (٨٠٨٢)، عن أبي هريرة.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، لم تسجد الملائكة للعنصر الطيني، وإنما سجدت حينما سُوي هذا الإنسان ونفخ الله فيه من روحه.

النفخة الإلهية في روح الإنسان ترقى به إلى أعلى دائماً، والعنصر الطيني، والحمأ المسنون يهبط به إلى أسفل دائماً، وهذا الهبوط هو الذي يجعل الإنسان يخضع لنوازعه وغرائزه، لشهوة الجنس، وشهوة الطعام والشراب، ولحب الدنيا، وأيضاً عنصر الغضب، القوّة الغضبيّة، والقوّة الشهوية، والقوّة السبعية في الإنسان، تجعل الإنسان يتصرّف تصرفات توقعه في معصية الله، وفي الشرود عن الله، وفي البُعد عن منهج الله، وعن الصراط المستقيم، ولذلك كان في حاجة إلى المغفرة، وكلنا نحن البشر أحوج ما نكون إلى (الغفور)، إلى (الغفار)، إلى (الغفور الرحيم)، إلى الله **عَجَلًا**.

بين الخوف والرجاء:

ليس منا أحد يستغني عن هذا الاسم، (الغفور) و(الغفار)، وأحياناً القرآن يتحدث عن هذا الاسم يقول: (واسع المغفرة)، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعُ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢]، و(ذو مغفرة)، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦]، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣]، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، الأمران معاً، لكي يستوي الميزان، ولكي يحدث التوازن في النفس الإنسانيّة، لا يغلب عليها الخوف فتياأس من رُوح الله، ولا يغلب عليها الرجاء فتأمن من مكر الله، وهذان هما الخطران؛ الأمان واليأس، ولكن يظل الإنسان شأن المؤمن القانت، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وكما وصف الله بعض عباده

بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، هكذا ينبغي أن يكون الإنسان، ولذلك القرآن يقول: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، لا ينبغي أن ينسى أحد الشُّقِين.

ولكن نجد هنا الفرق في قوله: ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾، فجعل الرحمة والمغفرة من أسمائه، ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾، وأما العذاب فجعله من أفعاله، وفرق بين الأسماء والأفعال، لم يقل: إنِّي أنا المُعَذِّبُ، لا، ليس من أسمائه المُعَذِّبُ، إنّما من أسمائه (الغفور الرحيم)، (العفو) (التواب).

الأمل في سعة رحمة الله:

امتلاً القرآن بهذه الأسماء؛ ليرطب القلوب بالأمل دائماً في سعة رحمة الله، مهما ارتكبت من الخطايا، إياك أن تستبعد غفران الله لك، إياك أن تستعظم توبة الله عليك، مهما عظمت ذنوبك فإن مغفرة الله أعظم، وإن عفو الله أوسع، ولهذا يعلمنا القرآن حينما خاطب الله رسوله فقال: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وانظر إلى قوله: ﴿يَاعِبَادِيَ﴾، صحيح أنهم أسرفوا على أنفسهم في معصية الله، ومخالفة أمر الله، وارتكاب ما حرم الله، أسرفوا على أنفسهم، ولكنّه سبحانه جلّ شأنه لم يحرمهم من شرف الانتساب إليه، من شرف العبوديّة له: ﴿يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾.

القنوط من مظاهر الضلال، واليأس من لوازم الكفر، سيّدنا إبراهيم حينما قالت له الملائكة: ﴿بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ * قَالَ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿ [الحجر: ٥٥، ٥٦]، وسيّدنا يعقوب قال لابنيه: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، هكذا ينبغي، ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ *، بالتوبة كل الذنوب تُغفر حتى الكفر والشرك، ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. كل الذنوب تُغفر بالتوبة.

وبغير التوبة كل الذنوب قابلة للمغفرة ما عدا الشرك، الشرك لا يُغفر لأنّه اعتداء على سلطان الألوهية، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ظلم للحقيقة، وظلم للألوهية، وظلم للعبودية، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ *، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، لهذا كنا في حاجة إلى أن نعرف اسم (الغفور)، واسم (الغفار).

الله يغفر ذنوب كل الخلائق، انظر إلى سعة هذه المغفرة التي نفهم بها معنى (الغفور)، و(الغفار)، مبالغة، يغفر لكل الخلائق، ويغفر كل الذنوب، صغائر وكبائر، ليس هناك شيء يكبر على الله، ويغفر كل الذنوب وإن تمادى الإنسان فيها، يغفر مرّة ومرّة ومرّة، كما قال ﴿عَجَلٌ﴾ * ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]، الأوابون هم الذين يسقطون في وحل الذنوب، ثمّ يندمون ويرجعون إلى الله، يقولون: ربنا اغفر لنا. ثمّ يعودون مرّة أخرى، يعود إلى الذنب

ويؤوب إلى الله، فهو أَوَابٌ إلى الله، يذنب ويرجع، ويسأل ربه المغفرة، والله وَجَلَّ لا يغلق بابه في وجهه، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾.

وفي الحديث الصحيح: «علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرتُ لعبدي فليعمل ما شاء»^(١). وفي الحديث القدسي أن الله تعالى قال: «يا عبادي، إنكم تذنبون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم»^(٢). استغفروني أغفر لكم.

ولهذا يُروى أن إبليس قال: أهلكتُ بني آدم بالذنوب، فأهلكوني بالتوبة والاستغفار. هو يوسوس لنا حتى نذنب ونخطئ، ونحن نمحو هذا بالاستغفار، والله أهلُّ أن يغفر لنا، ﴿هُوَ أَهْلُ النَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدر: ٥٦]، ولذلك كان الاستغفار مطلوبًا من المؤمنين جميعًا، والتوبة مطلوبة من المؤمنين جميعًا، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، ليس هناك أحد أكبر من أن يستغفر.

كل الناس في حاجة إلى الاستغفار، والأنبياء جميعًا استغفروا الله وَجَلَّ، أوَّل من استغفر ربه هو الإنسان الأوَّل أبو البشر آدم ﷺ، غلب عليه العنصر الطيني، والحمأ المسنون فوق في المعصية الأولى للبشر وهي الأكل من الشجرة، ولكنه سرعان ما استخدم هذه «المحآة» ومحا هذا الذنب بالاستغفار والتوبة حينما قال هو وزوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّجِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]، ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ ثمَّ أَجَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿[طه: ١٢١، ١٢٢]، ومن هنا غُسلت هذه الخطيئة، ولم يعد على أي بشر منها ما يناله بسوء.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٠٧)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٤٦٧٤)، وأحمد (٢١٤٢٠)، عن أبي ذر.

الخطايا لا تورث، لا يرث الإنسان خطيئة أبيه ولا جده، فكيف يرث البشر جميعاً خطيئة أبيهم آدم؛ وبينهم وبينه آلاف السنين، أو عشرات الآلاف، أو مئات الآلاف؟! الله أعلم فليس عندنا شيء يدل على متى كان آدم! التوراة فيها سبعة آلاف سنة، ونحن لا نعرف، ليس عندنا علم يقول: إن بيننا وبين آدم كذا وكذا سنة، كيف نتحمّل وزر آدم وكل إنسان مسؤول عن نفسه؟ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨]، ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزَرُ وَلَا نُرِي إِلَّا مَا كُنَّا لَنَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، على أن آدم غسل ذنبه بالتوبة تماماً.

إذا كان آدم أبو البشر قد أخطأ فلا عجب أن يخطئ أبناؤه.

ومن يشابهه أبه فما ظلم^(١)

ولذلك عصى الكثير من البشر، ولكنهم أيضاً استغفروا الله فغفر لهم، وورث النبيون جميعاً الاستغفار من آدم.

الأنبياء فيما ذكره القرآن لنا استغفروا الله، طلبوا من الله المغفرة، نوح عليه السلام حينما أخطأ في كلمة وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، أراد أن يشفع لابنه بعاطفة الأبوة، ﴿قَالَ يَنْبُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، بهذا الرد الحاسم قوبل نوح عليه السلام شيخ المرسلين، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمَنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، هكذا يؤدّب الله عباده، يؤدّبهم

(١) شاهد نحوي معروف، وقد نسبه البدر العيني لرؤية بن العجاج، كما في شرح الشواهد الكبرى (١٨٨/١)، تحقيق أ. د. علي محمد فاخر وآخرين، نشر دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

حتى لا يتجاوز أحدهم حدّه، ولا يعلو عن قدره، فهو مهما كان عبد من عباد الله، ﴿وَالَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

إبراهيم عليه السلام قال: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤٠، ٤١].

موسى عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

داود عليه السلام استغفر ربه، ﴿وَوَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ، وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤].

سليمان عليه السلام ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص: ٣٥].

عيسى عليه السلام يقول: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَاتَّبِعْتُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، هؤلاء الذين اتَّخَذُوهُ وَأَمَّهُ إلهين من دون الله فَوَضَّ أمره إلى الله فيهم، كما قال إبراهيم أيضا: ﴿رَبِّ إِنَّمَنْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

الأنبياء استغفروا الله وعجل؛ لأنهم يعلمون أنه غفار لمن تاب، ﴿وَلِيَّ لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، وأنه قابلٌ للتوب، غافرٌ للذنوب، ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر: ٣]، عرفوا هذا فاستغفروا الله وعجل.

وأكثر الأنبياء استغفارا هو محمد صلى الله عليه وسلم، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، استغفر لذنبك، مع أن

الله تعالى قد أعلنه أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، ومع هذا كان أكثر الناس استغفارًا، حتى قال بعض الصحابة كابن عمر وغيره: «كنا نعدُّ لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: «رب اغفر لي وثب علي» مائة مرة^(١). كما قال ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»^(٢).

وللنبي ﷺ صيغ استغفارية رائعة، منها ما سمّاه: سيّد الاستغفار، أي: أفضل صيغ للاستغفار، فقال ﷺ: «سيّد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربّي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شرّ ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنب إلا أنت»^(٣).

ومما صحَّ عن رسول الله ﷺ من صيغ الاستغفار: «اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به منّي، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكلّ ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخّر، وأنت على كلّ شيء قدير»^(٤).

(١) رواه أحمد (٤٧٢٦)، وقال مخرّجه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الصلاة (١٥١٦)، والترمذي في الدعوات (٣٤٣٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه في الأدب (٣٨١٤)، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٢)، وأحمد (١٨٢٩١)، عن الأغر بن يسار المزني.

(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٦)، عن شداد بن أوس.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٩٨)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٩)، عن أبي موسى.

فإيّاك أيّها الإنسان أن تقول: أنا والحمد لله سليم ما عندي شيء، علام أستغفر؟! أنا مصلّ فرضي، ومؤدّ واجبي، إيّاك أن تقول هذا، إذا قلت هذا فهذا هو العُجب الذي يفسد الأعمال الصالحة، هذا غرور منك، إذا كان رسولك صفوة خلق الله، وسيد رسل الله، وإمام النّبیین، وخاتم المرسلين، إذا كان يقول: «اغفر لي جدّي وهزلي، وخطي وعمدي، وكلّ ذلك عندي»، ثمّ تقول: أنا ليس عندي شيء، أنا مطهّر كماء الغمام؟! لا، كلنا خطّآؤون، وكثير من الخطايا تخفى على الناس، خصوصاً خطايا القلوب.

أخطر المعاصي - أيّها الإخوة - ليست معاصي الجوارح، بل أخطر المعاصي هي معاصي القلوب، معصية آدم كانت معصية جارحة، الأكل من الشجرة، إنّما معصية إبليس كانت معصية قلب؛ الإباء والاستكبار، ﴿أَبَىٰ وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، رفض أمر الله وعجلك، وجادل ربّه، وخرج عن حدّه.

معاصي القلوب هي الخطيرة: الكبر، الحسد، الغضب، العُجب، الغرور، الحقد، الرياء، حب الدُّنيا، حب المال، هذه هي المهلكات، الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللهُ أقام عليها الربع الثالث من كتابه «إحياء علوم الدين» سماه: «المهلكات»، يعني معاصي القلوب المهلكة، إيّاكم أن تغتروا وتقولوا: ما عندنا شيء. كلنا عندنا أشياء وأشياء، ولو فتش الإنسان داخله لوجد عنده أشياء كثيرة، ولكن من ستر الله أنّه لا يجعل الناس يحسون بما عنده، ربّما تفكر في أذى أحد الناس وهو قربك، ولكنه لا يحس، معك في المكتب، ولا يحس، ربّما تفكر في معصية وترتب لها في ذهنك ولا أحد يعرف بذلك، كما قال أبو العتاهية:

أحسن الله بنا أن الخطايا لا تفوح!
فإذا المستور منا بين جنبه فضوح^(١)!

أبو العتاهية يقول: من إحسان الله بنا، ومن نعمته علينا؛ أنه لم يجعل للخطايا روائح، خصوصاً خطايا القلوب هذه، لا يشم أحد رائحة الخطيئة التي تكتمها بين جنبك، فستر الله عليك، وهذا من فضل الله تبارك وتعالى، ومن اسمه (الغفار)، لا يوجد اسم (الستار) في أسماء الله الحسنى، لكن يؤخذ (الستر) من اسم (الغفار)، فهو الذي يستر على عباده في الدنيا والآخرة.

ممّا نتعلمه من اسم (الغفار) أن نستر على عباد الله، لا نفضح الناس، إذا عرفت عن إنسان شيئاً من المعصية فلا تنشره على الملأ، لا تحاول أن تكون (جرناً) أو (إذاعة) تحدث الناس بما أحدث هذا الإنسان، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]، استر على الناس، واغفر للناس.

ممّا نتعلمه من اسم (الغفور) و(الغفار) و(واسع المغفرة) - كما قال الإمام الغزالي -: أن يكون المسلم غافراً للناس، أن يتعلم من الله المغفرة لإخوانه والتجاوز عنهم، ولا يحاسبهم على النقيير والقطمير، بل يكون صفوحاً، عفواً، غفوراً، يتخلق بأخلاق الله عَجَلًا^(٢).

ومن هنا عاتب الله سيّدنا أبا بكر حينما حلف ألا يُعطي قريباً له - وهو مسطح بن أثاثة - ما كان يعطيه من نفقات وصدقات، حين تحدث مع من تحدث بسوء عن ابنته عائشة الصديقة بنت الصديق، أحب نساء

(١) ديوان أبي العتاهية ص ١١٦.

(٢) المقصد الأسنى ص ٨٠، ٨١.

رسول الله إليه، وقد كان له الفضل عليه، كان دائماً يعطيه ويرسل إليه الصلوات والهبات والصدقات، فلما حدث ما حدث: حلف أبو بكر أن لا يصله منه شيء بعد ذلك، فعاتب الله أبا بكر، ونزل قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ [النور: ٢٢]، (لا يأتل) يعني لا يحلف، ف(الإيلاء والائتلاء): الحلف، ﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، انظروا إلى هذه الصيغة كيف تحث على العفو والمغفرة، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾؟ كما تحبون أن يغفر الله لكم اغفروا للناس، سعوا للناس بأخلاقكم، ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، حينما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى نحب أن يغفر الله لنا. وعاد بالفضل والإحسان إلى قريبه مسطح^(١).

تعلموا من اسم (الغفور) و(الغفار) و(واسع المغفرة) و(ذي المغفرة) و(خير الغافرين) و(غافر الذنب وقابل التوب)، تعلموا كيف تغفرون للناس، ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

ليس من الشجاعة أن تقابل السيئة بمثلاً، كل الناس قادر على أن يقابل السيئة بمثلاً، بل بعضهم يكيل بالصاع صاعين كما يقولون، ولكن البطولة حقاً أن تقابل السيئة بالحسنة، ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]، ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، اكسب الناس، اكسبهم بمثل هذا، ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ وما يلقنها إلا الذين صبروا وما يلقنها إلا ذو حظٍ عظيمٍ ﴿وَمَا يَزْنَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦]، الشيطان يحرك

(١) سبق تخريجه ص ٢٦٥.

ويدفعك من أجل أن تقابل السيئة بالسيئة، وتشتعل النار من أجل كلمة تافهة، أو من أجل موقف لا يستحق كل هذا. الشيطان هو الذي ينفخ في الشرارة حتى تصبح نارًا تُحرق الأخضر واليابس، لا تستجب للشيطان، ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

اقتد برسول الله ﷺ، فقد كان يعفو ويصفح، وما أكثر ما عفا وصفح، يكفي أنه بعد أن انتصر على قريش، وفتح مكة، وأصبح سيّد الجزيرة، جاءت قريش بقضها وقضيضها واجتمعوا في المسجد الحرام، وقال لهم النبي ﷺ: «يا أهل مكة، ما تظنون أنني فاعل بكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم وابن أخ كريم.

هؤلاء العتاة الطغاة الفراعين الذين عذبوا المسلمين ثلاثة عشر عامًا في مكة، وأذاقوهم مرّ العذاب، أذاقوهم الصّاب والعلقم، وحاربوهم ثماني سنوات في المدينة، وغزوهم في عقر دارهم في أحد وفي الخندق التي أرادوا بها استئصال المسلمين من جذورهم، هؤلاء العتاة الطغاة الآن يخفضون الرؤوس، ويلينون الكلام، ويقولون: أخ كريم وابن أخ كريم. وقد كان كذلك ﷺ، كان عند حسن ظنهم به، فقال: «يا معشر قريش، ما ترون أنني فاعل بكم؟» قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١).

كان يمكن أن يعاملهم معاملة الأسرى وهم في يده، لكنّه أطلق سراحهم، «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وهكذا علمنا نحن أمته أن نعفو إذا قدرنا، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]، لا يسكتون على ذل،

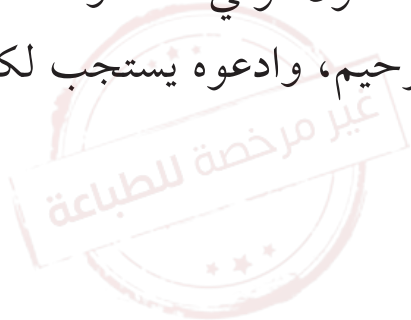
(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤١٢/٢)، عن ابن إسحاق، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.



ولا يقبلون الضيم، ولكنهم إذا قدروا عَفَوْا، العفو عند المقدرة من مكارم الأخلاق، وهكذا عَلَّمَنَا ﷺ أَنْ نَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمْنَا، ونعطي مَنْ حَرَمْنَا، ونصل مَنْ قَطَعْنَا، ونبذل لِمَنْ مَنَعْنَا، ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

حَظَّنَا من اسم (الغفور)، اسم (الغفار)، اسم (واسع المغفرة)، اسم (غافر الذنب وقابل التوب)، اسم (خير الغافرين)، هذه الأسماء كلها تدل على معنى واحد، ينبغي أن يكون حَظَّنَا منها أن نتعلم العفو والغفران، والصفح عن ظالمينا، ونكل أمرهم إلى الله، ونكسبهم إلينا بهذا الموقف، ﴿ أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيها الإخوة:

قبل الدعاء أريد أن أذكر أن هناك إخوة معهم الصناديق يجمعون لحملة (صندوق القدس)، والقدس هي قضيتنا الأولى، قضية فلسطين هي قضية المسلمين الأولى المحورية والمركزية، وخصوصاً قضية القدس التي تتعرض للتهويد، وتتعرض للتدمير، ويتعرض المسجد الأقصى لمؤامرات خطيرة، يجب أن نكون مع القدس بقلوبنا، ومع القدس بألسنتنا، ومع القدس بدعائنا، ومع القدس بمقاطعة أعدائنا، ومع القدس بالتبرع، وأنا لا أحب كلمة (التبرع) هذه؛ لأنها تُشعر بأننا كأننا ممتنون، هذا بعض الواجب علينا، ينبغي أن نعطي جهاداً بالمال، إذا كان إخواننا يجاهدون بأنفسهم، يضحون بأرواحهم، فلا أقلّ من أن نضحّي ببعض أموالنا، بهذه المساعدات لإخواننا، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(١)، والمؤمنون يد واحدة، «يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم»^(٢)، وهم «كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله»^(٣).

المسلمون ينبغي أن يمدوا أيديهم بكل ما يستطيعون لمعاونة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٦)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى.

(٢) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في المنتقى (١٠٧٣)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

إخوانهم في القدس، لتثبيتهم على البقاء في هذه الأرض، اليهود يريدون أن يُهَجَّرَ و هم بكل ما يستطيعون، لا يعطونهم فرصة لبناء بيت تهدم، أو توسيع بيت ضاق على أسرة صار لها مائة سنة في هذا البيت، فتضاعفت أعدادها، ولكن اليهود - كما يقولون قادر وفاجر - يمنعونهم من حقوقهم، ينبغي أن نشدّ أزر إخواننا، ابذلوا لإخوانكم ما استطعتم، القليل على القليل كثير إن شاء الله، ابذلوا لصندوق الهلال الأحمر الذي يجمع لصالح القدس، ولصندوق القدس.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يُمددنا بنصر من عنده، اللهم أمدنا بنصر من عندك، اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، اللهم احرس إخواننا المجاهدين والممتحنين والمضطهدين، احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاهم في كنفك الذي لا يضام ولا يرام، وافتح لهم فتحاً مبيئاً، واهداهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً عزيزاً.

اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم زدّ عنا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين، اللهم عليك باليهود الغاصبين الظالمين، وعليك بأعدائهم من الصليبيين الكائدين، اللهم عليك بجميع أعدائك أعداء الدين، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يُردّ عن القوم المجرمين.

اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله:

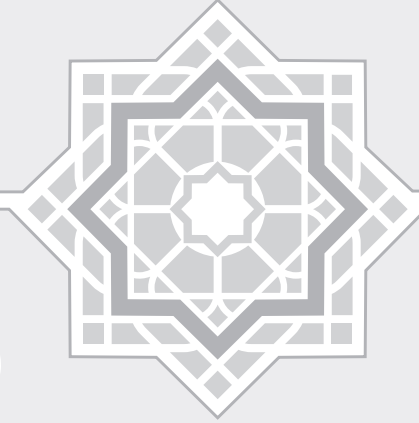
يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُوسَيْفِ الْقُرْظَبَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.







فهرس الآيات القرآنية الكريمة



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الفاتحة		
١١٢ ، ١٦	١	﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
١١٢ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ٣٤٣ ، ١٤٩	٢	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
١٤٩ ، ١١٢ ، ١٠٩ ، ١٦	٣	﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
٢٠٦ ، ١٤٩ ، ١٢	٤	﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾
١٧ ، ١٨ ، ٥٤ ، ٩٤ ، ٧٤	٥	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾
١٨	٦	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾
١٨	٧	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾
سورة البقرة		
٣٣	٨ - ١٠	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾
٣٣	١٤	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَأَمَنُوا قَالُوا ءَأَمَّنَّا ﴾
٣٤	١٥	﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٤	١٦	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ﴾
١٧٦	٢١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾
٢١٧ ، ١٧٦	٢٢	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾
١٧٠ ، ٦٤	٣٠	﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
٣٦٦	٣١	﴿ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
٣٦٦ ، ٢٦٩	٣٢	﴿ أَنَّهُ، مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ﴾
٣٨٥	٣٤	﴿ أَبِي وَأَسْتَكْبَرُ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾
٣٨١	٣٧	﴿ فَلَنَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَثَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾
٣٣٠	٦١	﴿ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلِيلَ وَالْمَسَكَنَةَ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾
٣٣٠	٨٧	﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ﴾
٣٣٠	٩١	﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾
٤٠	١٠٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَأَسْمِعُوا ﴾
٢٦٤	١٠٩	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ ﴾
١٠٧	١١٠	﴿ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾
٢٤٦	١١٣	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾
٣٦٦	١١٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾
٢٨١ ، ٢٨٠	١٢٦	﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ ﴾
٢٩٥	١٢٧	﴿ رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
٣٠١	١٥٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٠	١٥٥، ١٥٦	﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾
٣٧٤، ١٣١	١٧٣	﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٥٤	١٧٧	﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾
١٣١	١٧٨	﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾
٢٤٤، ١٣١	١٨٥	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾
٢٩٦، ٥٨	١٨٦	﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾
٣٠١	١٩٤	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾
٢٢	١٩٧	﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾
٢٢٥	٢٠١	﴿رَبَّنَا ءَانِسَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾
٢٢٠	٢٠٩	﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
٢٧٥	٢١٢	﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
٣٢٦	٢١٤	﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾
٣٦٦	٢١٥	﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾
٢٦٣	٢١٩	﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾
١٣١	٢٢٠	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾
٣٧٧	٢٢٢	﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
٣٥٥، ٣٧٤	٢٣٥	﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾
٣٠٤	٢٤٥	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾
٣٦٦	٢٤٦	﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٥٨	٢٤٧	﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾
١٩٨	٢٥١	﴿ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾
١٥٢، ١٤٧، ٢٠١، ١٥٤، ١٥٣، ٣٣٨، ٣٣٧	٢٥٥	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾
٦١، ٥٠، ٣٦	٢٥٦	﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾
٤٧، ٣٩	٢٥٧	﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾
٩٦، ٥٦، ٣١٧، ١٣٨	٢٥٨	﴿ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾
٣٣٩، ١٣٣	٢٦١	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ ﴾
١٩٩، ١٩٨	٢٦٩	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
٣٥٥	٢٨٤	﴿ وَإِن تُبَدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾
٣٦٠، ٢٤٤، ٣٧٦، ٢٦٣	٢٨٦	﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ مَوْلَانَا ﴾
سورة آل عمران		
١٤٨	١ - ٤	﴿ اَلَمْ ؕ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾
٢٥٨، ١٠	٤	﴿ مِن قَبْلِ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ ﴾
١٨٦	٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْفِي عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾
٢٨٤	٨	﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾
١٥٣	١٨	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَابِئًا بِالْقِسْطِ ﴾
٣٣٠	٢١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ حَقِّ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٣٠	٢٢	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾
١١٩ ، ١٤٩ ، ٢٠٢ ، ٣٤٥ ، ٢١٦	٢٦	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾
٣٤٥	٢٧	﴿تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾
٢٩٦	٣٥	﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
٢٩٦ ، ٢٧٥	٣٧	﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾
١٩٨	٤٨	﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾
٧٥	٥١	﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾
٢٦٢	٥٤	﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾
١٨٧	٥٨	﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾
٣٦٦	٦٣	﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾
١٤٠ ، ٨٥ ، ٨٤	٦٤	﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾
٧١	٨٤	﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾
٨٨ ، ٢١	١٠١	﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
١٦٣	١٠٣	﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾
٤٠	١١٠	﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾
٣٦٦	١١٥	﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾
٤٧	١٢٣	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
٢٠٢	١٣٣	﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾
٢١	١٣٥	﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦١	١٤٠	﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾
٤٨	١٤٤	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾
١٥٩	١٤٦	﴿وَكَايِنٍ مِّنْ نَّبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ﴾
٣٩٢ ، ١٥٩	١٤٧	﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾
١٠٠ ، ٨٣	١٥١	﴿سَكُنْتُمْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبُ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ﴾
٣٥٢ ، ٣٣٥	١٦٠	﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ﴾
٣٦١	١٦٦	﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانَ فَيَاذَنْ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٣٦١	١٦٧	﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾
٢٨٢	١٦٩	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾
٢٨٢	١٧٠	﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
٣٩ ، ٢١	١٧٣	﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾
٣٩ ، ٢١	١٧٤	﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾
٥٠	١٧٥	﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾
٣٢٣ ، ٢٢٠	١٧٨	﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾
٣٠٤	١٨١	﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾
٣٢٥ ، ٣٠٤	١٨٢	﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾
٢٠٢	١٨٩	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
١٩٢	١٩٠	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾
١٩٣ ، ١٩٢	١٩١	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة النساء		
٩١	١	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾
١٩٩	١١	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾
٣٧٤	٢٣	﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
٢٢١	٢٦	﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾
٢٤٤	٢٨	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾
٣٧	٣٩	﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
٣٣٩ ، ٢٤٧ ، ١٣٣	٤٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا﴾
٣٧٥ ، ٢٦٢	٤٣	﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾
٣٨٠ ، ١٩٧	٤٨	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
٢٥٣	٥٣	﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾
١٩٨	٥٤	﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾
٧٩	٦٠	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾
٧٩	٦١	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ﴾
٧٩	٦٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾
٢١٣	٨٤	﴿فَقَنْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
١٦٥	٨٦	﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾
٣٧٥	٩٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾
٣٧٥	٩٨	﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٧٦، ٣٧٥، ٢٦٢	٩٩	﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾
١٣٢	١٠٠	﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ ﴾
٣٤٢، ٣٣٩، ١٩٨	١١٣	﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾
٣٨	١١٥	﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا نُبَيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ ﴾
٣٨٠	١١٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾
١٩٧	١١٦	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾
٣٠٥	١٣٤	﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾
٢١٧	١٣٨	﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾
٢١٧	١٣٩	﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٢٩٩	١٤٠	﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا ﴾
٤٠	١٤٦	﴿ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾
سورة المائدة		
٢٦٤، ٢٤٤، ١٣١	٦	﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّن حَرَجٍ ﴾
٢٠٢	١٧	﴿ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾
٤٥	٢٧	﴿ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾
٤٥	٢٨	﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ ﴾
٢٢٠	٣٨	﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
٣٤	٤١	﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾
٢٣٦، ٢٢٦	٥٤	﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٧ ، ٣٩	٥٦	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾
٣٢٩	٦٠	﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُنُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾
٣٠٤ ، ٣٢٧	٦٤	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾
٧٨	٧٣	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾
٧٨	٧٤	﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ ﴾
١٥٠	٧٥	﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ﴾
١٣٩	٧٧	﴿ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾
٢٥٨ ، ٢١٩	٩٥	﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾
٣٦٢	١٠٩	﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ﴾
٢٧٤	١١٤	﴿ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَادِنَا وَعَآخِرِنَا ﴾
٣٦٢ ، ١٩٧	١١٦	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِيبَ ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ ﴾
١٩٧	١١٧	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾
٣٨٣ ، ٢٢٠ ، ١٩٧	١١٨	﴿ إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَاتِمُّوا عِبَادَتِكُمْ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
سورة الأنعام		
١٥٠ ، ٩٩ ، ٧٨	١٤	﴿ قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾
٣١٩ ، ٢١٦	١٨	﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾
٣٥٢ ، ٢١٩ ، ١٦٠	٤٤	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾
٣٥٢ ، ١٦٠	٤٥	﴿ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
٣٥٦	٥٠	﴿ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٧٩	٥٧	﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾
٣٥٦، ٣٥٥	٥٩	﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾
٣٥٥، ١٥٤	٦٠	﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾
٣١٩	٦١	﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾
٧٨	٦٢	﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَسِيبِينَ﴾
٢٩٩	٦٨	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾
٣٥٦	٧٣	﴿عَلَيْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾
٤٩	٨١	﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾
١٠٠، ٨٢، ٤٩	٨٢	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾
١٣	٩٥	﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ۗ يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ﴾
١٣	٩٦	﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾
١٦٨	١٠٢	﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ﴾
٤٧٨، ٤٨ ٢٤٢، ٩٩	١١٤	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾
١٣٢	١١٩	﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾
٤٤	١٢٢	﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾
١٦١	١٣٢	﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾
١٣٣	١٦٠	﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾
٨٢	١٦٢	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
١٦٣	٨٢	﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾
١٦٤	٤٥٥، ٧٨، ٩٩، ١٣٣، ١٣٧، ٣٨٢	﴿ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نُزِرُ أُخْرَى ﴾
سورة الأعراف		
١٠	١١٦، ١٨٨، ٢٧٣	﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَةً قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴾
١١	١١٦، ١٨٨، ٢٧٣	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴾
٢٣	١٥٨، ٣٨١	﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
٣٤	٢٤٠	﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾
٤٣	١٩	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾
٥٤	٢٤٢	﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
٥٩	٦١، ٧٥، ٩٦	﴿ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ ﴾
٧٠	٧٧	﴿ أَحِجَّتْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾
٧١	٧٧	﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾
٨٦	٤٧	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْنَا ﴾
٨٧	٢٤١	﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾
٨٩	١١٤، ٢٤١، ٣٥٤	﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾
٩٦	٢٨١	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾
١١٣	٢١٩	﴿ إِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾
١٢٠ - ١٢٢	٤٣	﴿ وَالْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴾ * قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣١٩	١٢٧	﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَدْرُكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ ﴾
٣٨٣ ، ١١٥	١٥١	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
٣٨٣	١٥٥	﴿ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾
١١٤ ، ١١٣	١٥٦	﴿ وَاَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ ﴾
٨٦	١٥٧	﴿ يَا مَرْهَمُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ﴾
١٢٩ ، ١٠٨ ، ٨ ، ١٤٧ ، ١١٥ ، ٢٠٠ ، ٢٧٢ ، ٢٩٣ ، ٣١٦ ، ٣٤٤	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ ﴾
٣٥٢ ، ٣٢٣ ، ٢٦٢	١٨٣ ، ١٨٢	﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾
٣٥٦	١٨٨	﴿ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ ﴾
٢٩٧	١٩٤	﴿ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴾
٢٩٧	١٩٥	﴿ اللَّهُمَّ ارْجُلُ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبِطْشُونَ بِهَا ۚ ﴾
٣٨٩ ، ٢٦٣	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾
سورة الأنفال		
٢٨٢ ، ٣٥	٤ - ٢	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ ﴾
٣٠١ ، ٤٥	١٩	﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٢٩٨	٢٢	﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾
٢٩٨	٢٣	﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾
٤٧	٢٦	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٤	٢٩	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾
٢٦٢	٣٠	﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾
٣٨٠	٣٨	﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾
١٠٨	٤٥	﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
١٩٦ ، ٨٣	٤٩	﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
٢٢١ ، ١٩٧	٦٢	﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٢١ ، ١٩٧	٦٣	﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾
٢١٣	٦٥	﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾
١٩٩	٧١	﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾
سورة التوبة		
١٩٦	٢٨	﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾
١٤٠ ، ٩٩	٣١	﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾
٤٦	٤٠	﴿إِذ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾
١٦٣	٧١	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾
٣٦٢	٧٨	﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾
٢١٠	١٢١	﴿وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾
سورة يونس		
١٨٧	١	﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾
١٤٢	١٠	﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٩٥، ٥٨	١٨	﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾
٦٥	٢٢	﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم﴾
٢٤٩، ٦٥	٢٣	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾
١٥٤، ٥٧	٣١	﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾
٣٢٥، ٢٤٦	٤٤	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
٣٥٥	٦١	﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾
٣٦٦	٧٩	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَنْوِينِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾
١٥٢، ٣٦	٩٠	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ﴾
٣٦	٩١	﴿ءَأَلْتَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾
٣٦	٩٩	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾
٢٤٠	١٠٩	﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾
سورة هود		
١٨٦	١	﴿كَتَبْنَا أَحْكَامَ ءَايَاتِهِ ثُمَّ فَضَّلْنَا مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾
٣٥٥	٥	﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
٢٧٣، ١٨٨، ١١٦	٦	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾
٣٥٦	٣١	﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾
٧٥	٣٢	﴿يَنْبُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا فَأُنْبِتْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾
١٦	٤١	﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَمْرٌ بِهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
٢٤٠، ٣٨٢	٤٥	﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٨٢	٤٦	﴿ قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾
٣٨٣ ، ٣٨٢	٤٧	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾
٨٣	٥٥	﴿ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾
٨٣	٥٦	﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾
٣٢٣	٦٠	﴿ إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ ﴾
٣٢٣	٦٨	﴿ أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعِدَ الثَّمُودَ ﴾
١١٧	٧٢	﴿ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾
١١٧	٧٣	﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾
٣٢٢	٨٢	﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً ﴾
٣٢٢	٨٣	﴿ مُسُومَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾
٣٢٣	٩٤	﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾
٣٢٣	٩٥	﴿ كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ ﴾
١٣٩	٩٧	﴿ فَانْبَعَوْا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾
١٣٩	٩٨	﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾
٣٢٤	١٠١	﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمْ ﴾
١٥٩ ، ٢١٩ ، ٢٤٩ ، ٣٢٤ ، ٢٥٩	١٠٢	﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾
٣٤٦	١٠٧	﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴾
٢٥٠	١١٣	﴿ وَلَا تَزْكُتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ ﴾
٩٤	١٢٣	﴿ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة يوسف		
١٩١	١٠	﴿ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾
١٩١	٢٠	﴿ وَشَرَّوهُ بِشَمَنِ بَحْسِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾
٢١٦	٢١	﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
٣١٩	٣٩	﴿ يَصْحَجِي السَّجْنَاءَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾
٧٩	٤٠	﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾
١٩١	٤٧ - ٤٩	﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ ﴾
٣٦٥	٥٥	﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا ﴾
١١٤	٦٤	﴿ هَلْ أَمْنَكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾
٢٤١	٦٧	﴿ يَبْنِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ ﴾
٢٤٠	٨٠	﴿ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾
٢٤٥	٨٤	﴿ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾
٢٤٥	٨٦	﴿ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾
٣٨٠، ٣٣٤، ٨٤	٨٧	﴿ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾
١١٥	٩١	﴿ تَأَلَّوْا لِقَدْ أَشْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴾
١١٥	٩٢	﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾
١١	٩٨	﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾
٢٦	١٠٤	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾
٣٢٦	١١٠	﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا ﴾
٢٤٣	١١١	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الرعد		
١٦٧	٣	﴿ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾
٣٧٩ ، ٣٧٨	٦	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾
١٨٨ ، ١٧٥ ، ٦٦	٨	﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾
٣٥٦	٩	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾
٢٩٣	١٠	﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ﴾
١١	١١	﴿ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾
٢١٦	١٦	﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾
٣٨٧	٢٢	﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾
٢٠٩ ، ٤٩	٢٨	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾
١٥٣	٣٣	﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾
٢٣٨	٤١	﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ﴾
سورة إبراهيم		
٧ ، ٤	١٨	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أََعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ ﴾
٢٨٦ ، ١٧١ ، ٦٢ ، ١٥	٣٢ - ٣٤	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾
٣٨٣ ، ٧٧ ، ٦١	٣٦	﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾
٣٠٠ ، ١٨٦	٣٨	﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ﴾
٢٨٤ ، ١١٧ ، ١٩	٣٩	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾
٣٨٣	٤٠	﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٨٣	٤١	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾
٣٤٧، ٢٤٩، ٢٢٠	٤٢	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾
١٠، ٢١٩، ٢٥٨، ٣٤٧، ٣٢٠	٤٧	﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخِيفًا وَعْدِهِ، رُسُلَهُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾
٣٢٠	٤٨	﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ط وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾
سورة الحجر		
٣٧٨، ١٦٩	٢٩	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾
٣٧٩	٤٩	﴿ نَبِيِّ عِبَادِي آتَيْتُ أَنَا الْغَفُورَ الرَّحِيمَ ﴾
٣٧٩	٥٠	﴿ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾
٣٦٦	٥٣	﴿ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾
١١٧	٥٤	﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ﴾
٣٨٠، ١١٧	٥٥	﴿ قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴾
٣٨٠، ٣٣٤، ١١٧	٥٦	﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾
١٦٦	٨٦	﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾
سورة النحل		
١٧٥، ٥٧	٤	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾
١٧٥	٥	﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾
١٧٥	٦	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾
٢٧٦	١٤	﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾
١٧٥، ٥٤	١٧	﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٨٦، ٢٨٥	١٨	﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
٦١	٣٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾
٢٨٥، ١٧٦	٥٣	﴿ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾
٣٢٥	٦١	﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾
٣٦٢، ٣٦١	٧٨	﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا ﴾
٢٤٢، ١٢٠، ٣١	٨٩	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾
٢٨١	٩٧	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيُوهٗ طَيِّبَةً ﴾
٣٣	١٠٦	﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾
٣٣٤، ٣٠١	١٢٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾
سورة الإسراء		
٢٩٥، ٢٢٧	١	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾
٢٤٦	١٤	﴿ أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾
٢٤٦، ١١٩، ٣٧	١٥	﴿ مَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾
٣٨١، ٣٨٠	٢٥	﴿ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ ﴾
١٧٣	٤٩	﴿ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفْنًا أَأَنَا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾
١٧٣	٥١	﴿ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾
٣٧٩	٥٧	﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾
٢٧٣، ٦٤	٧٠	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾
٣٣٤	٨١	﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦٢	٨٥	﴿ وَمَا أوتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
١٥٧	١٠٠	﴿ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾
٣٧	١٠٧	﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴾
٢٠٠ ، ١٢٩ ، ١١٠	١١٠	﴿ قُلْ اُدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾
٢٠٥ ، ١٤٨	١١١	﴿ لَمْ يَنْخِذْ لِدَاؤِهِمْ نَارًا يَكُونُ لَهُمْ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنَ الدَّلِيلِ ﴾
سورة الكهف		
٤٢	١١	﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾
٤١	١٣	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾
٤١	١٤	﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٤٢ ، ٤١	١٥	﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾
٤٢	١٦	﴿ فَأَوْرَأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾
٤١	٢٢	﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾
٤٢	٢٥	﴿ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا ﴾
٣٧	٢٩	﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾
٢٠	٣٥	﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾
٢٠	٣٦	﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾
٢٠	٣٩	﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾
٣٢٤ ، ٢٤٧	٤٩	﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾
٢٥٠	٥٩	﴿ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦٠	٦٣	﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾
٣٤١	١٠٥	﴿فَلَا نُفِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَرَنًا﴾
١٠٢	١١٠	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾
سورة مريم		
١١٧	٦ - ٣	﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾
١١٨	٩ - ٧	﴿يَنزَكِرِيًّا إِنَّا نُنشِرُكَ بِغَلْمٍ آسَمُهُ، يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾
١٤٣	٢٥ - ٢٣	﴿يَلَيِّنَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾
٢١٥	٣٥	﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾
٣٢٠	٣٧	﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
٣٢٠، ٣٠٣	٣٨	﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾
٢٩٧، ١٥٥	٤٢	﴿يَتَأْتَبَتِ لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾
٢٨٢	٦٢	﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾
١٣٤	٦٥	﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾
١١٠	٩٣ - ٩٠	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾
١٤٠	٩٥ - ٩٣	﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾
سورة طه		
١١٠	٥	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾
٢٩٤	٧	﴿وَإِنْ يَجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾
٨	٨	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٧٥	١٤	﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾
٤٦	٤٣	﴿ أَذْهَبًا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾
٤٦	٤٤	﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِنَا أَعْلَى. يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾
٣١٨، ٣٠٠، ٤٦	٤٥	﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾
٣١٨، ٣٠٠، ٤٦	٤٦	﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى ﴾
١٣٧، ١٣٦، ٦٦ ٣٥٧، ١٧٤	٤٩	﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴾
١٣٧، ١٣٦، ٦٦ ٣٥٧، ٢٤٣، ١٧٤	٥٠	﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴾
٣٥٧	٥١	﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾
٣٥٩، ٣٥٧	٥٢	﴿ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾
٤٣	٧١	﴿ فَلَا تُقَطِّعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا تُصَلِّبْنَ كُمُ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ ﴾
٢١٩، ٢١٨، ٤٤	٧٢	﴿ لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾
٢١٩، ٢١٨، ٤٤	٧٣	﴿ إِنَّا أَنَا رَبُّنَا لِيُغْفِرَنَّ خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾
٣١٨	٧٧	﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾
٣٨٣، ٣٧٦	٨٢	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾
٣٦٥	١١٠	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾
١٤٨	١١١	﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾
٣٦٣	١١٤	﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾
٣٦٠	١١٥	﴿ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٨١	١٢٢، ١٢١	﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ ۗ ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَأَبَىٰ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۗ ﴾
٢٨١	١٢٣	﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۗ ﴾
٢٨١	١٢٤ - ١٢٦	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ۗ ﴾
سورة الأنبياء		
٣٣٤	١٨	﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۗ ﴾
٣٧٧	٢٠	﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۗ ﴾
٩٦، ٧٤، ٦١	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۗ ﴾
٥٨	٢٨	﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ۗ ﴾
٦٦	٣٣	﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۗ ﴾
٣١٧، ١٥٢	٣٤	﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّنْ فَعْمٍ الْخَالِدُونَ ۗ ﴾
٣١٧، ١٥٢	٣٥	﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۗ ﴾
٢٤٧، ٢٠٦	٤٧	﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۗ ﴾
٤١	٥٨	﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۗ ﴾
٤١	٥٩	﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۗ ﴾
٧٦، ٤١	٦٠	﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ ۗ ﴾
٧٦	٦١	﴿ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۗ ﴾
٧٦	٦٢	﴿ قَالُوا: أَأنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۗ ﴾
٧٦	٦٣	﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُمُونَ ۗ ﴾
٧٦	٦٤	﴿ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۗ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٧٦	٦٥	﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾
٧٦	٦٦	﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾
٧٦	٦٧	﴿ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
٢٢٢	٦٩	﴿ يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾
٢٨٤	٧٢	﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾
١١٥	٨٣	﴿ أَنِّي مَسَّيْتُ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾
١١٥	٨٤	﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ ۖ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾
١١٧	٨٩	﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾
١٢٥، ١٢٠، ١٣١، ١٢٧	١٠٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
سورة الحج		
٢٩٢	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾
٢٩٢	٢	﴿ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾
٢١٧	١٨	﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾
٦٣	٣٠	﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾
١٠٠، ٦٤	٣١	﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ﴾
٤٧، ٣٩	٣٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾
١٤١	٣٩	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفُسِهِمْ ظُلْمًا وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾
١٤١	٤٠	﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٧٤	٥٨	﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾
٢٦٢	٦٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾
٢٤٦	٦٨	﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
٢٤٦	٦٩	﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾
١٧٥ ، ٩٥ ، ٦٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ١٧٦	٧٣	﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ صُزْبًا مِثْلَ مَا اسْتَمِعُوا لَهُ﴾
١٧٦	٧٤	﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
٣٧٧ ، ٢٤٤	٧٨	﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾
سورة المؤمنون		
٣٥	١	﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾
٣٥	٢ - ٩	﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾
٢٩٨	٣	﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾
١٦٩	١٢ - ١٤	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾
١٩	٢٨	﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَنَّا مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ﴾
٢٧٤	٧٢	﴿أَمَّا تَسْتَأْذِنُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رِبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾
١٣٥	٨٦ ، ٨٧	﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾
٢٦٥	٩٦	﴿أَدْفَعْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ السِّيئَةِ﴾
٢٠٢	١١٦	﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾
١١٥	١١٨	﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة النور		
٣٨٦	١٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
٤٢٦٥، ٤٢٦٦، ٣٨٧	٢٢	﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾
٢٠٦	٢٥	﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾
٣٨١، ٣٦٧	٣١	﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
١٦٧	٤٥	﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾
٧٩	٤٧	﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ فِرْقٌ مِنْهُمْ﴾
٧٩	٤٨	﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾
٧٩	٤٩	﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾
٨٠، ٧٩	٥٠ - ٥٢	﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾
سورة الفرقان		
٢٦	١	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾
١٨٦، ١٧٥، ٦٦، ٢٤٤، ١٨٨	٢	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾
١٧٣	٣	﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾
٢٢٣، ٨٠	٤٣	﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾
٨٠	٤٤	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾
١٥١	٥٨	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾
١١٠	٦٠	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٩٨ ، ١١٠	٦٣	﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾
٢٨٤	٧٤	﴿ رَبَّنَاهَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾
سورة الشعراء		
١٣٥	١٦	﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
١٣٥	٢٣ - ٢٨	﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴾
٣٦٦	٣٤	﴿ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾
٣٦٦	٣٧	﴿ يَا تَوَكَّلْ بِكُلِّ سِحَارٍ عَلِيمٍ ﴾
٤٣	٤١	﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾
٤٣	٤٢	﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾
٢١٨ ، ٤٤٤	٤٤	﴿ بَعْرَةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾
٣١٨ ، ٣٠٠ ، ٤٥	٦١	﴿ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴾
٤٦ ، ٤٥ ٣١٨ ، ٣٠٠	٦٢	﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾
٣١٨ ، ٣٠٠ ، ٤٦	٦٣	﴿ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾
٤٦	٦٥ - ٦٧	﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرَبِينَ ﴾
١٧٤ ، ١٥٥	٧٧	﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾
١٢٠ ، ١١٦ ١٧٤ ، ١٥٥	٧٨ ، ٧٩	﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴾
١٢٠ ، ١١٦ ١٧٤ ، ١٥٥	٧٩ ، ٨٠	﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي ﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴾
١٥٥	٨١	﴿ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِي ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٨٢	٣٨٣، ١٥٥	﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾
٨٩، ٨٨	٣٠٣	﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾
سورة النمل		
١٥	١٩	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٢٣	٢٠١	﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾
٢٤	٩٤، ٥٩	﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
٢٦	٣٣٨	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾
٣٠	١٦	﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾
٣١	١٦	﴿ أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأُنُونِي مُسْلِمِينَ ﴾
٥٢	٢٥٠	﴿ فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾
٦٢	١٥٧	﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾
٦٥	٣٥٦	﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾
٨٨	١٨٦، ١٧٧	﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾
سورة القصص		
٤	٢٣٩	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً ﴾
٥	٣٤٦، ٢٣٩	﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾
٦	٣٤٦، ٢٣٩	﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمُ ﴾
٧	٢٣٩	﴿ فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾
٩	٢٤٠	﴿ قُتِرْتُ عَيْنِي لِئَلَّا يَتَّخِذُوا عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَوَلَدًا ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٣٨	١٣٨ ، ٩٦ ٣١٧ ، ٢١٨	﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾
٥٥	٢٩٨	﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾
٧٣	١١٥	﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾
٨٨	٣٤٣ ، ١٥١ ، ٧٨	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
سورة العنكبوت		
٦	١١٦	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
٢٢	٣٤٦	﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾
٢٦	١١	﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾
٤٠	٣٢٣ ، ٣٢٢	﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾
٤٣	٣٦٦	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾
٤٥	٣٩٢ ، ٣٧٣ ، ٣٠	﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتِغَاءَ الْوَقَارِ وَتَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
٤٦	٦٩	﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾
٦٠	٢٧٣	﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾
٦١	٥٧	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾
٦٣	٥٧	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾
٦٩	٣٠١	﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
سورة الروم		
٢٥	١٥٢	﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾
٢٧	١٧٢	﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٦٤	٣٠	﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾
٤٠، ٤٧، ٢٥٧، ٣٢٤، ٣٢٦	٤٧	﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
١١٦	٥٠	﴿ فَأَنْظِرْ إِلَى آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾
سورة لقمان		
١٨٧	٢	﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾
١٧٥	١٠	﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾
١٧٥	١١	﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾
٥٠، ٦٣، ١٠٠، ٣٨٠	١٣	﴿ يَبْنِي لَنَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾
٣٥٧	٣٤	﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾
سورة السجدة		
١٦٩، ١٧٧، ١٨٦	٧	﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾
١١، ٢٥٧، ٣٢٥	٢٢	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾
٢٤١	٢٨	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
٢٤١	٢٩	﴿ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾
سورة الأحزاب		
٣٩	٢٢	﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾
١٩٨	٣٤	﴿ وَاذْكُرْ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾
٥٠، ٩٧، ١٨١	٣٩	﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤١	١٠٨ ، ٢١	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾
٤٢	١٠٨ ، ٢١	﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾
٤٣	٢١	﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾
٥٢	٣٢١	﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾
٥٦	٣٩٢ ، ٣٧٣ ، ٣٠	﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾
سورة سبأ		
٢	٣٥٥	﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾
٣٩	٢٧٤ ، ١٠٧	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾
٤٨	٣٦٢	﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَمَ الْغُيُوبِ﴾
٥٠	٢٩٦	﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾
سورة فاطر		
٣	١٧٤	﴿هَلْ مِّن خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
١٠	٢١٧	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾
١٣	١٣	﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾
١٤	٢٩٦	﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾
١٥	١٩٦ ، ١٣٠ ، ٥٩	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾
١٩ - ٢٢	٣٤٠	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾
٣٠	١٣٣	﴿لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾
٣٤	٣٧٤ ، ١٩	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٧٤	٣٥	﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ﴾
١٧٥	٤٠	﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ﴾
١٥٤	٤١	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴾
٢٣٩، ٢٤٩ ٢٦٢، ٣٣٥	٤٣	﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾
سورة يس		
١٨٧	٢، ١	﴿ يَسْ ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾
٢٨٥	٣٣	﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾
٢٨٥	٣٤	﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾
٢٨٥، ٢٨٦	٣٥	﴿ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾
١٦٧	٣٦	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ ﴾
٦٦	٣٨	﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾
٦٦	٣٩	﴿ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾
٢٨٦	٧١ - ٧٣	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾
١٧٢	٧٨	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾
١٧٢	٧٩	﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾
١٧٣	٨١	﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾
١٧٣، ٢٣٩ ٢٩٢، ٣٤٦	٨٢	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الصافات		
١٧٣ ، ٧٦ ، ٦٣	٩٦ ، ٩٥	﴿ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾
٢٨٤	١٠١ ، ١٠٠	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِيمٍ حَلِيمٍ ﴾
٢٢٢	١٠٢	﴿ يَبْنِيْ اِيَّيَّ ارَى فِي الْمَنَامِ اِيَّيَّ اَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ٤ ﴾
٢٢٢	١٠٣	﴿ فَلَمَّا اَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾
٣٣٤	١٧٣ ، ١٧٢	﴿ اِنَّهُمْ لَكُفَّارٌ لَّهُمْ الْمَنُورُونَ * وَاِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾
٢١٨	١٨٠	﴿ سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ﴾
سورة ص		
٢٨٤	٩	﴿ اَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾
٢٤٨	٢١	﴿ وَهَلْ اَتٰنَكَ نَبَاُ الْخَصْمِ اِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾
٢٤٨	٢٢	﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغِي بَعْضُنَا عَلٰى بَعْضٍ فَاَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ ﴾
٢٤٨	٢٣	﴿ اِنَّ هٰذَا اَخِيْ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَّلِيْ نَجْمَةٌ وَّاحِدَةٌ ﴾
٣٨٣ ، ٢٤٩ ، ٢٤٨	٢٤	﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ اَنْمَّا فَتَنَّهُ فَاِستَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَاَنَابَ ﴾
٢٤٩	٢٥	﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذٰلِكَ وَاِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفٰى وَحُسْنَ مَّعَاذٍ ﴾
٢٤٩	٢٦	﴿ يٰدَاوُدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾
١٩٣	٢٧	﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاةَ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا ٥ ﴾
١٩٣	٢٨	﴿ اَمْ يَجْعَلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصَّالِحٰتِ كَالْمُفْسِدِيْنَ فِى الْاَرْضِ ﴾
٣٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٠٢	٣٥	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِيْ وَهَبْ لِيْ مُلْكًا لَا يَنْبَغِيْ لِاِحْدٍ مِّنْ بَعْدِيْ اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾
٢٨٢	٥٤	﴿ اِنَّ هٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَّفَادٍ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣١٦	٦٥	﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِّي إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
٣٧٦	٦٦	﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾
٣٧٧	٧١	﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾
٣٨٥	٧٦	﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾
٥٩	٧٩ - ٨١	﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾
٢١٨	٨٢، ٨٣	﴿فَاعْبُدْكَ يَا عِبَادَ اللَّهِ الَّذِينَ جُمِعُوا بِكُمْ لِرَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
سورة الزمر		
٩٥، ٥٨	٣	﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾
٣٢١	٤	﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾
٣٧٦، ٣٢١، ١٣	٥	﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾
٦٥، ٤	٨	﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ﴾
٣٧٨، ٣٤٠	٩	﴿أَمَّنْ هُوَ قَبْلُ عَائَةَ الْأَيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾
٦١	١٧	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾
٨٢	٢٩	﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾
٣١٧، ١٥٢	٣٠	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾
٢٥٨	٣٦	﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾
٢٥٨، ١٠	٣٧	﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾
٥٨	٤٤	﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
٣٨٠، ٣٧٩، ١٣٤	٥٣	﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٠٦	٦٧	﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بِضَيْتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
٣٧	٧١	﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ ﴾
١٤٢	٧٥	﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾
سورة خافر		
٣٨٣	٣	﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ﴾
٣٥٤ ، ١١٤	٧	﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا ﴾
٣٢١ ، ٣٢٠	١٥	﴿ يَوْمَ النَّالِقِ ﴾
٣٢١ ، ٣٢٠ ، ٢٠٦	١٦	﴿ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾
٣٢٠ ، ٥٨	١٨	﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ ﴾
٣٥٥ ، ٣٢٠	١٩	﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾
٣٢٠	٢٠	﴿ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ﴾
١٤١	٢٦	﴿ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ ﴾
١٤١ ، ٣٥	٢٨	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾
٣٧٦	٤٢	﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾
٣٣٤ ، ٤٧ ، ٤٠	٥١	﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾
٣٣٨ ، ١٧٣ ، ٥٨	٥٧	﴿ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾
٢٩٦	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾
٢٧٣	٦٤	﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ ﴾
١٤١	٦٥	﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٦	٨٤	﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾
٣٦	٨٥	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ﴾
سورة فصلت		
٢٧٣، ١٨٨، ١١٦	١٠	﴿ وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾
٣٢٢	١٥	﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾
٣٢٢	١٦	﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ ﴾
٣٨٩، ٣٨٧، ٢٦٥	٣٤	﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾
٣٨٧	٣٥	﴿ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾
٣٨٨، ٣٨٧، ٢٩٥	٣٦	﴿ وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾
١٨٦	٤٢	﴿ نَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾
٣٧٨	٤٣	﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾
١١٩	٤٦	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾
سورة الشورى		
٢١٧، ١٤٨، ١٢	١١	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
١٣٣	٢٣	﴿ وَمَنْ يَفْرَفْ حَسَنَةً نَّزَدَلَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾
٢٦٣	٢٥	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعُلُونَ ﴾
٣٨٩	٣٩	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴾
٢٦٠	٤٠	﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾
٢٦٠	٤١	﴿ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾
٣٨٧	٤٣	﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٤٩	٢٨٤	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنشَاءً﴾
٥٠	٢٨٤	﴿أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾
سورة الزخرف		
٤	١٨٧	﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾
٩	١٧٢ ، ٥٧	﴿وَلَيْنَ سَأَلْنَهُمْ مِّنْ حَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾
٢٣	١٣٩	﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾
٣١	٣٤١	﴿لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾
٤١	٢٥٧	﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾
٥١	٣١٨ ، ٢٠١	﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا بُصِرُونَ﴾
٥٢	٣١٨	﴿أَمْرٌ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾
٥٤	١٣٩ ، ٤٢	﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾
٥٥	٣١٨ ، ٢٥٨ ٣٢٩ ، ٣١٩	﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾
٥٦	٣٢٩ ، ٣١٨ ، ٢٥٨	﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾
٨٠	٢٩٨	﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْفُجُونَ﴾
٨٩	٢٦٤	﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾
سورة الدخان		
١٦	٣٢٦ ، ٢٥٧ ، ١١	﴿يَوْمَ نَبْطِئُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾
٣٨	١٩٣	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ﴾
٣٩	١٩٣	﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة الجاثية		
١١٩	١٥	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾
١٩٣	٢١	﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾
٨٠	٢٣	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾
سورة الأحقاف		
١٤١	١٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
١٤١	١٤	﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
٤٣	٢٩ - ٣١	﴿ وَلَوْ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا
سورة محمد		
٣١٥	٧	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَضَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾
٣٨٣	١٩	﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾
٣٦١	٣١	﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوًا أَخْبَارَكُمْ ﴾
سورة الفتح		
٣٨٤	٢	﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾
٢٠٩ ، ٤٨ ، ٨٣	٤	﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾
٢٢٠ ، ٢٠٤	٧	﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾
٢٤٩	١٠	﴿ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾
١٠٤	١٨	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾
سورة الحجرات		
٣٨	٧	﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَّا يَمُنْ وَرِيتَهُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٨	٨	﴿ فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ﴾
١٦٣	١٠	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾
٣٤	١٤	﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تَمُنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾
٣٤	١٥	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾
٢٨٥ ، ٣٨	١٧	﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ﴾
سورة ق		
١٧٢	١٥	﴿ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾
٣٠٤ ، ٢٩٨ ، ٥٨	١٦	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا مَا نُوسِسُ بِهِءِ نَفْسُهُ، وَحَنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾
٢٩٨	١٧	﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾
٢٩٨	١٨	﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾
٣٢٠ ، ٣٠٣	٢٢	﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾
٣٠٣	٣١ - ٣٤	﴿ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُنْفِقِينَ غَيْرَ بِعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾
سورة الذاريات		
٦٦	٢١	﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾
٢٠٢ ، ١٧٣ ، ١٧١	٤٧	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾
١٧١	٤٨	﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾
١٦٧	٤٩	﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾
٢٧٤ ، ٩٣ ، ٨٤	٥٦	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٥٧	٢٧٤ ، ٩٣	﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴾
٥٨	٢٨٣ ، ٢٧٤ ، ٩٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾
سورة الطور		
٢١	٣٨٢	﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِيَّيَّا كَسْبَ رَهِيْنٌ ﴾
٣٥	٥٥ ، ٥٦ ١٧٢ ، ٣٤٢	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾
٣٦	٥٥ ، ٥٦ ١٧٢ ، ٣٤٢	﴿ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾
سورة النجم		
٣٢	٣٧٨	﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ ﴾
سورة القمر		
١٠	٢٥٨	﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴾
٤٢	٢١٩	﴿ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ﴾
٤٣ - ٤٥	٣٢١	﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾
٤٩	٦٦ ، ١٧٥ ، ١٨٦ ١٨٨ ، ٢٤٤	﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾
٥٤ ، ٥٥	٢٠٧	﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾
سورة الرحمن		
١ - ٤	١١٠ ، ٢٨٥	﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾
٥ - ٧	٦٦ ، ١٧٥ ، ١٨٨	﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾
٨ ، ٩	٣٤٩	﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٤٣ ، ٣٣٨	٢٦	﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾
٣٤٣ ، ٣٣٨ ، ١٤٩	٢٧	﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾
٣٤٠	٦٠	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾
سورة الواقعة		
٣٣٨ ، ١٣٧	٩٦ ، ٧٤	﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾
سورة الحديد		
١٤٩	٢	﴿ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
٣٠٢ ، ٥٩ ، ٤٥	٤	﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾
٣٧٨	٢٠	﴿ وَفِي الْأَخْرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ﴾
٤٤	٢٨	﴿ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ﴾
٣٣٨	٢٩	﴿ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾
سورة المجادلة		
٣٠٥	١	﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾
٣٠١ ، ٤٥	٧	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾
٣٤	٢٢	﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾
سورة الحشر		
٢٥١	٢	﴿ يُخْرِجُونَ بِيُوْتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾
٣٩١ ، ٣٧٣ ، ٣٠	١٠	﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾
٣٠٩	١٤	﴿ بِأَسْمِهِمْ يَنْهَاهُمْ شَرِيحٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢١	١٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾
٢١	١٩	﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ؕ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾
١١٢ ، ١٢ ، ٩	٢٢	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾
١١٢ ، ١١١ ، ٩ ٢١٥ ، ٢٠١	٢٣	﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ﴾
١٦٦ ، ٩	٢٤	﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾
سورة الممتحنة		
١٦٥	٨	﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾
سورة الصف		
٣٣٦ ، ٣١٤ ، ٢٥٥	٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُم بَيْنَ مَرْصُوصٍ ﴾
سورة الجمعة		
١٩٨	٢	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾
٢٨٠ ، ٢٧٩	١٠	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾
٢٧٤	١١	﴿ قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ النَّجْرَةِ ؕ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴾
سورة المنافقون		
٣٤١	٤	﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾
٢١٧ ، ٤٠	٨	﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ؕ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
٨٣	١١	﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﴾
سورة التغابن		
٢٠٢	١	﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ﴾



رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٤٤	٣	﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ ﴾
٤٤	١١	﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾
٣٥٦	١٨	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
سورة الطلاق		
٢٨١	٢	﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾
٢٨١	٣	﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾
٣٥٨ ، ٨٤	١٢	﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾
سورة التحريم		
٣٧٧	٦	﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾
٤٠	٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾
٤٢	١١	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَاتٍ فَرَعَوْنَ ﴾
سورة الملك		
١٨٦ ، ٦٦	٣	﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ ﴾
٣٧	٨	﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾
٣٧	٩	﴿ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾
٢٩٤	١٣	﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾
٢٩٤ ، ٢٧٣ ، ١٩٤	١٤	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
٢٧٥ ، ١٨٧	١٥	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾
٣٠٢	١٩	﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة القلم		
٣٤٢	٤	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
٢٤٠ ، ١٦٠	٤٥ ، ٤٤	﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمَلِّ لَهُمْ إِن كِيدِي مَتِينٌ ﴾
سورة الحاقة		
٣٠٢	١٨	﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾
٢٠٥ ، ١٥٢	٢٨	﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴾
٢٠٥ ، ١٥٢	٢٩	﴿ هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾
٣٤٢ ، ١٦٨	٣٩ ، ٣٨	﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾
١٣٧	٥٣	﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾
سورة نوح		
١٧٤ ، ١٥٥	٢٠ - ١٣	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾
١٨٧	٢٠ ، ١٩	﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾
٦١	٢٣	﴿ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُمُ وَلَا نَذَرُنَّ وَدَا وَلَا سِوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾
٦١	٢٤	﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾
٢٥٨	٢٦	﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾
سورة الجن		
٢٨١	١٦	﴿ وَالْوَالِدُ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً عَذَقًا ﴾
٣٥٦	٢٦	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾
٣٥٦	٢٧	﴿ إِلَّا مَن أَرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
سورة المزمل		
٢٧٩	٢٠	﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۗ وَأَخْرُونَ يَقْتُلُونَ﴾
سورة المدثر		
٣٤٢	١٣، ١٢	﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا﴾
٢٠٤	٣١	﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾
٣٨٢	٣٨	﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾
٥٨	٤٨	﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾
٣٨١	٥٦	﴿هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى ۖ وَأَهْلُ الْمُغْفِرَةِ﴾
سورة الإنسان		
١٥٠	١	﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾
١١٩	٢	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
١١٩	٣	﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
سورة النازعات		
١٥٢، ٩٦، ٥٦، ٤٢ ٣١٧، ٢١٨، ٢٠١	٢٤	﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾
٢٧٥	٣١	﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾
سورة عبس		
٢٠٦، ٢٢	٣٧ - ٣٤	﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ ۖ وَأَبِيهِ ۖ وَصَدِيقِيهِ ۖ وَبَنِيهِ﴾
سورة الانشطار		
١٦٧	٦	﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

رقم الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٤٤ ، ١٦٧	٧	﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴾
١٦٧	٨	﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾
٢٩٨	١٢ - ١٠	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كُنِينًا * يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾
٢٠٦	١٩	﴿ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا * وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾
سورة الانشقاق		
٣٧	٢٠	﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
سورة البروج		
١٩٣	٨	﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾
٢٥٩	١٢	﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾
سورة الأعلى		
١٧٤ ، ١٣٧	٥ - ١	﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾
سورة الفجر		
٢٩	٢ ، ١	﴿ وَالْفَجْرِ * وَبِالْآلِ عَشْرِ ﴾
٣٢١	٩ - ٦	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ ﴾
٣٤٨ ، ٣٢٢ ، ٣٢١	١٤ - ١٠	﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ * الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾
سورة البلد		
٢٨٥	٩ ، ٨	﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾
سورة الشمس		
١٣٠	١٠ ، ٩	﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾



رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
سورة العلق		
٢، ١	١٦٩، ٦٢	﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾
٥ - ٣	٣٥٨	﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾
سورة البينة		
٥	١٠١	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾
سورة الزلزلة		
٨ - ٦	٢٤٧، ٢٤٦	﴿ لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾
سورة قريش		
٩٦، ٩٥	١٥٥	﴿ اتَّعَبُدُونَ مَا تَنْجُتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾
سورة الإخلاص		
٤ - ١	٥٤، ١٢	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾
٣	١٤٨، ١٢	﴿ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾
٤	٢١٧، ١٤٨، ١٢	﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾
سورة الفلق		
١	١٢	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾
سورة الناس		
٣ - ١	٨٠، ١٢ ٣٤٣، ١٤٩	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ ﴾

* * *

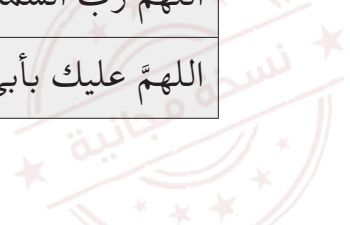




فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
١١٤	أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟ قالوا: لا يا رسول الله
١٠٢، ٨٧	أجعلتني لله نداءً؟ قل: ما شاء الله وحده
٣٠٢	الإحسانُ أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك
٣٤٥، ١٧	إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله
٢٠٨	ارضِ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس
١٦٦	أعوذُ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك
٣٨٥	اغفر لي جدي وهزلي، وخطئي وعمدي، وكل ذلك عندي
٢٢٦	أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
١٥٦	ألطوا بيا ذا الجلال والإكرام
٩٣	اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
٣٨٤	اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري
٢٠	اللهم إنني أسألك من خيره وخير ما هو له، وأعوذ بك من شره وشر ما هو له
١٣	اللهم رب السماوات والأرض، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء
٢٣٨	اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة



رقم الصفحة	الحديث
١٤٠، ٩٩	ألم يكونوا يُحِلُّون لكم الحرام، ويُحَرِّمون عليكم الحلال فتطيعوهم؟
٣٤٠	إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَلَّا يَفْخِرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ
١٩٦	إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا
٥	إِنَّ اللَّهَ رَجَلٌ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ
٨٧	إِنَّ اللَّهَ رَجَلٌ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ
٣٠٢	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ - أَيِ الْإِتْقَانَ وَالْإِحْكَامَ - عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
٣٦٤	إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ صُدُورِ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ
١٥٤	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَبْغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ
٣٠٣	إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا أَجْسَامِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ
٢١٩، ١٥٩ ٣٢٤، ٢٤٩	إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ
٣٦٠	إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَن أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسِيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ
١٣٤	إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ
٣٠٢	إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ مَنْ أَحَدَكُمْ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ
٥٣	أَنْ تَوْمَنَ بِالْقَدْرِ: خَيْرُهُ وَشَرُّهُ
٣٧٠	إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ آبَاءَكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ
١١٢	إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي
٨٧	إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ
١٠٣	إِنْ سَلَامَكُمْ يَبْلُغُنِي حَيْثَمَا كُنْتُمْ
١٠، ٩	إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ
١١٤، ٥	إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ وَالبَهَائِمِ وَالهَوَامِّ



رقم الصفحة	الحديث
٢١١	إِنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع
١٦٣	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً
٣٥٥	إِنَّكم تختصمون إليّ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجّته من بعض
٣٣٩	إِنَّمَا الأعمال بالنيّات، وإِنَّمَا لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله
١٢١	إِنَّمَا أنا رحمة مُهداة
٨٥	إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ
١٢٦	أَوْلَيْسَتْ نَفْسًا
٣٠٤	أَيُّهَا النّاس، ازْبَعُوا على أنفسكم؛ فَإِنَّكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا
ث	
٤٩	ثلاثٌ من كُنَّ فيه، وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه
٢٦١	ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم: الصائم حين يُفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم
٣٧٥، ٣٧٤	ثلاثة من الفواقِر
ح	
٣٣٩، ١٣٣	الحسنةُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف
١٣٣	الحسنة بعشر أمثالها أو أزيد
٢٤٧	الحسنة عندي بعشر أمثالها أو أزيد، والسيئة عندي بواحدةٍ أو أعفو
١٩	الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العُزّي
١٩	الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين
١٨	الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصّالحات
٢٠	الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيهِ، من غير حَوْلٍ مِنّي ولا قوّة



رقم الصفحة	الحديث
خ	
١١٩	الخير كله في يدَيْكَ، والشرُّ ليس إليك
د	
١١٨	دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء
ر	
٣٨٤	ربِّ اغفرْ لي وثب عليّ
١٧١، ٢٠٢	ربَّنَا ولك الحمدُ ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما بينهما
س	
٣٠٥	سبحان مَنْ وسع سمعُه الأصوات، كانت المرأة تُحدِّث رسول الله في ركن من البيت
٣٨٤	سيِّد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربِّي، لا إله إلا أنت
٨٧	السيِّد الله تبارك وتعالى
ش	
٣٢٣	شيبّتني هودٌ وأخواتها
ص	
٢٤	الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان
٢٣، ٢٤	صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله، والسنة التي بعده
ع	
٣٤٣	العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منهما عدبته
٣٨١	علم عبدي أنّ له ربّاً يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرتُ لعبدي فليعمل ما شاء



رقم الصفحة	الحديث
ق	
١٤١	قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقَم
١٠٢	قُلْ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ مَا شَاءَ فَلَان
٣٧٦، ٢٦٣	قولي: اللهم إِنَّكَ عَفْوٌ تَحُبُّ العفو فاعفُ عَنِّي
ك	
٣٩٠	كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله
٣٧٧	كلُّ بني آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوّابون
٦٤	كُلُّ مولودٍ يُولدُ على الفطرة - أي على التوحيد - فأبواه يهودانه أو يُنصرّانه
٣٣٩	كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان
ل	
٣٤٤	لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ العرشِ الكريم
١٠١	لا تتخذوا قبوري بعدي عيدًا
١٠١	لا تتخذوا القبورَ مساجد
١٠٢	لا تُطْرُونِي كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم
١١٠، ١٠٩	لا يدخلُ الجنةَ إلاّ رحيمٌ. قالوا: كلُّنا رحيمٌ يا رسول الله
١٦٨	لا يزالُ الناسُ يتساءلون حتّى يقول بعضهم: إنَّ الله قد خلق الخلق؛ فمَنْ خلق الله
١٠١	لعن الله اليهود والنصارى؛ اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد
٨٦	لَقِّنُوا موتاكم - أي المحتضرين - لا إله إلاّ الله
٢٣٧	لماذا يُسمُّونك أبا الحكم؟ فقال: إنَّ الناس إذا اختلفوا جاؤوا إليّ
٢٧٨	لو توكلتُم على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خِمَاصًا، وتروح بَطَانًا
٢٥٩	لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك

رقم الصفحة	الحديث
١٦٣	ليس بمؤمنٍ من بات شبعان وجارّه إلى جنبه جائع
١٠٠، ٥٠	ليس كما تقولون، إنّه الشرك، أمّا سمعتم ما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ...﴾
٥٠	ليس هو المراد، وأنّ المراد ما قاله العبد الصالح: ﴿يَبْتَنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾
م	
٣٠٥	ما أراك إلا حرمت عليه
١٤	ما أصاب أحدا قط هم ولا حزن، فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك
٢٥٩	ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله
٢٣	ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله ﷻ من هذه الأيام
١٥٦	ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت
١٦٣	المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسَلِّمه
٣٢٧	مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت
٢١٠	من جاء مسجدي هذا ليتعلم أو يُعلِّم فهو في سبيل الله
٢١٠	من خرج في طلب العلم؛ فهو في سبيل الله حتى يرجع
٢١١	من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة
١٨٣	من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تقدرُوا فقولوا: جزاك الله خيراً
١٠٣، ٨٧	من علّق تميمةً فقد أشرك
٨٧	من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه
٢٠٧	المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلِّ خير
٣٩٠	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً
ن	
١٧٢	نعم، ويبعثك ويدخلك النار



رقم الصفحة	الحديث
هـ	
٥٩	هل من داعٍ فاستجيبَ له؟! هل من تائبٍ فأتوبَ عليه!؟
و	
١٣	والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ
٣٧٧	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تَذْنُبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ
١٣٣	وَالسَّيِّئَةَ بِمِثْلِهَا
ي	
٤٦	يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثَهُمَا
١٢٧، ١٢٦	يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ
٣٨٤	يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَوَبُوا إِلَى اللَّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ
١٥٦	يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ
٣٨١	يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تَذْنُبُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
١٣٠	يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكَمُ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَنْتَقَى قَلْبِ
٥	يَا مَعَاذُ، إِنِّي لِأَحْبُبُّكَ. فَقَالَ لَهُ مَعَاذُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنَا أَحْبُّكَ
٣٨٨	يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخَ كَرِيمٍ
٣٤١، ٣٤٠	يَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
١٦٩	يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا
٢٧٩	الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى
٣٩٠	يَسْعَى بِذَمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيَجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ

* * *



فهرس الموضوعات

- ٤ من الدستور الإلهي للبشرية
- ٥ من مشكاة النبوة الخاتمة
- ٧ ١ - حول أسماء الله الحسنى
- ٧ علم العقيدة ومعرفة الإلهيات
- ٨ كمالات الله تبارك وتعالى
- ٩ حديث إنَّ لله تسعةً وتسعين اسمًا
- ٩ مناقشة في بعض هذه الأسماء
- ١١ عدم استيعاب كل الأسماء
- ١٣ الأسماء والصفات في القرآن والسنة كثيرة
- ١٤ لفظ الجلالة (الله)
- ١٦ سورة الفاتحة
- ١٨ أعددتُ لكلِّ نعمة (الحمد لله)
- ٢٠ وأعددتُ لكلِّ بليَّة (إنَّا لله)
- ٢٠ وأعددتُ لكلِّ شِدَّة (لا حول ولا قوَّة إلا بالله)
- ٢١ وأعددتُ لكلِّ عدوِّ (حسبي الله)

- وأعددتُ لكل ذنب (أستغفر الله) ٢١
- فضل عشر ذي الحجّة ٢٣
- زيارتي للصين ٢٤
- الصراع بين المصريّين والجزائريّين ٢٦
- الدعاء ٢٩
- ٢ - الإيمان والمؤمنون في القرآن الكريم ٣١
- الإيمان عملٌ قلبي ٣٣
- علاقة الإيمان بالعمل ٣٤
- الإيمان عملٌ اختياري ٣٦
- لا بد من أن تصل دعوة الإسلام واضحة صريحة ٣٧
- الهداية من أعظم النعم ٣٨
- الإيمان يصنع الأمة المؤمنة ٣٩
- إبراهيم عليه السلام نموذج حي للمؤمنين ٤١
- نموذج الفتية أصحاب الكهف ٤١
- نموذج امرأة فرعون ٤٢
- نموذج سحرة فرعون ٤٣
- الإيمان قوّة هادية وراذعة ٤٤
- الإيمان قوّة مُحركّة ٤٥
- كلمات تخرج من مشكاة واحدة ٤٦
- الإيمان وراء كل خير ٤٧
- من آثار الإيمان ٤٩
- إفراج السلطات اللبية عن بعض السجناء ٥١



- ٣ - توحيد الله في القرآن الكريم (١) ٥٣
- أركان الإيمان ٥٣
- العنصر المعرفي في التوحيد ٥٤
- العنصر العملي ٥٤
- العرب يُقرُّون بتوحيد الخالقِية ٥٧
- شرك العبادة ٥٨
- ضلال البشرية كان في الشرك ٥٩
- رسالة التوحيد هي دعوة كل الأنبياء ٦١
- خالق الكون هو من يستحقُّ العبادة ٦٢
- عبادة غير الله هوان لعابديها ٦٣
- يتحقَّق التوحيد الخالص ساعة الشدَّة ٦٤
- الفطرة تدلُّ على التوحيد ٦٥
- العقل يدلُّ على التوحيد ٦٦
- موقفي من مؤتمرات الحوار بين الأديان ٦٨
- القمَّة الإسلاميَّة المسيحيَّة ٦٩
- إساءة بابا الفاتيكان ٧٠
- المشكلة الحقيقيَّة بيننا وبين المسيحيِّين ٧٠
- الأقصى في خطر ٧٢
- ٤ - توحيد الله في القرآن الكريم (٢) ٧٤
- جميع الأنبياء يدعون إلى التوحيد ٧٤
- ضلال البشرية حين عبدت غير الله ٧٥

- أوهام الوثنيّة..... ٧٥
- النبوّات تردُّ الناس إلى رشدهم..... ٧٧
- أركان التوحيد..... ٧٨
- الوثنيّات الدّينيّة..... ٨١
- الوثنيّة السياسيّة..... ٨١
- تحرير الإنسان من كلّ الوثنيّات..... ٨٢
- التوحيد يُبرز النفس المُطمئنّة..... ٨٣
- التوحيد مهمّة الإنسان الأولى..... ٨٤
- أمّة مبعوثة..... ٨٥
- التوحيد من الولادة حتّى الممات..... ٨٦
- حمى التوحيد..... ٨٦
- قانون ضدّ ازدياد الأديان..... ٨٩
- قانون لمنع بناء المآذن في أوروبا..... ٩٠
- ٥ - حقيقة التوحيد..... ٩٣
- معنى حُسن العبادة..... ٩٤
- ضلال البشرية في معرفة المعبود الحق..... ٩٤
- ضلال المشركين بالله..... ٩٦
- دعوة التوحيد ميلاد جديد للبشريّة..... ٩٧
- حماية التوحيد من كل شائبة..... ٩٨
- التحرر من الوثنية والشرك..... ٩٨
- خوف المشرك من كل شيء..... ١٠٠



- ١٠١..... تحرير التوحيد ممّا شابه على مرّ العصور.
- ١٠٢..... الاحتياط في أمور التوحيد والشرك
- ١٠٤..... أساس التّحرُّر الحقيقي هو التّوحيد
- ١٠٨..... ٦ - الرحمن الرحيم
- ١٠٩..... أن يكون لسانك رطبا بذكر الله
- ١٠٩..... الرحمن الرحيم
- ١١١..... عناية القرآن الكريم بالرحمة
- ١١٢..... رحمة واسعة شاملة
- ١١٣..... رحمة تامة ممتدة غير منقوصة
- ١١٤..... الله تعالى هو خير الراحمين
- ١١٥..... من مظاهر رحمة الله تعالى
- ١١٦..... المؤمن لا يئس من رحمة الله
- ١٢٠..... يُستحبُّ للمؤمن ألا ينسب الشرَّ لربِّه
- ١٢٠..... ومن رحمته إرسال الرسل مُبشِّرين ومُنذرين
- ١٢٢..... حظر المآذن في سويسرا
- ١٢٩..... ٧ - ربُّ العالمين
- ١٣٠..... شريعة الله لا تضيق على عباده
- ١٣١..... الرحمة العامة
- ١٣١..... الرحمة بالمؤمنين واليسير عليهم
- ١٣٢..... الأجور على النيات ومضاعفة الحسنات
- ١٣٤..... لا تقنطوا من رحمة الله



- ١٣٤..... رب العالمين
- ١٣٥..... معنى الربوبية
- ١٣٧..... رب العالمين
- ١٣٩..... عبادة البشر واتخاذهم أربابا
- ١٤٠..... الإسلام يحارب الأرباب الزائفون
- ١٤١..... التضحية من أجل كلمة التوحيد
- ١٤٢..... حقيقة نعز بها
- ١٤٣..... احتفال المسلمين بالكريسماس
- ١٤٥..... فوز أوباما بجائزة نوبل للسلام
- ١٤٧..... ٨ - الحي القيوم
- ١٤٧..... الحي القيوم
- ١٤٨..... كثرة الصفات الإيجابية لله تعالى في القرآن
- ١٥٠..... الحي الذي لا يموت
- ١٥١..... كل شيء هالك إلا وجهه
- ١٥٢..... اسم الله القيوم
- ١٥٣..... رعاية الخلق وتدبير شؤونهم
- ١٥٤..... ثناء الأنبياء على الله بهاتين الصفتين
- ١٥٥..... أصنام لا حياة لها
- ١٥٦..... يا حي يا قيوم
- ١٥٧..... يجيب المضطر إذا دعاه
- ١٥٩..... عام على العدوان على غزة



١٦١..... الجدار الفولاذي بين مصر وغزّة

١٦٤..... هجوم جريدة ألمانيّة

١٦٦..... ٩ - الخالق

١٦٦..... اسم الله الخالق

١٦٨..... الله هو واهب الحياة

١٦٩..... عناية القرآن بالخالقية

١٦٩..... خلق الإنسان الأوّل

١٧١..... خلق هذا الكون الكبير

١٧٢..... الرد على الماديين والمنكرين للبعث

١٧٣..... الرد على الوثنيين الذين يعبدون الأصنام

١٧٤..... القرآن يربط الناس بربهم

١٧٦..... مفردات الخلق في القرآن

١٧٦..... حظ العبد المؤمن من اسم الله الخالق

١٧٨..... رحيل الدكتور عبد العظيم الديب

١٨١..... ادعاءات محمود عباس بشأني

١٨٢..... تحية إلى جورج جالوي

١٨٥..... ١٠ - الحكيم

١٨٥..... معنى اسم الله الحكيم

١٨٧..... حكمة الله في الخلق

١٨٨..... علاقة المملكة النباتية والحيوانية

١٨٨..... كل شيء عنده بمقدار

- ١٨٩..... من لطائف حكمة الله تعالى
- ١٩١..... الحكمة في محنة يوسف عليه السلام
- ١٩٢..... ما خلق الله شيئاً إلا بحكمة
- ١٩٣..... وجود الدار الآخرة من حكمة الله
- ١٩٤..... شريعة الله ليست عبثاً
- ١٩٥..... اعتراضات باطلة على الشريعة
- ١٩٦..... الله غني عن خلقه
- ١٩٧..... حظُّ العبد المؤمن من اسم الله الحكيم
- ٢٠٠..... ١١ - الملك
- ٢٠١..... ملوك الدنيا ملكهم ناقص وزائل
- ٢٠٢..... الله تعالى صاحب الملك الواسع الكامل
- ٢٠٣..... حاجة ملوك الدنيا لله
- ٢٠٤..... ملك الله دائم لا يزول
- ٢٠٦..... مالك الدنيا والآخرة
- ٢٠٧..... حظ العبد المؤمن من اسم الله الملك
- ٢١٠..... ترحيب ياخواني تلاميذ القرضاوي
- ٢١١..... رد هجوم السلطة الفلسطينية عليّ
- ٢١٥..... ١٢ - العزيز
- ٢١٥..... معنى اسم الله العزيز
- ٢١٦..... يعز من يشاء
- ٢١٦..... لا نظير له



- ٢١٧..... ومن معاني العزّة القوّة
- ٢١٧..... لله العزة جميعا
- ٢١٩..... لا يقف أحد أمام عزة الله
- ٢٢٠..... اقتران العزة بالحكمة
- ٢٢١..... الاعتزاز بالله
- ٢٢٢..... عزة المؤمنين
- ٢٢٣..... نصيب العبد من اسم الله العزيز
- ٢٢٣..... الاعتزاز بالإسلام
- ٢٢٧..... قضية القدس
- ٢٢٧..... بداية تواجد اليهود في فلسطين
- ٢٢٩..... استعمار استيطاني إحلالي
- ٢٢٩..... الحق التاريخي للعرب والمسلمين
- ٢٣٠..... دور الاستعمار في تثبيت اليهود
- ٢٣١..... بداية الصراع والكفاح
- ٢٣٢..... خضوع العرب لمنطق ذليل
- ٢٣٢..... كنيس الخراب
- ٢٣٣..... تحكم اليهود في المسجد الأقصى
- ٢٣٣..... ضعف حكام المسلمين
- ٢٣٤..... مطالبنا من القمة العربية
- ٢٣٥..... نداء لأمة الإسلام



١٣ - الحكم العدل ٢٣٧

٢٣٨ معنى اسم الله الحكم

٢٣٨ الحكم القدري الكوني

٢٤٠ أحكم الحاكمين وخير الحاكمين

٢٤٢ الحكم الأمري الشرعي

٢٤٣ معنى اسم الله العدل

٢٤٤ العدل في الأشخاص

٢٤٤ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها

٢٤٥ عدل الله في أقداره

٢٤٦ الحكم العدل في الآخرة

٢٤٧ حظ العبد المؤمن من اسم الله الحكم العدل

٢٤٨ الحكم لا يتبع العواطف والأهواء

٢٤٩ الظلم ظلمات يوم القيامة

٢٥١ رسالة إلى القمّة العربيّة

٢٥٤ تحية إلى ليبيا

١٤ - المنتقمُ العفوُ ٢٥٦

٢٥٧ معنى اسم الله المنتقم

٢٥٨ عزيز ذو انتقام

٢٥٩ لا نغضب لأنفسنا

٢٦٠ العفو خير من الانتقام

٢٦٠ الله تعالى لا يعاجل بالعقوبة



- ٢٦١..... سهام الليل لا تخطيء
- ٢٦٢..... استدراج الله للظالمين
- ٢٦٢..... العفو الغفور
- ٢٦٣..... معنى اسم الله العفو
- ٢٦٣..... المؤمن يقتبس من اسم الله العفو
- ٢٦٤..... عفو الصديق أبي بكر
- ٢٦٥..... الإسلام يربي أبناءه على مكارم الأخلاق
- ٢٦٨..... تعقيب على نتائج القمّة العربيّة
- ٢٦٩..... تفجيرات مترو الأنفاق في موسكو
- ٢٧٢..... ١٥ - الرزاق الوهّاب
- ٢٧٢..... معنى اسم الله الرزاق
- ٢٧٣..... علم الله بحاجات المخلوقات
- ٢٧٤..... رزق الله تعالى دائم لا ينقطع
- ٢٧٤..... خير الرازقين
- ٢٧٦..... نظرية مالتوس المتشائمة
- ٢٧٧..... رزق الجنين في بطن أمه
- ٢٧٧..... خلل في الأفهام والتصورات
- ٢٨٠..... إنّ السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة
- ٢٨٠..... رزق الله للبر والفاجر
- ٢٨١..... رزق في الدنيا ورزق في الآخرة
- ٢٨٢..... حظ العبد المؤمن من اسم الله الرزاق

- ٢٨٣..... اسم الله (الوَهَّاب).
- ٢٨٥..... الفرق بين الرزاق والوهاب
- ٢٨٥..... النعم تستحق الشكر
- ٢٨٧..... زيارتي إلى جنوب إفريقيا
- ٢٩١..... دخان بركان آيسلندا
- ٢٩٣..... ١٦ - السميع البصير
- ٢٩٣..... الفرق بين سمع الله وسمعنا
- ٢٩٥..... اقتران اسم السميع بالبصير والعليم والقريب
- ٢٩٦..... استجابة الله للدعاء
- ٢٩٧..... ضلال من يعبد أصناما لا تبصر ولا تسمع
- ٢٩٨..... حظ المؤمن من اسم السميع
- ٢٩٩..... عدم مشاركة أهل الباطل ولو بالسمع
- ٣٠٠..... مراقبة الله السميع في كل قول
- ٣٠٠..... اسم الله البصير
- ٣٠١..... المعية العامة
- ٣٠١..... المعية الخاصة
- ٣٠٢..... مراقبة الله وَعَلَيْكُمْ
- ٣٠٣..... القلب السليم والقلب المنيب
- ٣٠٤..... الله تعالى لا يخفى عليه الخبيث ولا الطيب
- ٣٠٤..... خولة بنت حكيم، المجادلة في زوجها
- ٣٠٦..... نتوكل على مَنْ يسمع ويرى



- ٣٠٧.....الذكرى (٦٢) لقيام دولة بني صهيون
- ٣٠٨.....استعمار إحلالي
- ٣١٠.....هدنة رودس
- ٣١٠.....إسرائيل المزعومة
- ٣١٦..... ١٧ - القهَّار
- ٣١٦.....معنى اسم الله القهار
- ٣١٧.....ضعف الذين يتجبرون في الدنيا
- ٣١٩.....القهار الحق هو الله
- ٣٢٠.....الملك يوم القيامة لله الواحد القهار
- ٣٢١.....الله تعالى هو قاهر الجبابرة
- ٣٢٢.....فكلَّا أخذنا بذنبه
- ٣٢٣.....إِنَّ اللهَ ليملي للظالم
- ٣٢٤.....تعلق المستضعفين باسم الله القهار
- ٣٢٥.....اغترار المجرمين بحلم الله وإمهاله
- ٣٢٦.....الله لا يغفل عن الظالمين
- ٣٢٧.....اعتداء اليهود على أسطول الحرية
- ٣٢٧.....إِنَّ لي عدة كلمات في هذا الموضوع
- ٣٣٢.....الكلمة الثالثة أوجهها لإخواننا الأتراك
- ٣٣٣.....الكلمة الرابعة تحية لمن ساهم في أسطول الحرية
- ٣٣٤.....نحن أصحاب الحق، والحق لن يهزمه الباطل
- ٣٣٥.....آن لنا أن نتخلى عن لغة المبادرات



١٨ - العظيم ٣٣٧

٣٣٧ معنى اسم الله العظيم

٣٣٨ الله ذو الفضل العظيم

٣٤٠ لا يفخر أحد على أحد

٣٤٠ لا عبرة عند الله بقوة الأجساد وضحامتها

٣٤١ المكانة عند الله بالإيمان والعمل الصالح

٣٤٢ الله تعالى العظيم في خلقه

٣٤٣ لا ينازعه أحد في عظمته

٣٤٣ صاحب السلطان المتفرد بالعظمة

٣٤٤ من أدعية كشف الكربات

٣٤٤ إذا سألت فاسأل الله العظيم

٣٤٥ فَعَالٌ لما يريد

٣٤٨ متابعة لثورة تونس

٣٤٩ متابعة لثورة اليمن

٣٥٠ متابعة لثورة سوريا

١٩ - العليم ٣٥٤

٣٥٤ معنى اسم الله العليم

٣٥٥ يعلم ظواهر الأشياء وبواطنها

٣٥٦ عالم الغيب والشهادة

٣٥٧ يعلم الماضي والحاضر والمستقبل

٣٥٨ علم دقيق



- ٣٥٩..... علم لا يعتريه نسيان
- ٣٦٠..... علم لا يعتريه تغير
- ٣٦١..... علم لا جهل قبله
- ٣٦٢..... على الإنسان أن يتعلم
- ٣٦٤..... خُذ العلم من أهله
- ٣٦٤..... علم الغيب علم إلهي
- ٣٦٥..... لا تدع معرفة كل شيء
- ٣٦٧..... قانون منع النقاب في بلجيكا
- ٣٧٠..... السفير الفرنسي في زيارتي
- ٣٧٤..... ٢٠ - الغفور
- ٣٧٥..... الفرق بين العفو والغفور
- ٣٧٦..... حاجتنا إلى المغفرة
- ٣٧٧..... إذا لم يعص الإنسان فلمن يغفر الله؟
- ٣٧٧..... العنصر الأرضي والعنصر السماوي في الإنسان
- ٣٧٨..... بين الخوف والرجاء
- ٣٧٩..... الأمل في سعة رحمة الله
- ٣٩٥..... • فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- ٤٤٣..... • فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
- ٤٥١..... • فهرس الموضوعات

* * *

غير مرخصة للطباعة

فهرس كتب المجلد

- ١٨٤ - خطب الشيخ القرضاوي (٢١) ٥
- ١٨٥ - خطب الشيخ القرضاوي (٢٢) ٤٤١

* * *

